مكاشفة القلوب

المقرب إلى حضرة علام الغيوب

لحجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

(مختصر من المكاشفة الكبرى)

قرأه وقدم له
طه عبد الرءوف سعد

الطبعة الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

مضبوطة - محققة - معتنى بإخراجها

بسم الله الرحمن الرحيم

تقــديم

الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا .

واشهد الا إله إلا الله وحده لا شريك له ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله نبى الرحمة ورسول الأمة والذى بين لهم طريق الحق ليتبعوه وحدد لهم طريق الباطل ليجتنبوه .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه ومن اهتدى بهديه وسلك طريقه واتبع سنته الى يوم الدين .

فإن اصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

وبعــد ..

فإن هذا الكتاب الزاخر المنيف اصل من كتب الامام ابو حامد الغزالى رضى الله عنه اخترناه من مجموعة ما كتب لأهميته ولو كان بوسعى لنصحت جميع افراد البشرية بقراءته والعمل بما فيه فهو يوضح غالب آداب الإسلام الذى رغب الله فيها عباده والذى إذا تمسكنا بها والتمسك بها هو روح الاسلام ولبه ــ اقول إذا تمسكنا بها فقد عاد للإسلام رونقه وبهاؤه وعاد للإنسانية وجهها الجميل المشرق وحصلنا بعون منه تعالى سعادة الدنيا والآخرة وهذا هو الموضوع الأول لهذا الكتاب العظيم .

لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤخذنا إن نسينا او اخطانا ، ربنا ولا تحملنا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

ربنا عليك توكلنا وإليك انبنا وإليك المصير .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مقدمة لتاريخ حياة

الإمام الغزالى

صاحب اصل هذا الكتاب

ولد ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى فى مدينة طوس من إقليم خراسان سنة ٤٥٠ هـ الموافقة لسنة ١٠٥٨ م .

وقد توفى ابوه وابو حامد مازال صغيرا لما يبلغ سن الرشد .

نشأ الإمام الغزالى مقبلا على طلب العلم وتحصيله فتلقى مبادىء العلوم فى بلده كما يفعل سائر طلاب العلم فتلقى مبادىء العربية والفقه ثم انتقل إلى جرجان وقرأ فيها مبادىء علم الاصول على اساتذتها ثم عاد إلى طوس فلم يمكث بها إلا قليلا حتى قصد نيسابور حيث لازم الجوينى إمام الحرمين ولما توفى الأخير انتقل إلى العراق حيث اوكل إليه الوزير نظام الملك التدريس بالمدرسة النظامية حوالى سنة ٤٨٤ فمكث بها ينشر علمه بالتدريس والتاليف مدة اربع سنوات مرض بعدها مما اضطره إلى الرحيل من العراق متوجها إلى بلاد الحجاز حيث حج ثم رحل إلى القدس وجاور بها نحو السنتين ثم ذهب إلى نيسابور حيث الزمه فخر الملك بن نظام الملك بالتدريس بمدرسته بنيسابور ــ ثم عاد إلى طوس ولزم بيته عابدا لله حتى عبادته إلى أن توفى رحمه الله سنة ٥٠٥ هـ ١١١١ م ودفن بمقبرة الطابران بطوس .

الف الإمام الغزالى العشرات من الكتب المفيدة من أهمها إحياء علوم الدين وبه لقب الغزالى حجة الاسلام بحق فان هذا الكتاب احسن ما وضع

لتاييد أصول الدين وبيان حكم العبادات والمعاملات وهـو فصـلا من ذلك مصوغ فى قالب من الحكمة العالية لا يدانيه فيها كتاب سواه فهو من الآثار الاسلامية الفخمة هدى الله به الى حكمة الدين ارواحا لا تحصى كما يقول الأستاذ محمد فريد وجدى .

وقد حكى مؤلفه سبب وضعه وذلك أنه بعد أن نال من جميع العلوم المعروفة فى عهده قسطا وافرا ووضع فيها المصنفات خطر له خاطر وهو أنه على غير هدى وان جميع ما صنفه لم يخرج عن أنه كلام فى كلام وأمـا الحقيقة التى يثلج عليها الصدر ويسكن اليها القلب فهى عنه بمعزل .

ولم يزل به هذا الخاطر حتى صار هما كبير منعه الكلام فكان يجلس للتدريس وتحتف به الطلبه فلا يفتح الله عليـــه بكلمة وبلغ ذلك الخليفة فارسل اليه أطباءه فمنهم من زعم أن به وسوسة ومنهم من أدعى أنه أصيب بالماليخوليا كل ذلك وهو يهزأ مما يقولون لأنه يعلم سبب دائه وسر همه وهو طالب الحقيقة فى ذاته .

فهداه الله بعد مدة الى الاختلاء بنفسه والخروج عن كل علاقة دنيوية والتجرد لله تعالى وحـده فاظهر قصـد الحج ليخلص من الخليفة العباسى الذى كان لا يصبر على فراقه فحج ثم عرج الى الشام فمكث بها بضـع سنين ياكل من اعشاب الأرض ويعبد الله على انفـراد حتى فتح الله عليه بانواره فالف هذا الكتاب الفريد فى بابه .

اما اهـم كتبـــه بعـــد الاحيـــاء فهى مجاميعـه المشـــهورة الكشـــف والتبيين وبداية الهـــداية ومجمـوعة المنقـــذ من الضـــلال وكيمياء السعادة والقواعد العشر والأدب فى الدين ، ومجموعة القصـــور العوالى : القسطاس المستقيم ومنهاج العارفين والرسالة اللدنية وغيرها الكثير الكثير .

رحم الله الإمام الغزالى ونفعنا الله بكتبه آمين يارب العالمين .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أحسن تدبير الكائنات وخلق الأرضين والسموات وأنزل الماء من المعصرات وأنشأ الحب والنبات وقدر الأرزاق والأقوات وأثاب على الأعمال الصالحات .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ذى المعجزات الظاهرات الذى حصل من نوره وجود الكائنات .

وبعد فهذا كتاب اختصرته من الكتاب البديع حسن الصنيع المسمى بمكاشفة القلوب المقرب الى علام الغيوب المنسوب الى الشيخ الغزالى وقد سميته كأصله بمكاشفة القلوب وأعوذ بالله من الشرك والذنوب واقتصرت فيه على مائة وأحد عشر بابا ليحفظ مافيها أولو العلم والألباب.

الباب الأول
فى بيان الخوف

جاء فى الخبر عن النبى ﷺ أنه قال ان الله تعالى خلق ملكا له جناح فى المشرق وجناح فى المغرب ورأسه تحت العرش ورجلاه تحت الأرض السابعة ، وعليه بعدد خلق الله تعالى ريش ، فاذا صلى رجل أو امرأة من أمتى على ، أمره الله تعالى بأن ينغمس فى بحر من نور تحت العرش فينغمس فيه ثم يخرج وينفض جناحه فيقطر من كل ريشة قطرة . فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا يستغفر له الى يوم القيامة .

قال بعض الحكماء : سلامة الجسد فى قلة الطعام، وسلامة الروح فى قلة الآثام ، وسلامة الدين فى الصلاة على خير الأنام .

قال تعالى ((**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله**)) يعنى اخشوا الله ((**ولتنظر نفس ماقدمت لغد**)) يعنى عملت ليوم القيامة ومعناه تصدقوا واعملوا بالطاعة لتجدوا ثوابها يوم القيامة ((**واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون**))(١) من الخير والشر ، فإن الملائكة والسماء والأرض والليل والنهار يوم القيامة يشهدون بما عمل ابن آدم من خير أو شر طاعة أو معصية حتى إن جوارحه تشهد عليه والأرض تشهد للمؤمن والزاهد فتقول : صلى على

---

(١) سورة الحشر : آية ١٨ .

وصام وحج وجاهد فيفرح المؤمن والزاهد وتشهد على الكافر والعاصى فتقول أشرك على وزنى وشرب الخمر وأكل الحـرام فياويله إن ناقشه فى الحساب أرحم الراحمين .

المؤمن هو الذى يخاف الله تعالى بجميع جوارحه كما قال الفقيـه أبو الليث : علامة خوف الله تظهر فى سبعة أشياء :

أولها : لسانه فيمنعه من الكذب والغيبة والنميمة والبهتان وكلام الفضول ويجعله مشغولا بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم .

والثانى : قلبه فيخرج منه العداوة والبهتان وحسد الإخوان ، لأن الحسد يمحو الحسنات كما قال ﷺ : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » .

واعلم أن الحسـد من الأمراض العظيمة فى القـلوب ولا تداوى أمراض القلوب الا بالعلم والعمل .

والثالث نظره فلا ينظر إلى الحرام من الأكل والشرب والكسـوة وغيرها ولا إلى الدنيا بالرغبة ، بل يكون نظره على وجه الاعتبار ولاينظر إلى ما لا يحل له كما قال ﷺ من ملأ عينيه من الحرام ملأ الله تعـالى يوم القيامة عينيه من النار .

والرابع : بطنه فلا يدخل بطنه حراما فانه إثم كبير كما قال ﷺ : اذا وقعت لقمة من الحرام فى بطن ابن آدم لعنـه كل ملك فى الأرض والسماء مادامت تلك اللقمة فى بطنه ، وإن مات على تلك الحالة فمأواه جهنم .

والخامس : يده فلا يمد يده إلى الحـرام بل يمدها إلى ما فيـه طاعة الله تعالى .

وروى عن كعب الأحبار أنه قال : ان الله تعالى خلق دارا من زبرجدة خضراء فيها سبعون ألف دار فى كل دار سبعون ألف بيت لا ينزلهـا الا رجل يعرض عليه الحرام فيتركه من مخافة الله تعالى .

والسادس : قـدمه فلا يمشى فى معصية لله بل يمشى فى طـاعته ورضاه وإلى صحبة العلماء والصلحاء .

والسابع : طاعته فيجعل طاعته خالصة لوجـه الله تعالى ويخـاف من الرياء والنفـاق فإذا فعـل ذلك فهـو من الذين قال الله تعـالى

فى حقهم : ((**والآخــرة عنـــد ربك للمتقين**))(١) وقال فى آية اخـــرى ((**ان المتقين فى جنات وعيــون**))(٢) وقال الله تعـــالى : ((**ان المتقـــين فى جنات ونعيم**)) (٣) ، وقال الله تعـــالى ((**ان المتقـين فى مقـــام امين**))(٤) كأنه تعالى يقول انهم ينجون يوم القيامة من النار .

وينبغى للمؤمن أن يكون بين الخـوف والرجاء فيرجو رحمة الله ولا ييأس منها كمـا قال الله تعـالى : ((**لا تقنطـوا من رحمـة الله**))(٥) ويعبد الله ويرجع عن أفعاله القبيحة ويتوب الى الله .

حكاية : بينما داود عليه السـلام جالس فى صومعته يتلو الزبور اذ رأى دودة حمراء فى التراب فقال فى نفسه ما أراد الله فى هـذه الدودة ؟ فاذن الله للدودة حتى تكلمت فقالت : يانبى الله أما نهارى فألهمنى ربى أن أقول فى كل يوم سبحان الله والحمـد لله ولا اله الا الله والله أكبر ألف مرة ، وأما ليلى فألهمنى ربى أن أقول فى كل ليلة اللهم صل على محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم ألف مرة ، فأنت ماتقول حتى أستفيد منك ، فندم داود عليه السلام على احتقار الدودة وخاف من الله تعالى وتاب اليه وتوكل عليه .

وكان ابراهيم الخليل صلوات الله عليه اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا فى ميل فأرسل الله اليه جبريل فأتاه فقال له الجبار يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فقال يا جبريل اذا ذكرت خطيئتى وفكرت فى عقوبته نسيت خلتى(٦) .

فهذه أحوال الأنبياء والأولياء والصالحين والزاهدين فتأمل !

---

(١) سورة الزخرف : آية ٣٥ . (٢) سورة الحجر : آية ٤٥ .
(٣) سورة الطـور : آية ١٧ . (٤) سورة الدخان : آية ٥١ .
(٥) سورة الزمــر : آية ٥٣ .

(٦) يقول صلى الله عليه وسـلم ما معناه لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتين منها فى ذات الله : قوله انى سقيم ، وقوله : بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم وقوله لسارة زوجته ان تقول للجبار إنها أخته .

الباب الثانى
فى الخوف من الله تعالى أيضا

قال أبو الليث رحمه الله تعالى : إن لله ملائكة فى السماء السابعة سجدا منذ خلقهم الله تعالى الى يوم القيامة ترتعد فرائصهم من مخالفة الله تعالى ، واذا كانوا يوم القيامة رفعوا رؤوسهم فقالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وذلك قوله تعالى : « **يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون** »(١) يعنى لا يعصون الله تعالى طرفة عين ، وقال رسول الله ﷺ إذ اقشعر جسد العبد من خشية الله تعالى تحاتت(٢) عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة ورقها •

حكى أن رجلا تعلق قلبه بامرأة فخرجت تلك المرأة الى حاجة لها فذهب الرجل معها فلما خلا بها فى البادية ونام الناس أفشى الرجل سره إليها فقالت له المرأة : انظر أنام الناس بأجمعهم ففرح الرجل بقولها وظن أنها قد أجابته فقام وطاف حول القافلة فاذا الناس نيام فرجع إليها وقال لها نعم همَ نيام فقالت : ما تقول فى الله تعالى أنائم فى هذه الساعة فقال الرجل ان الله تعالى لا ينام ولا تأخذه سنة ولا نوم فقالت المرأة ان الذى لم ينم ولا ينام يرانا وان كان الناس لا يروننا فذلك أولى أن يخاف منه ، فتركها الرجل خوفا من الخالق ، وتاب ورجع إلى وطنه ، فلما توفى رأوه فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى بخوفى وتركى ذلك الذنب •

حكاية : كان فى بنى اسرائيل رجل عابد ذو عيال واصابته المجاعة وصار مضطرا فبعث امرأته لتطلب شيئا لعيالها فجاءت الى بيت رجل تاجر وطلبت منه ما تقوت به عيالها فقال الرجل نعم ولكن مكنينى من نفسك ؟ فسكتت المرأة وعادت الى بيتها فنظرت الى عيالها يصيحون ويقولون يا أمى نحن نموت من الجوع اعطنا ما نأكله ، فذهبت إلى الرجل وكلمته فى أمر عيالها فقال لها أتكون حاجتى مقضية فقالت نعم فلما خلا بها ارتعدت مفاصلها حتى كادت أعضاؤها تزول عن مواضعها فقال لها مالك ؟ فقالت إنى أخاف الله فقال الرجل إنك تخافين الله تعالى مع ما بك من الفقر فأنا أحق بالخوف منك ، وامتنع عنها وقضى حاجتها وانصرفت

(١) سورة النحل : آية ٥٠ .
(٢) أى تساقطت .

بنعمة كثيرة الى أولادها ففرحوا ، فأوحى الى الله الى موسى عليه السلام أن قل لفلان ابن فلان انى قد غفرت ذنوبه ، فجاء موسى عليه السلام فقال لعلك قد فعلت خيرا بينك وبين الله ، فذكر القصة عليه ، فقال ان الله تعالى قد غفر لك ما كان من ذنوبك ...

كذا فى مجمع اللطائف .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : يقول الله تعالى : « لا أجمع على عبدى خوفين، ولاأمنين ، ومن خافنى فى الدنيا أمنته فى الآخرة، ومن أمننى فى الدنيا اخفته يوم القيامة » قال الله تعالى : ((**فلا تخشوا الناس واخشونى**))(١) وقال فى آية اخرى : ((**فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين** (٢))) .

وكان عمر رضى الله عنه يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه ، وأخذ يوما تبنة فقال يا ليتنى كنت تبنة ولم أك شيئا مذكورا ، ياليتنى لم تلدنى أمى، ويبكى كثيرا حتى تجرى دموعه من عينيه ، فكان فى وجهه خطان أسودان من الدموع ، وقال ﷺ لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع(٣) .

وفى رقائق الأخبار : يؤتى بعبد يوم القيامة فترجح سيآته فيؤمر به الى النار فتتكلم شعرة من شعرات عينيه وتقول يارب رسولك محمد ﷺ قال من بكى من خشية الله حرم الله تلك العين على النار وانى بكيت من خشيتك فيغفر الله له ويستخلصه من النار ببركة شعرة واحدة كانت تبكى من خشية الله فى الدنيا ، وينادى جبريل عليه السلام نجا فلان ابن فلان بشعرة واحدة .

وفى بداية الهداية : اذا كان يوم القيامة جىء بجهنم تزفر زفرة فتجثو كل امة على ركبها من هولها كما قال الله تعالى : ((**وترى كل أمة جاثية**))(٤) اى على الركب ((**كل أمة تدعى إلى كتابها**)) فاذا أتوا النار سمعوا لها تغيظا وزفيرا تسمع زفرتها من مسيرة خمسمائة عام ، وكل واحد حتى الأنبياء يقول نفسى نفسى الا صفى الأنبياء ﷺ فانه يقول

(١) سورة المائدة : آية ٤٤ .
(٢) سورة آل عمران : آية ١٧٥ .
(٣) واللبن لا يعود وكذلك من بكى من خشية الله لا يلج النار أبدا .
(٤) سورة الجاثية : آية ٢٨ .

أمتى أمتى ، وتخرج من الجحيم نار مثل الجبال فتجتهد أمة محمد ﷺ في دفعها وتقول يا نار بحق المصلين وبحق المصدقين وبحق الخاشعين وبحق الصائمين أن ترجعي فلا ترجع وينادي جبريل عليه السلام ان النار قصدت أمة محمد ﷺ ثم يأتي بقدح من ماء فيناوله رسول الله ﷺ ويقول يا رسول الله خذ هذا فرشه عليها فيرشه عليها فتطفأ في الحال فيقول ﷺ ما هذا الماء فيقول جبريل عليه السلام هذا ماء دموع عصاة أمتك الذين بكوا من خشية الله تعالى فالآن أمرت أن أعطيكه لترشه على النار فتطفأ النار بإذن الله تعالى .

وكان ﷺ يقول اللهم ارزقني عينين تبكيان من خشيتك قبل أن لا يكون الدمع :

اعيني هلا تبكيان على ذنبي تناثر عمري من يدي ولا ادري

حكى عن محمد بن المنذر رحمه الله تعالى أنه كان اذا بكى يمسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول بلغني أن النار لا تأكل موضعا مسته الدموع . فينبغي للمؤمن أن يخاف من عذاب الله وينهى نفسه عن الشهوات النفسانية كما قال الله تعالى : « **فاما من طغى * وآثر الحياة الدنيا * فان الجحيم هي المأوى * وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فان الجنة هي المأوى** »[1] ومن اراد أن ينجو من عذاب الله وينال ثوابه ورحمته فليصبر على شدائد الدنيا وطاعة الله ويجتنب المعاصي .

وفي زهر الرياض روى عن النبي ﷺ انه قال اذا دخل اهل الجنة الجنة تتلقاهم الملائكة بكل خير ونعمة فتوضع لهم المنابر وتفرش ويؤتى لهم بألوان الأطعمة والفواكه ثم تكون فيهم مع هذه النعمة حيرة فيقول الله : « يا عبادي ما هذه الحيرة وليست هذه دار حيرة » ؟ فيقولون : إن لنا موعدا قد جاء وقته . فيقول الله تعالى للملائكة : « ارفعوا الحجب عن الوجوه » فتقول الملائكة : يا ربنا كيف يرونك وقد كانوا عصاة ؟ فيقول الله تعالى : « ارفعوا الحجب فانهم كانوا ذاكرين ساجدين باكين في الدنيا طمعا في لقائي » فترفع الحجب فينظرون فيخرون سجدا لله عز وجل فيقول الله تعالى : « ارفعوا رؤوسكم فان هذه ليست بدار العمل بل دار الكرامة » فيتجلى لهم بلا كيف ويقول لهم انبساطا « سلام عليكم

---

(١) سورة النازعات : الآيات ٣٧ — ٤١ .

عبادي فقد رضيت عنكم فهل رضيتم عني» فيقولون وما لنا يا ربنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهو قوله تعالى : « رضى الله عنهم ورضوا عنه »(١) ، وقوله تعالى : « سلام قولا من رب رحيم »(٢) .

الباب الثالث
فى الصبر والمرض

من أراد أن ينجو من عذاب الله وينال ثوابه ورحمته ويدخل جنته فلينه نفسه عن شهوات الدنيا وليصبر على شدائدها ومصائبها ، كما قال الله تعالى : « والله يحب الصابرين »(٣) والصبر على اوجه : صبر على طاعة الله وصبر عن محارمه وصبر على المصيبة وعند الصدمة الأولى .

فمن صبر على طاعة الله تعالى أعطاه الله تعالى يوم القيامة ثلثمائة درجة فى الجنة كل درجة ما بين السماء والأرض ، ومن صبر عن محارم الله أعطاه الله تعالى يوم القيامة ستمائة درجة كل درجة مثل ما بين السماء السابعة والأرض السابعة ، ومن صبر على المصيبة أعطاه الله تعالى يوم القيامة سبعمائة درجة فى الجنة كل درجة ما بين العرش الى الثرى .

روى عن النبى ﷺ أنه قال ، يقول الله تعالى : « ما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بى الا أعطيته قبل أن يسألنى وأستجب له قبل أن يدعونى ، وما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بمخلوق دونى الا أغلقت أبواب السماء عنه » فيجب على العاقل أن يصبر للبلاء ولا يشكو فينجو من عذاب الدنيا والآخرة ، لأن أشد البلاء على الأنبياء والأولياء .

قال الجنيد البغدادى رحمه الله : البلاء سراج العارفين ويقظة المريدين وصلاح المؤمنين وهلاك الغافلين ، لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يأتيه البلاء ويرضى ويصبر .

وقال ﷺ من مرض ليلة فصبر ورضى عن الله تعالى خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، فإذا مرضتم فلا تتمنوا العافية .

قال الضحاك من لم يبتل بين كل أربعين ليلة ببلية أو هم أو مصيبة فليس له عند الله خير . وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال اذا ابتلى العبد المؤمن بالسقم قال لصاحب الشمال ارفع القلم عنه وقال لصاحب اليمين اكتب لعبدى أحسن ما كان يعمل .

---

(١) سورة المائدة : آية ١١٩ . (٢) سورة يس : آية ٥٨ .
(٣) سورة آل عمران آية ١٤٦ .

وجاء فى الخبر عن النبى ﷺ اذا مرض العبد بعث الله اليه ملكين فقال انظر ما يقول عبدى فان هو قال الحمد لله رفع ذلك الى الله وهو أعلم فيقول لعبد عليَّ إن أنا توفيته أن أدخله الجنة وإن أنا شفيته أن أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيآته •

حكى أنه كان فى بنى اسرائيل رجل فاسق وكان لا يمتنع عن الفسق حتى ضج أهل بلده وعجزوا عن منعه عن فسقه فتضرعوا الى الله تعالى فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام أن فى بنى اسرائيل شابا فاسقا ، فأخرجه من بلدهم حتى لا تقع عليهم النار بسبب فسقه ، فجاء موسى عليه السلام فأخرجه فذهب الشاب الى قرية من القرى فأمر الله موسى أن يخرجه من تلك القرية فأخرجه موسى عليه السلام فخرج الى مفازة ليس فيها خلق ولا زرع ولا وحوش ولا طيور فمرض فى تلك المفازة وليس عنده معين يعينه فوقع على التراب ووضع رأسه عليه وقال لو كانت والدتى عند رأسى لرحمتنى ولبكت على مذلتى ، ولو كان والدى حاضرا لأعاننى وتولى أمرى ، ولو كانت زوجتى حاضرة لبكت على فراقى ، ولو كان أولادى حاضرين عندى لبكوا خلف جنازتى ولقالوا اللهم اغفر لوالدنا الغريب الضعيف العاصى الفاسق المطرود من بلده الى قرية ومن القرية الى مفازة ومن المفازة يخرج من الدنيا الى الآخرة آيسا من كل الأشياء • اللهم قطعتنى عن والدى وأولادى وزوجتى فلا تقطعنى من رحمتك فانك أحرقت قلبى بفراقهم فلا تحرقنى بنارك لأجل معصيتى ، فأرسل الله تعالى له حوراء على صفة أمه وحوراء على صفة زوجته وغلمانا على صفة أولاده ، وملكا على صفة والده فجلسوا عنده وبكوا عليه فقال : إن هذا والدى ووالدتى وزوجتى وأولادى حضروا عندى وطاب قلبه ، ووصل الى رحمة الله تعالى طاهرا مغفورا له ، فأوحى تعالى الى موسى عليه السلام اذهب الى مفازة كذ اوموضع كذا فانه مات ولى من الأولياء فأحضره وتول أمره وواره ، فلما حضر موسى عليه السلام ذلك الموضع رأى الشاب الذى كان أخرجه من البلد ومن القرية بأمر الله تعالى ورأى الحور العين حواليه فقال موسى عليه السلام : يارب أما هذا الشاب الذى أخرجته من البلد ومن القرية بأمرك؟ فقال الله تعالى ياموسى إنى رحمته وتجاوزت عنه بأنينه فى موضعه وفراقه وطنه ووالده ووالدته وأولاده وزوجته وأرسلت اليه حوراء على صفة والدته وملكا على صفة والده وحوراء على صفة زوجته

يترحمون على مذلته فى غربته فانه اذا مات الغـريب بكى عليـه أهـل السموات وأهل الأرض رحمة له ، فكيف لا أرحمه وأنا أرحم الراحمين؟!

اذا وقع الغريب فى النزع يقول الله تعالى : يا ملائكتى هذا غريب مسافر ترك أولاده وعياله ووالديه واذا مات لا يبكى عليه أحد ولا يحزن ثم يجعل الله واحدا من الملائكة على صورة أبيه وواحدا على صـورة أمه وواحدا على صورة ولده وواحدا على صورة واحد من أقاربه فيدخلون عليه فيفتح عينيه فيرى والديه وعياله فيطيب قلبـه وتخرج روحـه مع الفرح والسرور .

ثم إذا خرجت جنازته يشـيعونها ويدعون له على قبـره إلى يوم القيامة فذاك قوله تعالى : ((الله لطيف بعباده))(١) .

وقال ابن عطاء : يتبين صدق العبد من كذبه فى أوقات البلاء والرخاء فمن شكر فى أيام الرخاء وجزع فى أيام البلاء فهو من الكـاذبين ولو اجتمع فى رجل علم الثقلين ثم هاجت عليه رياح البلاء فأظهر الشـكوى لمـا نزل به لا ينفعه علمه ولا عمله كما جاء فى الحديث القـدسى يقول الله تعالى : « من لم يرض بقضـائى ولم يشكر لعطـائى فليطلب ربا سوائى »(٢) .

حكى وهب بن منبه أن نبيا عبد الله خمسين عاما فأوحى الله اليـه أنى قد غفرت لك ، فقـال يارب لمـاذا تغفر لى ولم أذنب قط ؟ فأمـر الله عرقه فضرب عليه ولم ينم تلك الليلة فجاء ملك الصبح فشـكا اليه ما لقى من ضربان العرق فقـال ان ربك يقـول لك عبادة خمسـين عاما ما تعدل شكوى هـذا العـرق .

البـاب الرابــع

فى الرياضــة والشــهوة النفسـانية

أوحى الله الى موسى عليـه السلام : يا موسى ان أردت أن أكـون أقرب اليك من كلامك الى لسانك ومن وسوسة قلبك الى قلبك ومن روحك الى بدنك ومن نور بصرك الى عينيك ومن سمعك الى أذنك فأكثر من

---

(١) سورة الشورى : آية ١٩ .

(٢) والحديث القدسى ما كان اللفظ والمعنى من عند الله جل وعز، ويخالف القرآن الكريم فى أشياء تراجع فى مقـدمتى لكتاب المنـار المنيف لابن قيم الجوزية .

الصلاة على محمد ﷺ . قال تعالى : « ولتنظر نفس ما قدمت لغد »(١) يعني ما عملت في يوم القيامة .

اعلم أيها الإنسان أن النفس الأمارة بالسوء هي أعدى لك من ابليس وإنما يتقوى عليك الشيطان بهوى النفس ، وشهواتها فلا تغرنك نفسك بالأماني والغرور ، لأن من طبع النفس الأمن والغفلة والراحة والفترة والكسل فدعواها باطل وكل شيء منها غرور وإن رضيت عنها واتبعت أمرها هلكت وإن غفلت عن محاسبتها غرقت وإن عجزت عن مخالفتها واتبعت هواها قادتك الى النار .

وليس للنفس مرجوع إلى الخير وهي رأس البلايا ومعدن الفضيحة وهي خزانة ابليس ومأوى كل شر لا يعرفها الا خالقها واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون يعني من الخير والشر .

واذا تفكر العبد فيما مضى من عمره في طلب آخرته كان هذا التفكر غسل القلب كما قال ﷺ « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » كذا في تفسير أبي الليث .

فينبغي للعاقل أن يتوب من الذنوب الماضية ويتفكر فيما يقربه وينجو به في الدار الآخرة ، ويقصر الأمل ويعجل التوبة ويذكر الله تعالى ، ويترك المناهي ويصبر نفسه ولا يتبع الشهوات النفسانية فالنفس صنم ، فمن عبد النفس يعبد الصنم ومن عبد الله بالإخلاص فهو الذي قهر نفسه .

وروى أن مالك بن دينار كان يمشي في سوق البصرة فرأى التين فاشتهاه فخلع نعله وأعطاه الى البقال وقال أعطني التين فرأى البقال النعل وقال لا يساوي شيئا فمضى مالك ، فقيل للبقال أليس تعرف من هذا ؟ قال لا قيل هو مالك بن دينار فحمل البقال الطبق على رأس غلامه وقال له ان قبل هذا منك فأنت حر فعدا الغلام خلف مالك بن دينار وقال له أقبل هذا مني فأبى فقال أقبل فان فيه تحريري فقال له مالك ابن دينار : إن كان فيه تحريرك ففيه تعذيبي، فألح الغلام عليه فقال مالك ابن دينار حلفت أن لا أبيع الدين بالتين ولا آكل التين الى يوم الدين .

حكى أن مالك بن دينار مرض مرضه الذي مات فيه فاشتهى قدحا من العسل واللبن ليثرد فيه رغيفا حارا فمضى الخادم وحمله اليه فأخذه مالك بن دينار ونظر فيه ساعة وقال يا نفس قد صبرت ثلاثين سنة

(١) سورة الحشر : آية ١٨ .

وقد بقى من عمرك ساعة ورمى القدح من يديه وصبر نفسه ومات ... وهكذا أحوال الأنبياء والأولياء والصادقين والعاشقين والزاهدين .

قال سليمان بن داود عليه السلام ان القاهر لنفسه أشد ممن يفتح المدينة وحده .

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : ما أنا ونفسى إلا كراعى غنم كلما ضمها من جانب انتشرت من جانب آخر ، من أمات نفسه يلف فى كفن الرحمة ، ويدفن فى أرض الكرامة ، ومن أمات قلبه يلف فى كفن اللعنة ويدفن فى أرض العقوبة .

قال يحيى بن معاذ الرازى — رحمه الله تعالى : جاهد نفسك بالطاعة والرياضة فالرياضة هجر المنام وقلة الكلام ، وحمل الأذى من الأنام والقلة من الطعام ، فيتولد من قلة المنام صفو الإرادات ، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ، ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات ، ومن قلة الطعام موت الشهوات لأن فى كثرة الأكل قسوة القلب وذهاب نوره ، نور الحكمة الجوع والشبع يبعد من الله كما قال ﷺ نوروا قلوبكم بالجوع وجاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش وأديموا قرع باب الجنة بالجوع فإن الأجر فى ذلك كأجر المجاهد فى سبيل الله ، وإنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش ولن يلج ملكوت السماء من ملأ بطنه وفقد حلاوة العبادات .

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : ما شبعت منذ أسلمت لأجد حلاوة عبادة ربى ، وما رويت منذ أسلمت اشتياقا الى لقاء ربى ، لأن فى كثرة الأكل قلة العبادة ، لأنه إذا أكثر الانسان الأكل ثقل بدنه وغلبته عيناه وفترت أعضاؤه فلا يجىء منه شىء وإن اجتهد إلا النوم فيكون كالجيفة الملقاة — كذا فى منهاج العابدين .

عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه : لا تكثر النوم والأكل فان من أكثر منهما جاء يوم القيامة مفلسا من الأعمال الصالحة .. كذا فى منية الفتى .

وقال ﷺ : لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب يموت كالزرع إذا كثر عليه الماء .

ولقد شبه ذلك بعض الصالحين بأن المعدة كالقدر تحت القلب تغلى وانبخار يصل اليه ، فكثرة البخار تكدره وتسوده وفى كثرة الأكل قلة الفهم والعلم فان البطنة تذهب الفطنة .

حكى عن يحيى بن زكريا عليه السلام أن ابليس بـدا له وعليـه معاليق فقال له يحيى ما هذه قال الشهوات التى أصـيد بهـا بنى آدم قال يحيى هل تجد لى فيها شيئا قال لا الا أنك شبعت ذات ليلة فثقلناك عن الصلاة ، قال يحيى عليه السلام لا جـرم أنى لا أشبع بعدها أبدا فقال ابليس لا جـرم انى لا أنصح أحـدا أبـدا . فهـذه فيمن لم يشبع فى عمره إلا ليلة فكيف بمن لا يجوع فى عمره ليلة ثم يطمع فى العبادة .

حكى أيضا عن يحيى بن زكريا عليه السلام أنه شبع مرة من خبز شعير فنـام تلك الليلة عن ورده فأوحى الله تعـالى اليه يا يحيى هـل وجدت دارا هى خير لك من دارى ، أو وجدت جوارا هو خير لك من جوارى ، وعزتى وجلالى لو اطلعت على الفردوس واطلعت على جهنـم لبكيت الصديد بدل الدموع وللبست الحديد بدل المسوح .

البـاب الخامس

فى غلبة النفس وعداوة الشيطان

ينبغى للعاقل أن يقمع شهوة النفس بالجوع اذا الجوع قهر لعـدو الله ، قال ﷺ « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقـوا مجاريه بالجوع » ، إن أقرب الناس الى الله تعالى يوم القيامة من طـال جوعه وعطشه ، وأعظم المهلكات لابن آدم شـهوة البطن فيها أخرج آدم وحواء من دار القرار إلى دار الذل والافتقار ، اذ نهاهما عن أكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى أكلا فبدت لهما سوآتهما . والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات .

وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حب شهواتها محصورا فى سجن هفواتها ، ومنعت قلبه من الفوائد ، من سقى أرض الجوارح بالشهوات فقد غرس فى قلبه شجرة الندامة .

ان الله تعالى خلق الخلق على ثلاثة ضروب خلق الملائكة وركب فيهم العقل ولم يركب فيهم الشهوة ، وخلق البهائم وركب فيها الشهوة ولم يركب فيها العقل ، وخلق ابن آدم وركب فيها العقل والشهوة ، فمن غلبت شهوته عقله فالبهائم خير منه ،ومن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة.

حكاية : قال ابراهيم الخـواص كنت فى جبـل اللكام فرأيت رمـاناً فاشتهيته فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السـلام عليك فقال لى وعليك السلام يا إبراهيم،فقلت: من أين عرفتنى فقال: من عرف الله لا يخفى عليه شىء فقلت أرى لك مع الله حالا فهلا سـألته أن ينجيك من هذه الزنابير ؟ فقال وانى أرى لك مع الله حالا فهلا سـألته أن ينجيك من شهوة الرمان ؟ فان الرمان يجد الانسان ألمـه فى الآخـرة ولذع الزنابير يجـد ألمـه فى الدنيا ، ولذع الزنابير على النفوس ولذع الشهوات على القلوب ... فمضيت وتركته .

الشهوة تصير الملوك عبيدا ، والصبر يصير العبيد ملوكا ، ألا ترى الى قصـة يوسف عليه السلام وزليخا ، فقد صار يوسف سلطان مصر بصبره ، وصارت زليخا ذليلة حقيرة فقيرة عجوزا عمياء لأجل شهوتها ، فان زليخا لم تصبر عن محبة يوسف .

حكى أبو الحسن الرازى أنه رأى والده فى منامه بعد موته بسنتين وعليه ثياب من القطران فقال يا أبى مالى أرى عليك هيـئة أهـل النار فقال ياولدى جذبتنى نفسى الى النار فاحذر يا ولدى من خديعة نفسك :

انى ابتليت باربع : ما سـلطوا	**إلا لشـدة شـقوتى وعنائى :**
ابليس والدنيا ونفسى والهـوى	**كيف الخـلاص وكلهم اعـدائى**
وأرى الهوى تدعو اليه خواطرى	**فى ظلمـة الشـهوات والآراء**

قال حاتم الأصم رحمه الله : نفسى رباطى ، وعلمى سلاحى ، وذنبى خيبتى ، والشيطان عدوى ، وأنا بنفسى غادر .

حكى عن بعض أهل المعرفة أنه قال : الجهاد على ثلاثة أصناف : جهاد مع الكفار وهو جهاد الظاهر كالذى فى قوله تعالى : « **يجـاهدون فى سبيل الله** »(١) وجهاد مع أصحاب الباطل بالعلم والحجـة كقوله تعالى : « **وجادلهم بالتى هى أحسن** »(٢) وجهاد مـع النفس الأمـارة بالسـوء كالذى فى قـوله تعالى : « **والذين جاهـدوا فينا لنهدينهم سبلنا** »(٣) وقوله ﷺ أفضل الجهاد جهاد النفس .

ان الصـحابة رضـوان الله عليهم أجمعين كانـوا اذا رجعـوا مـن جهـاد الكفـار يقـولون رجعنـا مـن الجهـاد الأصـغر الى

---

(١) سورة المائدة : آية ٥٤ . (٢) سورة النحل : آية ١٢٥ .
(٣) سورة العنكبوت : آية ٦٩ .

الجهـــاد الأكبـر . وانمـا سـموا الجهـــاد مع الهـوى والنفس والشيطان أكبر لأن الجهاد معها أدوم وجهاد الكفار يكون فى وقت دون وقت ، لأن الغازى يرى العدو ولا يرى الشيطان ، والجهاد مع عدو يراه أسهل من الجهاد مع عدو لا يراه ، ولأن للشيطان معينا من نفسك وهـو الهوى ، وليس للكافر من نفسك معين، فلذلك كان أشد،ولأنك اذا قتلت الكافر تجد النصر والغنيمة وان قتلك الكافر تجد الشـهادة والجنـة . ولا تقدر أن تقتل الشيطان ، وإن قتلك الشيطان تقع فى عقوبة الرحمن . كما قيل من فر منه فرسه فى الحرب يقع فى أيدى الكفار ، ومن فر منه الإيمان يقع فى غضب الجبار نعوذ بالله منه ، ومن وقع فى أيدى الكفار لا تغل يده إلى عنقه ولا تقيد رجله ولا يجوع بطنه ولا يعرى بدنه ، ومن وقع فى غضب الجبار يسـود وجهه وتغل يده إلى عنقه بالأغلال وتقيد رجله بقيود النار ، ويكون طعامه نارا وشرابه نارا ولباسه من نار .

البـاب السـادس
فى الغفـــلة

الغفلة تزيد الحسرة ، الغفلة تزيل النعمة ، وتحجب عن الخـدمة ، الغفلة تزيد الحسد ، الغفلة تزيد الملامة والندامة .

حكى أن بعض الصالحين رأى أستاذه فى المنام فسأله أى الحسرة أعظم عندكم فقال حسرة الغفـــلة . وروى أن بعضهم رأى ذا النـون المصرى فى منامه فقال له ما فعل الله بك فقال أوقفنى بين يديه وقال لى يا مدع يا كذاب ادعيت محبتى ثم غفلت عنى .

أنت فى غفـلة وقلبك سـاهى ذهب العمر والذنوب كمـاهى

حكى أن رجلا من الصالحين رأى والده فى منامه فقال يا أبت كيف أنت وكيف حالك فقال له ياولدى عشنا فى الدنيا غافلين ومتنا غافلين .

وفى زهر الرياض كان يعقوب عليه السـلام مؤاخيا لملك المـوت فزاره ، فقال له يعقوب يا ملك الموت أزائراً جئت أم قابضا روحى ، فقال بل زائراً قال فإنى أسألك حاجة قال وما هى قال أن تعلمنى إذا دنا أجلى وأردت أن تقبض روحى فقال نعم أرسل اليك رسولين أو ثلاثة ، فلمـا

أنقضى أجله أتى اليه ملك الموت فقال أزائرا جئت أم لقبض روحى فقال لقبض روحك فقال أولست كنت أخبرتنى أنك ترسل الى رسولين أو ثلاثة قال قد فعلت بياض شعرك بعد سواده ، وضعف بدنك بعد قوته ، وانحناء جسمك بعد استقامته ، هذه رسلى يا يعقوب الى بنى آدم قبل الموت :

مضى الدهر والأيام والذنب حاصل ... وجاء رسول الموت والقلب غافل
نعيمك فى الدنيا غرور وحسرة ... وعيشك فى الدنيا محال وباطل

قال أبو على الدقاق دخلت على رجل صالح أعوده وهو مريض وكان من المشايخ الكبار وحوله تلاميذه وهو يبكى وقد بلغ أرذل العمر فقلت له أيها الشيخ مم بكاؤك أعلى الدنيا ؟ فقال : كلا بل أبكى على فوت صلاتى ، قلت : وكيف ذلك وقد كنت مصليا ؟ قال لأنى قد بقيت يومى هذا وما سجدت الا فى غفلة ولا رفعت رأسى الا فى غفلة وها أنا أموت على الغفلة ثم انه تنفس الصعداء وأنشد يقول :

تفكرت فى حشرى ويوم قيامتى ... واصباح خدى فى المقابر ثاويا
فريدا وحيدا بعد عز ورفعة ... رهينا بجرمى والتراب وساديا
تفكرت فى طول الحساب وعرضه ... وذل مقامى حين اعطى كتابيا
ولكن رجائى فيك ربى وخالقى ... بانك تعفو يا الهى خطائيا

وفى عيون الأخبار ذكر عن شقيق البلخى أنه قال الناس يقولون ثلاثة أقوال وقد تألفوها فى أعمالهم : يقولون نحن عبيد الله وهم يعملون عمل الأحرار وهذا خلاف قولهم • ويقولون ان الله كفيل بأرزاقنا ولا تطمئن قلوبهم الا بالدنيا ، وجمع حطامها : وهذا أيضا خلاف قولهم • ويقولون لابد لنا من الموت وهم يعملون أعمال من لا يموت وهذا أيضا خلاف قولهم •

فانظر لنفسك يا أخى بأى بدن تقف بين يدى الله تعالى وبأى لسان تجيبه ، وماذا تقول اذا سألك عن القليل والكثير ، فأعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون أى من الخير والشر، ثم وعظ المؤمنين بأن لا يتركوا أمره وبأن يوحدوه فى السر والعلانية •

جاء فى الخبر عن النبى ﷺ أنه قال : مكتوب على ساق العرش أنا مطيع من أطاعنى ومحب من أحبنى ومجيب من دعانى وغافر لمن استغفرنى ، فينبغى للعاقل أن يطيع الله بالخوف والإخلاص فى طاعته

والرضا بقضائه والصبر على بلائه ، وبالشكر على نعمائه والقناعة بإعطائه يقول الله تعالى : من لم يرض بقضائى ، ولم يصبر على بلائى ، ولم يشكر على نعمائى ولم يقنع بعطائى فليطلب ربا سوائى .

وقال رجل للحسن البصرى رحمه الله إنى لا أجد للطاعة لذة فقال له لعلك نظرت فى وجه من لا يخاف الله .

العبودية أن تترك الأشياء كلها لله .

وقال رجل لأبى يزيد رحمه الله إنى لا أجد للطاعة لذة فقال لأنك تعبد الطاعة ولا تعبد الله ، اعبد الله حتى تجد للطاعة لذة .

حكى أن رجلا دخل فى الصلاة فلما انتهى إلى قوله « **إياك نعبد** »(١) خطر بباله أنه عابد لله فى الحقيقة فنودى فى السر كذبت انما تعبد الخلق فتاب واعتزل النـــاس ، ثم شرع فى الصـــلاة فلما انتهى الى قوله « **اياك نعبد** » نودى كذبت انما تعبـــد مالك فتصـــدق بماله كله ، ثم شرع فى الصلاة فلما انتهى الى قوله « **اياك نعبد** » نودى كذبت انمـا تعبـد ثيابك فتصدق بها الا ما لابد له منـــه ، ثم شرع فيها فلمـا انتهى الى قـوله « **اياك نعبد** » نودى الآن صدقت انما تعبد ربك .

وفى رونق المجالس : ضاع لرجل جوالق فلم يدر من اخذها منه فلما دخل فى الصلاة تذكره فلما سلم قال لغلامه اذهب الى فلان ابن فلان واسترد منه الجوالق فقال له الغلام متى ذكرته فقال حين كنت فى الصلاة فقال يا مولاى كنت طالب الجوالق لا طالب الخالق ، فأعتقه مولاه ببركة اعتقاده .

فينبغى للعاقل أن يترك الدنيا ويعبد الله ويتفكر أمامـه ويريـد الآخرة ، كما قال الله تعـــالى : « **من كان يريد حـرث الآخـرة نزد له فى حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا** »(٢) اى ملاذها من لباســها وطعامهـا وشرابهـا « **نؤته منهـا وما له فى الآخرة من نصـيب** » ، بأن ينـزع من قلبه حب الآخرة ، ولذلك أنفق أبو بكر الصديق رضى الله عنه على النبى ﷺ أربعين ألف دينار فى السر وأربعين ألف دينار فى العلانية حتى لم يبق له شىء ، وكان ﷺ معرضا عن الدنيا وشهواتها ولذاتها هو وأهله ، ولذلك كان جهاز السيدة الزهـراء رضى الله عنها لمـا زوجها النبى ﷺ من على جلد كبش مدبوغ ووسادة أدم حشوها ليف .

---

(١) سورة الفاتحة : آية ٥ . (٢) ســورة الشورى : آية ٢٠ .

الباب السابع
فى نسيان الله تعالى ، والفسق والنفاق

جاءت امرأة إلى الحسن البصرى رضى الله عنه فقالت إنه كانت لى ابنة شابة فماتت وأحببت أن أراها فى المنام فجئتك كى تعلمنى ما أستعين به على رؤيتها فعلمها فرأتها وعليها لباس من قطران وفى عنقها الغل وفى رجلها القيد فأخبرت الحسن بذلك فاغتم ، ومضت مدة ثم رآها الحسن فى الجنة وعلى رأسها تاج فقالت يا حسن أما تعرفنى أنا ابنة المرأة التى أتتك وقالت لك كذا فقال لها ما الذى صيرك الى ما أرى ؟ قالت مر بنا رجل فصلى على النبى ﷺ مرة وكان فى المقبرة خمسمائة وخمسون انسانا فى العذاب فنودى ارفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل . بصلاة رجل على محمد ﷺ أصابتهم المغفرة فمن يصلى عليه منذ خمسين سنة أفلا يجد شفاعته يوم القيامة .

قال الله تعالى « **ولا تكونوا** » اى فى المعصية « **كالذين** » يعنى المنافقين الذين « **نسوا الله** »(١) يعنى تركوا امر الله وفعلوا خلافه وتلذذوا بشهوات الدنيا وركنوا الى غرورها .

وسئل رسول الله ﷺ عن المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همه فى الصلاة والصيام والمنافق همه فى الطعام والشراب كالبهيمة وترك العبادة والصلاة ، والمؤمن مشغول بالصدقة وطلب المغفرة ، والمنافق مشغول بالحرص والأمل ، والمؤمن آيس من كل أحد الا من الله ، والمنافق راج كل أحد إلا الله ، والمؤمن يقدم ماله دون دينه ، والمنافق يقدم دينه دون ماله ، والمؤمن آمن من كل احد إلا من الله ، والمنافق خائف من كل أحد الا من الله ، والمؤمن يحسن ويبكى ،والمنافق يسىء ويضحك ،والمؤمن يحب الوحدة والخلوة،والمنافق يحب الخلطة والملأ ، والمؤمن يزرع ويخشى الفساد ، والمنافق يقلع ويرجو الحصاد ، والمؤمن يأمر وينهى سياسة دينية ويصلح ، والمنافق يأمر وينهى رياسة ويفسد ، بل يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف كما قال الله تعالى : « **المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون** »

---

(١) سورة الحشر آية ١٩ .

وعـد الله المنافقين والمنافقات والكفـار نار جهنم خـالدين فيهـا هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عـذاب مقيم))(١) وقـال تعـالى : ((**ان الله جامع المنافقـين والكافرين فى جهنـم جميعـا))**(٢) الآية ... يعنى ان ماتوا على كفرهم ونفاقهم نبدأ بالمنافقين لأنهم شر من الكفـار وجعـل مأواهم جميعـا النار وقال تعالى : ((**ان المنافقـين فى الدرك الأسـفل من النار ولن تجـد لهم نصيرا))**(٣) الآية ... والمنافق اشـتقاقه فى اللغـة نافقاء اليربوع ويقال ان لليربوع حجرتين احداهما النافقاء والأخـرى القاصعاء فيظهر نفسـه فى احداهما ويخـرج من الأخرى ، ولهذا سمى المنافق منافقا ، لأنـه يظهر من نفسه أنه مسلم ويخرج من الإسلام إلى الكفـر .

وفى الحديث : مثل المنافق كمثل الشـاة ترى بين قطيعين من الغنم تارة تسير الى هذا القطيع وتارة الى هذا القطيع ولا تسكن نواحد منهما لأنها غريبة ليست منهما . وكذلك المنافق لا يستقر مع المسلمين بالكلية ولا مع الكافرين .

ان الله خلق النار ولها سـبعة أبواب كما قال الله تعالى : ((**لها سبعة ابواب))**(٤) الآية ... من حـديد مطبقة باللفـة وعليها ظهارة النحاس وبطانة الرصاص(٥) فى أصلها العذاب وفوقها السخط وأرضها من نحاس وزجاج وحديد ورصاص ، النار من فوق أهلها والنار من تحتهم ، والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم ، طبقاتها بعضها فوق بعض أعد للمنافقين منها الدرك الأسفل .

وجاء فى الخبر أن جبريل أتى النبى ﷺ فقال : يا جبريل صف لى النار وحرها فقال ان الله عـز وجل خلق النار فأوقدها ألف عـام حتى احمرت ثم أوقدها ألف عـام حتى ابيضت ثم أوقـدها ألف عـام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة والذى بعثك بالحق نبيـا لو أن ثوبا من ثياب أهل النار ظهر لأهل الأرض لماتوا جميعا ولو ان دلوا من شرابها صب على ماء الأرض جميعه لقتل من ذاقه ولو أن ذراعا من السلسلة التى ذكرها

---

(١) سورة التوبة : آية ٦٧ ، ٦٨ .
(٢) سورة النساء : آية ١٤٠ . (٣) سورة النساء : آية ١٤٥ .
(٤) سورة الحجر : آية ٤٤ .
(٥) أصل الظهارة ما ظهر من الثوب والبطانة بعكسها .

الله تعالى بقوله : ((**فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا**))(١) الآية ...
كل ذراع طوله من المشرق الى المغرب ولو وضع على جبال الدنيا لذابت
ولو أن رجلا دخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه .

وسأل ﷺ جبريل فقال يا جبريل صف لى أبواب جهنم أهى كأبوابنا هذه فقال يا رسول الله ولكنها طباق بعضها أسفل من بعض ، من الباب الى الباب مسيرة سبعين سنة كل باب منها أشد حرا من الذى يليه بسبعين ضعفا . وسأله أيضا عن سكان هذه الأبواب فقال أما الأسفل ففيه المنافقون واسمه الهاوية كما قال الله تعالى : ((**ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار**))(٢) والباب الثانى فيه المشركون واسمه الجحيم ، والباب الثالث فيه الصابئون واسمه سقر ، والباب الرابع فيه ابليس عليه اللعنة ومن تبعه من المجوس واسمه لظى ، والباب الخامس فيه اليهود واسمه الحطمة ، والباب السادس فيه النصارى واسمه السعير ، ثم أمسك جبريل عليه السلام فقال له رسول الله ﷺ لم تخبرنى عن سكان الباب السابع فقال جبريل يا محمد لا تسألنى عنه فقال له أخبرنى عنه فقال فيه أهل الكبائر من أمتك الذين ماتوا ولم يتوبوا .

روى أنه لما نزل قوله تعالى : ((**وان منكم الا واردها**))(٣) اشتد خوفه ﷺ على أمته وبكى بكاء شديدا فالعارف بالله وبشدة سطوته وقهره يخافه خوفا شديدا ويبكى على نفسه وتفريطه قبل أن يرى هذه الشدائد ويعاين هذه الدار المخوفة وقبل أن تنتهك الأستار ويعرض على المنتقم الجبار ويؤمر به الى النار .

فكم من شيخ ينادى فى النار واشيبتاه ، وكم من شاب ينادى فى النار واشباباه ، وكم من امرأة فى النار تنادى وافضيحتاه واهتك ستراه ، وقد سودت وجوههم وأجسادهم وانكسرت ظهورهم فلا يكرم كبيرهم ولا يرحم صغيرهم ولا تستر نساؤهم .

اللهم أجرنا من النار ومن عذاب النار ومن كل عمل يقربنا الى النار ، وأدخلنا الجنة مع الأبرار برحمتك يا عزيز يا غفار ، اللهم استر عوراتنا ،

---

(١) سورة الحاقة : آية ٣٢ . (٢) سورة النساء : آية ١٤٥ .
(٣) سورة مريم : آية ٧١ .

وآمن روعاتنا ، وأقلنا من عثراتنا ، ولا تفضحنا بين يديك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الباب الثامن
فى التوبة

التوبة واجبة على كل مسلم ومسلمة ، قال الله تعالى : « **توبوا الى الله توبة نصوحا** »(١) والأمر للوجوب . وقال تعالى : « **ولا تكونوا كالذين نسوا الله** » يعنى عاهدوا الله ونبذوا كتابه وراء ظهورهم « **فانساهم أنفسهم** » يعنى انساهم حالهم حتى لم ينهوا انفسهم ولم يقدموا لها خيرا . وقال ﷺ : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » ، « **أولئك هم الفاسقون** »(٢) يعنى العاصون الناقضون عهدهم ، أى الخارجون عن طريق الهداية والرحمة والمغفرة ، والفاسق على نوعين فاسق كافر وفاسق فاجر ، فالفاسق الكافر هو من لم يؤمن بالله ورسوله وخرج عن الهداية ودخل فى الضلالة كما قال الله تعالى : « **ففسق عن امر ربه** »(٣) يعنى خرج عن طاعة أمر ربه بالايمان ، والفاسق الفاجر هو الذى يشرب الخمر ويأكل الحرام ويزنى ويعصى الله تعالى ويخرج من طريق العبادة ويدخل فى المعصية ولا يأتى بالشرك .

والفرق بينهما أن الفاسق الكافر لا يرجى غفرانه إلا بالشهادة والتوبة قبل موته ، والفاسق الفاجر يرجى غفرانه بالتوبة والندامة قبل الموت ، فان كل معصية أصلها من الشهوة النفسانية يرجى غفرانها وكل معصية أصلها من الكبر لا يرجى غفرانها .

ومعصية ابليس كان أصلها من الكبر .

فينبغى لك أن تتوب من ذنوبك قبل الموت رجاء أن يقبلك الله ، كما قال الله تعالى: « **وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات** »(٤) الآية .. يعنى يتجاوز عما عملوا بقبوله التوبة . وقال ﷺ : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

حكى أن رجلا كان كلما أذنب يكتب ذنبه فى ديوان فأذنب يوما ذنبا فنشر ديوانه ليكتب فيه فلم يجد فيه الا قوله تعالى : « **فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات** »(٥) الآية ... يعنى يبدل مكان الشرك

(١) سورة التحريم : آية ٨ .
(٢) سورة الحشر : آية ١٩ .
(٣) سورة الكهف : آية ٥٠ .
(٤) سورة الشورى: آية ٢٥ .
(٥) سورة الفرقان : آية ٧٠ .

الإيمان ، ومكان الزنا العفو ، ومكان المعصية العصمة والطاعة .

وحكى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر وقتا من الأوقات من سكك المدينة فاستقبله شاب وهو حامل قارورة تحت ثيابه فقال عمر أيها الشاب ما الذى تحمل تحت ثيابك وكان خمراً ، فخجل الشاب أن يقول خمرا وقال فى سره الهى لا تخجلنى عند عمر ولا تفضحنى واسترنى عنده فلا أشرب الخمر أبدا ، ثم قال يا أمير المؤمنين الذى أحمل هو خل ، فقال أرنى حتى أراها فكشفها بين يديه فرآها عمر صارت خلا .

فانظر الى مخلوق تاب من خوف مخلوق فبدل الله سبحانه وتعالى خمره بالخل لما علم منه إخلاص التوبة ، فلو تاب العاصى المفلس عن الأعمال الفاسدة توبة نصوحا وندم على ذنبه بدل الله سبحانه وتعالى ، خمر سيئاته بخل الطاعة .

وذكر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : خرجت ذات ليلة بعدما صليت العشاء الآخرة مع رسول الله ﷺ فاذا أنا بامرأة فى الطريق فقالت يا أبا هريرة إنى ارتكبت ذنبا فهل لى من توبة فقلت ما ذنبك ؟ قالت إنى زنيت وقتلت ولدى من الزنا ، فقلت لها هلكت وأهلكت ، والله مالك من توبة فخرت مغشيا عليها فمضيت ، فقلت فى نفسى أفتى ورسول الله ﷺ بين أظهرنا فرجعت إليه فأخبرته بذلك فقال هلكت وأهلكت فأين أنت من هذه الآية : ((**والذين لا يدعون مع الله إلها آخر**)) إلى قوله : ((**فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات**))(1) الآية ... فخرجت وقلت من يدلنى على امرأة سألتنى مسئلة والصبيان يقولون جُن أبو هريرة حتى أدركتها وأخبرتها بذلك فشهقت شهقة من السرور وقالت ان لى حديقة جعلتها صدقة لله ورسوله .

حكاية : عن عتبة الغلام رحمه الله تعالى وكان من اهل الفسق والفجور مشهورا بالفساد وشرب الخمر فدخل يوما فى مجلس الحسن البصرى وهو يقرأ فى تفسير قوله تعالى : ((**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله**))(2) يعنى ألم يجىء وقت تخاف قلوبهم ؟ فوعظ الشيخ فى تفسيره هذه الآية وعظا بليغا حتى أبكى الناس ، فقام من بينهم شاب فقال يا تقى المؤمنين أيقبل الله تعالى الفاسق الفاجر

(1) سورة الفرقان الآيات ٦٨ — ٧٠ .
(2) سورة الحديد : آية ١٦ .

مثلى اذا تاب ؟ فقال الشيخ نعم يقبل الله توبة فسقك وفجورك فلما سمع عتبة الغلام هذا الكلام اصفر وجهه وارتعدت فرائصه فصاح صيحة فخر مغشيا عليه فلما أفاق دنا منه الحسن وقال الأبيات :

أيا شابا لرب العرش عاصى أتدرى ما جزاء ذوى المعاصى
سعير للعصاة لها زفير وغيظ يوم يؤخذ بالنواصى
فان تصبر على النيران فاعصه والا كن عن العصيان قاصى
وفيما قد كسبت من الخطايا رهنت النفس فاجهد فى الخلاص

فصاح عقبة صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه ، فلما أفاق قال يا شيخ هل يقبل لرب الرحيم توبة مثلى اللئيم ؟ فقال الشيخ هل يقبل توبة العبد الجافى الا الرب المعافى ؟ ثم رفع رأسه ودعا ثلاث دعوات : الأولى قال الهى ان كنت قبلت توبتى ، وغفرت ذنوبى فأكرمنى بالفهم والحفظ حتى أحفظ كل ما سمعت من العلم والقرآن ، والثانية قال الهى أكرمنى بحسن الصوت حتى ان كل من سمع قراءتى يزداد رقة فى قلبه وان كان قاسى القلب ، والثالثة قال الهى أكرمنى بالرزق الحلال وارزقنى من حيث لا أحتسب • فاستجاب الله جميع دعائه حتى زاد فهمه وحفظه وكان اذا قرأ القرآن تاب كل من سمع قراءته ، وكان يضع فى بيته كل يوم قصعة من المرق ورغيفان ولا يدرى أحد من يضعها وكان على هذه الحال حتى فارق الدنيا •

وهذا حال من أناب الى الله تعالى ، لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا •

وسئل بعض العلماء هل يعرف العبد اذا تاب أن توبته قبلت أم ردت ؟ فقال لا حكم فى ذلك ولكن لذلك علامات أن يرى نفسه معصومة من المعصية ، ويرى الفرح عن قلبه غائبا والرب شاهدا ، ويقارب أهل الخير ويباعد أهل الفسق ، فيرى القليل من الدنيا كثيرا والكثير من عمل الآخرة قليلا ، ويرى قلبه مشتغلا بما فرض الله تعالى عليه ، ويكون حافظا لسانه دائم الفكرة ملازم الغم والندامة على ما فرط من ذنوبه •

الباب التاسع

فى المحبة

ذُكر أن رجل رأى صورة قبيحة فى البادية فقال من أنت قالت أنا عملك القبيح ، قال: فما النجاة منك قالت الصلاة على النبى ﷺ كما قال ﷺ « الصلاة على نور على الصراط ومن صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين عاما » .

وحكى أن رجلا كان غافلا عن الصلاة على سيدنا محمد فرأى النبى ﷺ ليلة فى المنام ولم يلتفت إليه فقال يا رسول الله أأنت علىّ غضبان ؟ قال لا قال فلم لا تنظر إلى قال لأنى لا أعرفك . فقال كيف لا تعرفنى وأنا رجل من أمتك وقد روى العلماء أنك أعرف بأمتك من الوالدة بالولد فقال صدقوا ولكن إنك لا تذكرنى بالصلاة ، وإن معرفتى بأمتى بقدر صلاتهم علىّ ثم انتبه الرجل وأوجب على نفسه أن يصلى على النبى ﷺ كل يوم مائة مرة ففعل ذلك ثم رآه بعد ذلك فى المنام فقال أعرفك الآن وأشفع لك ، أى لأنه صار محبا لرسول الله . انتهى .

قال الله تعالى : ((**قل إن كنتم تحبون الله**))[1] الآية . . . سبب نزولها ان رسول لله ﷺ لما دعا كعب بن الأشرف وأصحابه الى الاسلام قالوا نحن فى المنزلة أبناء الله ولنحن أشد حبا لله . فقال الله تعالى لنبيه : ((**قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى**))[1] على دينى فانى رسول الله أؤدى رسالته اليكم وحجته عليكم ((**يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم**))[1] .

وحب المؤمنين لله اتباعهم أمره وايثار طاعته وابتغاء مرضاته ، وحب الله للمؤمنين ثناؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم وإنعامه عليهم برحمته وعصمته وتوفيقه .

قال الامام فى احيائه[2] من ادعى أربعا من غير أربع فهو كذاب : من ادعى حب الجنة ولم يعمل بالطاعة فهو كذاب ،

---

(١) سورة آل عمران : آية ٣١ .

(٢) أى الإمام الغزالى فى إحياء علوم الدين .

ومن ادعى حب النبى ﷺ ولم يحب العلماء والفقراء فهو كذاب ، ومن ادعى الخوف من النار ولم يترك المعاصى فهو كذاب ، ومن ادعى حب الله تعالى وشكا من البلوى فهو كذاب ، كما قالت رابعة :

تعصى الاله وانت تظهر حبــــه ‏ ‏ هــذا لعمـرى فى القيـــاس بديع
ولو كان حبك صـــادقا لأطعتــه ‏ ‏ ان المحب لمــن يحب مطيـــع

وعلامة المحبة موافقة المحبوب واجتنابه خلافه .

حكى ان جماعة دخلوا على الشبلى رحمه الله تعالى فقال من أنتم قالوا نحن أحباؤك فأقبل ثم رماهم بالحجارة فهربوا منه فقال لهم تهربون منى لو كنتم أحبائى لما فررتم من بلائى ، ثم قال الشبلى رحمه الله أهل المحبة شربوا بكأس الوداد فضاقت عليهم الأرض والبلاد وعرفوا الله حق معرفته وتاهوا فى عظمته وتحيروا فى قدرته وشربوا بكأس حبه وغـرقوا فى بحـر أنسه وتلذذوا بمناجاته ، ثم أنشـد :

ذكـر المحبـة يا مولاى اسـكرنى ‏ ‏ وهـل رايت محبـا غير سـكران

ويقال أن البعير اذا سكر لا يأكل العلف أربعين يوما ولو حمـل عليه أضعاف ما يحمله لحمله ، لأنه اذا هاج فى قلبه ذكر محبوبه لا يحب العلف ولا يعيا من الحمل الثقيل لاشتياقه الى محبوبه .

فإذا كان من شـأن الابـل أن تترك شـهوتها وتحمـل الحمـل الثقيـل لأجـل محبوبهـا فهـل أنتـم تركتـم شـهوة محـرمة لأجـل الله ، وهـل تركتـم طعامـا وشرابـا لأجـل الله تعـالى وهـل حملتـم على أنفسـكم حمـلا ثقيـلا لأجـل الله تعالى ، فان لم تفعلوا شيئا من الخيرات مما ذكرت فدعواكم اسـم بلا معنى لا تنفع فى الدنيا ولا فى العقبى ، ولا عند الخلق ولا عند الخالق .

وعن على كرم الله وجهه قال : من اشتاق الى الجنـة سـارع الى الخيرات ، ومن خاف النار نهى نفسه عن الشهوات ، ومن تيقن الموت هانت عليه اللذات .

وسئل ابراهيم الخواص عن المحبة فقال : محو الارادات واحـراق جميع الصفات والحاجات واغراق نفسه فى بحر الاشارات .

الباب العاشر

فى العشـــق

الحب عبارة عن : ميل الطبع الى الشىء الملذ ، فان تأكد ذلك الميل وقوى سمى عشقا فيجاوز الى أن يكون رقيقا لمحبوبه وينفق ما يملكه لأجله الا ترى الى زليخا بلغ بها من محبة يوسف عليه السلام ان ذهب مالها وجمالها وكان لها من الجواهر والقلائد وقـــر سبعين جملا وقد أنفقتها كلها فى محبة يوسف وكل ما قال رأيت يوسف اليوم أعطته قلادة تغنيه حتى لم يبق لها شىء وكانت تسمى كل شىء باسـم يوسف وقد نسيت كل شىء سواه من فرط العشـــق واذا رفعت رأسها الى السماء رأت اسم يوسف مكتوبا على الكواكب •

وروى أنها لما آمنت وتزوجت به عليــه الســـلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت إلى الله تعالى ، فكان يدعوها الى فراشه نهارا فتدافعه الى الليل فاذا دعاها ليلا سوفت به الى النهـــار وقالت يايوسف إنما كنت أحبك قبل أن أعرفه ، فأما إذا عرفتــه فما أبقت محبته محبة لسواه وما أريد بــه بدلا ، حتى قال لها ان الله جــل ذكره أمرنى بذلك وأخبرنى أنه مخـــرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت أمـا اذا كان الله تعالى أمرك بذلك وجعلنى طريقا اليــه فطاعته لأمـــر الله تعالى فعنـدها سكنت اليه •

وحكى أن مجنون ليلى قيل له ما اسمك قال ليلى وقيل له يوما أو ماتت ليلى قال ان ليلى فى قلبى لم تمت أنا ليلى ، ومر يوما على دار ليلى فنظـــر الى الســـماء فقيل له يا مجنون لا تنظـــر الى السماء ولكن انظر الى جدار ليلى لعلك تراها قال أنا أكتفى بنجم يقع ظله على دار ليلى •

وحكى عن منصور الحلاج رحمه الله تعالى أنهم حبســوه ثمانيـــة عشر يوما فجــاءه الشبلى رضى الله عنه فقال يا منصـــور ما المحبة فقال لا تسألنى اليوم واسألنى غـــدا فلما جاء الغـــد وأخرجـــوه من السجن ونصبوا النطع لأجـــل قتله ، مر الشبلى بين يديه فنادى يا شبلى المحبـــة أولهـــا حرق وآخرها قتـــل •

اشارة لما تحقق للحلاج رضى الله عنه فى نظره أن كل شيء ماخلا الله باطل ، وعلم أن الله هو الحق نسى عند تحقق اسم الحق اسم نفسه ، فسئل من أنت قال أنا الحق .

روى أن صدق المحبة فى ثلاث خصال أن يختار كلام حبيبه على كلام غيره ويختار مجالسة حبيبه على مجالسة غيره ، ويختار رضا حبيبه على رضا غيره . كذا فى المنتهى .

وقيل : العشق هتك الأستار وكشف الأسرار ، والوجد عجز الروح عن احتمال غلبة الشوق عند وجود حلاوة الذكر ، حتى لو قطع عضو من أعضائه لا يحس ولا يشعر .

وحكى ان رجلا كان يغتسل فى الفرات فسمع رجلا يقرأ « **وامتازوا اليوم أيها المجرمون** »(١) فلم يزل يضطرب حتى غرق ومات .

وعن محمد بن عبد الله البغدادى قال رأيت فى البصرة شابا على سطح مرتفع قد أشرف على الناس وهو يقول من مات عاشقا فليمت هكذا لا خير فى عشق بلا موت ثم رمى بنفسه فحمل ميتا .

قال الجنيد رحمه الله تعالى : التصوف ترك الاختيار .

وحكى أن ذا النون المصرى رحمه الله دخل المسجد الحرام فرأى شابا عريانا مطروحا مريضا تحت اسطوانة وله أنين من قلب حزين قال فدنوت منه وسلمت عليه وقلت له من أنه يا غلام قال أنا غريب عاشق فعلمت ما يقول ، قلت وأنا مثلك فبكى وبكيت أنا ببكائه قال أتبكى أنت فقلت أنا مثلك فبكى بأعلى صوته وصاح صيحة عظيمة عالية فخرجت روحه من ساعته فطرحت عليه ثوبى وخرجت من عنده لطلب الكفن فاشتريت الكفن ورجعت اليه فلم أجده فى مكانه فقلت سبحان الله فسمعت هاتفا يقول : ياذا النون ان هذا الغريب الذى طلبه الشيطان فى الدنيا فما وجده وطلبه مالك فلم يره وطلبه رضوان فى الجنة فما وجده ، قلت فأين هو قال فسمعت هاتفا يقول « **فى مقعد صدق عند مليك مقتدر** »(٢) بسبب محبته وكثرة طاعته وتعجيل توبته كذا فى زهر الرياض .

وسئل بعض المشايخ عن المحب فقال قليل الخلطة كثير الخلوة دائم الفكرة ظاهر الضمت ، لا يبصر اذا نظر ولا يسمع إذا نودى ولا يفهم

---

(١) سورة يس : آية ٥٩ . (٢) سورة القمر : آية ٥٥ .

إذا كلم ولا يحزن اذا أصيب بمصيبة واذا أصيب بجوع فلا درى ، ويعرى ولا يشعر ويشتم ولا يخشى ، ينظر الى الله تعالى فى خلوته ويأنس به ويناجيه ، ولا ينازع أهل الدنيا فى دنياهم ، وقد قال أبو تواب النخشى فى علامات المحبة أبياتا :

لا تخدعن فللحبيب دلائل ... ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه ... وسروره فى كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة ... والفقر اكرام وبر عاجل
ومن الدلائل ان ترى من عزمه ... طوع الحبيب وان الح العاذل
ومن الدلائل ان يرى متبسما ... والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل ان يرى متفهما ... لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل أن يرى متقشفا ... متحفظا من كلِّ ما هو قائل

حكاية : مر عيسى عليه السلام بشاب يسقى بستانا فقال الشاب لعيسى سل ربك أن يرزقنى من محبته مثقال ذرة فقال عيسى لا تطيق مقدار ذرة ، فقال نصف ذرة ، فقال عيسى عليه السلام يارب ارزقه نصف ذرة من محبتك ، فمضى عيسى عليه السلام فلما كان بعد مدة طويلة مر بمحل ذلك الشاب فسأل عنه فقالوا جنّ وذهب إلى الجبال ، فدعا الله عيسى عليه السلام أن يريه أياه فرآه بين الجبال فوجده قائما على صخرة شاخصا طرفه الى السماء فسلم عيسى عليه السلام فلم يرد عليه ، فقال أنا عيسى فأوحى الله تعالى الى عيسى كيف يسمع كلام الآدميين من كان فى قلبه مقدار نصف ذرة من محبتى ، فوعزتى وجلالى لو قطعته بالمنشار لما علم بذلك .

من ادعى ثلاثة ولم يتطهر من ثلاثة فهو مغرور أولها من ادعى حلاوة ذكر الله وهو يحب الدنيا ، وثانيها من ادعى محبة الاخلاص فى العمل ويحب تعظيم الناس له ، وثالثها من ادعى محبة خالقة من غير اسقاط نفسه .

وقال رسول الله ﷺ : سيأتى زمان على أمتى يحبون خمسا وينسون خمسا : يحبون الدنيا وينسون الآخرة ، ويحبون المال وينسون الحساب ، ويحبون الخلق وينسون الخالق ، ويحبون الذنوب وينسون التوبة ، ويحبون القصور وينسون المقبرة .

وقال منصور بن عمار لشاب يعظه يا شاب لا يغرك شبابك فكم من شاب أخر التوبة وأطال الأمل ولم يذكر موته ، فقال إنى أتوب غدا أو بعد غد فجاءه ملك الموت وهو غافل عن التوبة فصار فى جوف القبر

لا ينفعه مال ولا عبـد ولا ولد ولا أب ولا أم ، كما قال الله تعالى ((**يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم**))(١) .

اللهم ارزقنا التوبة قبل الموت ، ونبهنا عند الغفلة وانفعنا بشفاعة نبينا خير المرسلين ﷺ

صفة المؤمن أن يتوب من يومه وساعته ، ويندم على ما فعل من ذنوبه ويرضى بالقوت من الدنيا ولا يشتغل بالدنيا ، بل يشتغل بعمل الآخرة ويعبد الله تعالى بالإخلاص .

حكاية : كان رجـل بخيل منـافق حلف على زوجتـه بالطـلاق ان لا تتصدق بصدقة فجاء سائل على باب داره وقال يا أهـل الدار بحق الله ألا أعطيتمونى شيئا فأعطتـه المرأة ثلاثة أرغفة فاستقبله المنـافق وقال من أعطاك هـذه الأرغفة قال أعطـونى من الدار الفلانية فكانت داره فدخل المنافق داره وقال لامرأته ألست قد حلفت عليك أن لا تعطى أحـدا شيئا فقالت أعطيت لأجل الله عز وجل فذهب المنـافق وأوقـد التنور حتى حمى ، ثم قال قومى فألقى نفسك فى التنور لأجل الله ، فقامت المرأة وأخذت حللها فقال المنافق دعى الحلل فقالت المرأة الحبيب يتزين نحبيبه ، وأنا زائرة لحبيبى ثم ألقت نفسـها فى التنور فأطبق المنـافق عليها ومضى ، فلمـا تم لهـا ثلاثة أيام جـاء المنافق ففتح عليها رأس التنور ، فرأى المرأة سالمة بقدرة الله تعالى فتعجب الرجل من تلك الحال فهتف به هاتف يقول ما علمت أن النار لا تحرق أحبابنا .

وحكى أن آسية امرأة فرعون كانت تكتم ايمانها من فرعـون فلمـا اطلع فرعون على ايمانها أمر بها أن تعذب فعذبوها بأنواع العذاب وقال ارتدى فلم ترتد . فأتى بأوتاد وضربوها على أعضـائها ثم قال ارتدى فقالت انك تعلم أن نفسى وقلبى فى عصمة ربى لو قطعتنى اربا ما ازددت إلا حبا ، فمر موسى عليه السلام بين يديها فنادت موسى : أخبرنى أراض عنى ربى أم ساخط قال موسى عليه السلام يا آسية ملائكة السموات فى انتظارك أى مشتاقة اليك والله يباهى بك فاسألينى حاجتك فانها مقضية فقالت : ((**رب ابن لى عنـدك بيتـا فى الجنـة ونجنى من فرعـون وعمله ونجنى من القوم الظالمين**))(٢) .

وعن سلمان رضى الله عنه قال كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فاذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها وكانت ترى بيتها فى الجنة .

---

(١) سورة الشعراء : الايتان ٨٨ ، ٨٩ .
(٢) سورة التحريم : آية ١١ .

وعن أبى هريرة أن فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد واضجعها وجعل على صدرها رحى واستقبل بها عين الشمس فرفعت راسها الى السماء فقالت : ((**رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة**))(١) الآية ... قال الحسن فنجاها الله اكرم نجاة ورفعها الى الجنة فهى تأكل وتشرب .

وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء إليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين ودليل المؤمنين .

الباب الحادى عشر
فى طاعة الله ومحبته ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى : ((**قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله**))(٢) اعلم رحمك الله ان محبة العبد لله ولرسوله طاعته لهما واتباعه أمرهما ومحبة الله للعباد إنعامه عليهم بالغفران .

قيل العبد اذا علم أن الكمال الحقيقى ليس إلا لله وأن كل ما يرى كمالا من نفسه أو من غيره فهو من الله وبالله لم يكن حبه إلا لله وفى الله ، وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول ﷺ فى عبادته والحث على طاعته .

وعن الحسن قال أقوام على عهد رسول الله ﷺ يا محمد انا لنحب ربنا فأنزل الله هذه الآية .

وعن بشر الحافى رضى الله عنه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال يا بشر أتدرى بم رفعك الله من بين أقرانك قلت لا يا رسول الله قال **بخدمتك للصالحين ونصيحتك لاخوانك ومحبتك لأصحابك وأهل سنتى واتباعك لسنتى** .

قال ﷺ من أحيا سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى يوم القيامة فى الجنة .

وجاء فى الآثار المشهورة أن المتمسك بسنة سيد الخلائق والمرسلين عند فساد الخلق واختلاف المذاهب له أجر مائة شهيد كذا فى شرعة الاسلام . وقال « كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا من أبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى كل عمل ليس على سنتى فهو معصية » .

---

(١) سورة التحريم : آية ١١ . (٢) سورة آل عمران : آية ٣١

وقال بعضهم لو رأيت شيخا يطير فى الهواء أو يمشى على البحر أو يأكل النار أو غير ذلك وهو يترك فرضا من فرائض الله تعالى أو سنة من السنن عامدا فاعلم أنه كذاب فى دعواه وليس فعله كرامة بل هو استدراج ، نعوذ بالله منه .

قال الجنيد رحمه الله ما وصل أحد إلى الله إلا بالله والسبيل الى الوصول إلى الله متابعة المصطفى ﷺ .

وقال أحمد الحوارى رحمه الله كل عمل بغير اتباع السنة فباطل كما قال ﷺ من ضيع سنتى حرمت عليه شفاعتى ... كذا فى شرعة الاسلام .

حكى أن رجلا من بعض المجانين ما استجهله فيه فأخبر بذلك معروف الكرخى رحمه الله فتبسم ثم قال يا أخى له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذى رأيته من مجانينهم .

وحكى عن الجنيد أنه قال مرض أستاذنا السرى رحمه الله فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا لها سببا فوصف لنا طبيب حاذق فأخذنا قارورة مائه فنظر اليها الطبيب وجعل ينظر اليه مليا ثم قال أراه بول عاشق قال الجنيد فصعقت وغشى على ووقعت القارورة من يدى ثم رجعت الى السرى فأخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما أبصره قلت يا أستاذ وتبين المحبة فى البول قال نعم .

قال الفضيل رحمه الله إذا قيل لك أتحب الله فاسكت فإنك إن قلت : لا كفرت وإن قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت .

وقال سفيان من أحب من يحب الله تعالى فإنما أحب الله ، ومن أكرم من يكرم الله تعالى فإنما يكرم الله تعالى .

وقال سهل علامة حب الله حب القرآن ، وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبى ﷺ ، وعلامة حبه ﷺ حب السنة ، وعلامة حب السنة حب الآخرة ، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا ، وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها الا زادا وبلغة الى الآخرة . قال أبو الحسن الزنجانى أصل العبادة على ثلاثة أركان العين والقلب واللسان ، فالعين بالعبرة والقلب بالفكرة واللسان بالصدق والتسبيح والذكر كما قال الله تعالى : « **اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا** »(1) ، يعنى غدوا وعشيا .

---

(1) سورة الأحزاب : الايتان ٤١ ، ٤٢ .

حكى أن عبد الله وأحمد بن حرب حضرا موضعا فقطع أحمد بن حرب قطعة من حشيش الأرض فقال له عبد الله حصل عليك خمسة أشياء شغل قلبك به عن تسبيح مولاك ، وعودت نفسك الاشتغال بغير ذكر الله تعالى ، وجعلت ذلك طريقا يقتدى بك فيه ، ومنعته عن تسبيح ربه ، وألزمت نفسك حجة الله عز وجل يوم القيامة . كذا فى روق المجالس .

وعن السرى رضى الله عنه قال رأيت مع الجرجانى سويقا يستف منه فقلت لماذا لا تأكل طعاما غيره ؟ قال انى حسبت ما بين المضغ والاستقاف تسعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة .

وكان سهل بن عبدالله يأكل فى كل خمسة عشر يوما فإذا دخل رمضان لم يأكل الا أكلة واحدة ويصبر فى بعض الأوقات عن الطعام سبعين يوما ، وكان إذا أكل ضعف وإذا جاع قوى ، وجاور أبو حماد الأسود فى المسجد الحرام ثلاثين سنة وما رؤى أنه أكل وشرب ولا يخلو ساعة من ذكر الله .

وحكى أن عمرو بن عبيد كان لا يخرج من منزله الا لثلاث : للصلاة مع الجماعة ، ولعيادة المريض ، ولحضور الجنازة ، ويقول رأيت الناس سراقا وقطاعا للطريق .

العمر جوهر نفيس لا قيمة له فينبغى أن تملأ منه خزانة باقية فى الآخرة . واعلموا بأن طالب الآخرة لابد له من الزهد فى الحياة الدنيا ليصير همه هما واحدا ، ولا يفترق باطنه من ظاهره ، ولا يمكن حفظ الحال الا بضبط الظاهر والباطن .

وحكى عن ابراهيم بن الحاكم أنه قال كان أبى اذا جاءه النوم دخل البحر فيسبح فتجتمع اليه حيتان البحر يسبحون معه .

وحكى أن وهب بن منبه دعا الله أن يرفع عنه النوم بالليل فذهب عنه النوم أربعين سنة .

وكان حسن الحلاج قيد نفسه من كعبه الى ركبته بثلاثة عشر قيدا ، وكان يصلى مع ذلك كل يوم وليلة ألف ركعة وكان الجنيد يأتى الى السوق فى بداية أمره فيفتح حانوته فيدخله ويسبل الستر فيصلى أربعمائة ركعة ثم يرجع الى بيته . وصلى حبشى ابن داود صلاة الغداة أربعين سنة على طهر العشاء .

فينبغى للمؤمن أن يكون دائما على الطهارة وكلما أحدث يتطهر ويصلى ركعتين ويجتهد أن يستقبل القبلة فى كل مجلسه ، ويصور فى نفسه أنه جالس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قدر الحضور والمراقبة حتى يلازم السكينة والوقار فى الفعل ويحتمل الأذى ولا يقابل المسىء ويستغفر لكل مسىء، ولا يعجب بنفسه ولا بعمله فان العجب من صفة الشيطان ، وينظر الى نفسه بعين الحقارة ويرى الصالحين بعين الاحترام والتعظيم ، فمن لم يعرف حرمة الصالحين حرمه الله تعالى صحبتهم ، ومن لم يعرف حرمة الطاعة نزع من قلبه حلاوتها .

سئل الفضيل بن عياض فقيل له يا أبا على متى يكون الرجل صالحا قال اذا كانت النصيحة فى نيته والخوف فى قلبه والصدق فى لسانه والعمل الصالح فى جوارحه .

قال الله تعالى فى معراج النبى ﷺ يا أحمد إن أحببت أن تكون أورع الناس فازهد فى الدنيا وارغب فى الآخرة فقال الهى كيف أزهد فى الدنيا فقال خذ من الدنيا بقدر الطعام والشراب واللباس ولا تدخر لغد ودم على ذكرى . فقال يا رب كيف أدوم على ذكرك ، فقال بالخلوة عن الناس واجعل نومك الصلاة وطعامك الجوع ، وقال ﷺ : « الزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة فيها تكثر الهم والحزن ، حب الدنيا رأس كل خطيئة والزهد فيها رأس كل خير وطاعة » .

وحكى أن بعض الصالحين مر على جماعة فاذا بطبيب يصف الداء والدواء فقال يا معالج الأجسام هل تعالج القلوب ، فقال الطبيب نعم قال صف لى داءه فقال قد أظلمته الذنوب فقسا وجفا ، فهل له من علاج ، فقال الطبيب علاجه التضرع والابتهال والاستغفار آناء الليل وأطراف النهار ، والمبادرة الى طاعة العزيز الغفار ، والاعتذار إلى الملك الجبار ، فهذه معالجة القلوب والشفاء من علام الغيوب . فصاح الرجل الصالح ومضى باكيا وقال نعم الطبيب أنت أصبت علاج قلبى فقال الطبيب هذا معالجة قلب من تاب ورجع بقلبه الى البر التواب .

وحكى أن رجلا اشترى غلاما فقال الغلام يامولاى ان لى معك ثلاثة شروط أحدها أن لا تمنعنى عن الصلاة المكتوبة ، اذا جاء وقتها ،

والثانى أن تأمرنى بالنهار ما شئت ولا تأمرنى بالليل ، والثالث أن تجعل لى منزلا فى بيتك لا يدخله غيرى ، فقال له الرجل لك هـذه الشروط ثم قال الرجل أنظر فى البيوت فطاف فوجـد بيتا خرابا فقال أخـذت هذا فقال يا غلام اخترت بيتا خرابا ، فقال الغلام يا مولاى أما علمت أن الخراب مع الله بستان ، فكان يخدم مولاه بالنهار ويتفرغ بالليل لعبادة ربه سبحانه وتعالى • فبينما هو كذلك اذ طاف مولاه ذات ليلة فى الدار فبلغ حجرة الغلام فاذا هى منورة والغلام سـاجد وعلى رأسه قنديل من النور معلق بين السماء والأرض والغـلام يناجى ربه ويتضرع ويقول الهى أوجبت على حق مولاى وخدمته بالنهـار ، ولولا ذلك ما اشتغلت ليلى ولا نهارى الا بخدمتك فاعذرنى يارب ومولاه ينظـر اليه حتى انفجر الصبح ورد القنديل وانضم سقف البيت فرجع وأخبر امرأته بذلك•

فلما كانت الليلة الثانية أخذ بيد امرأته وجاء الى جاب الحجرة فاذا الغلام فى السجود والقنديل على رأسه فوقفا على البـاب ينظران اليه ويبكيان حتى أصبحا فدعا الغلام فقال له أنت عتيق لوجه الله تعالى حتى تتفرغ لعبادة من كنت تعتذر اليه فرفع يديه الى السماء وقال :

يا صاحب السر ان السر قـد ظهرا ولا اريد حياتى بعـد ما اشـتهرا

ثم قال إلهى أسألك الموت فخر الغلام ميتا •

هكذا أحوال الصالحين والعاشقين والطالبين •

وفى زهر الرياض أن موسى عليه السلام كان له صديق يأنس به فقال ذات يوم يا موسى ادع الله أن يعرفنى إياه حق معرفته فدعا موسى عليه السلام فاستجيب له فلحق صاحبه بالجبال مع الوحوش وفقـده موسى فقال يارب أخى ومؤنسى فقدته ، فقيل له يا موسى من عرفنى حق معرفتى لا يصحب مخلوقا أبدا •

وجاء فى الأخبـار أن يحيى وعيسى عليهما السـلام كانا يمشيان فصدمتهما امرأة فقال يحيى والله ما شعرت بذلك فقال عيسى سبحان الله سبحان الله بدنك معى وقلبك أين، قال يا ابن الخالة لو اطمأن قلبى الى غير ربى طرفة عين لظننت انى ما عرفت الله •

ويقال صدق المعرفة أن يطلق الدنيا والعقبى ويتجرد للمولى ، وأن يسكر من شراب المحبة فلا يصحو إلا عند الرؤية فهو على نور من ربه •

الباب الثانى عشر
فى ذكر ابليس وعذابه

قال الله سبحانه وتعالى : ((**فان تولوا**))(١) اى اعرضوا عن طاعة الله ورسوله ((**فان الله لا يحب الكافرين**)) يعنى لا يغفر لهم ولا يقبل توبتهم كما لم يقبل توبة ابليس لكفره واستكباره . وتاب على آدم عليه السلام وقبل توبته لأنه أقر على نفسه بالذنب وندم عليه ولام نفسه وهذا وان لم يكن ذنبا حقيقة لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون لا تقع منهم المعصية أبدا لا قبل النبوة ولا بعدها على الصحيح لكنه على صورة الذنب ولذلك قال هو وحواء عليهما السلام : ((**ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**))(٢) فندم عليه السلام وأسرع بالتوبة ولم يقنط من رحمة الله تعالى كما قال الله تعالى : ((**لا تقنطوا من رحمة الله**))(٣) .

وابليس لم يقر على نفسه بالذنوب ولم يندم عليها ولم يلم نفسه ولم يسرع بالتوبة وقنط من رحمة الله تعالى وتكبر . فمن كان حاله مثل حال ابليس لم تقبل توبته ، ومن كان مثل حال آدم قبل الله توبته ، لأن كل معصية أصلها من الشهوة فانه يرجى غفرانها ، وكل معصية أصلها من الكبر فانه لا يرجى غفرانها ، ومعصية آدم أصلها من الشهوة ، ومعصية ابليس أصلها من الكبر .

حكى أن ابليس جاء الى موسى عليه السلام فقال له أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما ؟ فقال له موسى نعم فما الذى تريد يا هذا ومن أنت ؟ فقال ابليس يا موسى قل لربك خلق من خلقك قد سألك التوبة ، فأوحى الله الى موسى قل له انى قد استجبت لك فيما سألت ومره يا موسى أن يسجد لقبر آدم فاذا سجد له قبلت توبته وغفرت له ذنوبه فأخبره موسى فغضب ابليس واستكبر وقال يا موسى أنا لم أسجد له فى الجنة فكيف أسجد له وهو ميت .

روى أن ابليس يشتد عليه العذاب فى النار فيقال له كيف وجدت عذاب الله ؟ فيقول أشد ما يكون فيقال له ان آدم فى رياض الجنة فاسجد له واعتذر حتى يغفر لك فيأبى فيشتد عليه العذاب بقدر عذاب أهل النار سبعين ألف ضعف .

---

(١) سورة آل عمران : آية ٣٢ .
(٢) سورة الأعراف : آية ٢٣ (٣) سورة الزمر : آية ٥٣ .

وجاء في الخبر أن الله تعالى يخرج إبليس من النار كل مائة ألف سنة ويخرج آدم ويأمره بالسجود له فيأبى ثم يرده الى النار .

إخواني ان أردتم النجاة من إبليس فاعتصموا بالمولى واستعيذوا به .

اذا كان يوم القيامة يوضع كرسي من النار فيقعد عليه إبليس عليه اللعنة فتجتمع الشياطين والكفار عنده وله صوت كصوت الحمار ينهق ويقول يا أهل النار كيف وجدتم اليوم ما وعد ربكم قالوا حقا ثم يقول : هذا يوم أيست فيه من الرحمة فيأمر الله تعالى الملائكة أن يضربوه ومن تبعه بمقامع من نار فيهوون فيها أربعين سنة فلا يسمعون الأمر بالخروج أبد الأبد نعوذ بالله منها .

وورد أنه يؤتى بإبليس يوم القيامة فيؤمر به أن يجلس على كرسي من نار وعلى عنقه طوق اللعنة ويأمر الله عز وجل الزبانية أن يجروه عن الكرسي ويلقوه في النار فيتعلقون به ليلقوه فلا يقدرون ثم يأمر الله تعالى جبريل مع ثمانين ألف ملك بذلك فلا يقدرون ثم يأمر إسرافيل ثم عزرائيل ومع كل واحد منهما ثمانون ألف ملك فلا يقدرون فيقول الله تعالى لهم لو اجتمع عليه أضعاف ما خلقت من الملائكة لما قدروا على أن ينقلوه وطوق اللعنة على عنقه .

وروى أن ابليس كان اسمه في سماء الدنيا العابد وفي الثانية الزاهد وفي الثالثة العارف وفي الرابعة الولي وفي الخامسة التقي وفي السادسة الخازن وفي السابعة عزازيل وفي اللوح المحفوظ ابليس وهو غافل عاقبة أمره فأمره الله أن يسجد لآدم فقال أتفضله علي وأنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فقال تعالى أنا أفعل ما أشاء فرأى لنفسه شرفا فولى آدم ظهره أنفة وكبرا وانتصب قائما الى أن سجدت الملائكة المدة المارة فلما رفعوا رؤوسهم ورأوه لم يسجد وهم قد وقفوا للسجود سجدوا ثانيا شكرا وهو قائم يرى معرضا عنهم غير عازم على الاتباع ولا نادم على الامتناع فمسخه الله من الصورة البهية فنكسه كالخنزير وجعل رأسه كرأس البعير وصدره كسنام الجمل الكبير ووجهه كوجه القرد وعينيه مشقوقتين في طول وجهه، ومنخريه مفتوحتين ككوز الحجام، وشفتيه كشفتي الثور، وأنيابه خارجة كأنياب الخنزير وفي لحيته سبع شعرات وطرده من الجنة بل من السماء بل من الأرض الى الجزائر فلا يدخل الأرض الا خفية ولعنه الى يوم الدين لأنه صار من الكافرين .

وانظر كيف كان بهى الصورة رباعى الأجنحة كثير العلم كثير العبادة طاووس الملائكة وأعظمهم ، سيد الكروبيين الى غير ذلك فلم يغن ذلك عنه شيئا ، إن فى ذلك الذكرى •

وفى الأثر لما مكر بابليس بكى جبرائيل وميكائيل فقال الله لهما : ما يبكيكما ؟ قالا ربنا ما أمنا مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكرى •

وروى أن ابليس قال يا رب أخرجتنى من الجنة لأجل آدم وأنا لا أقدر عليه الا بتسليطك قال أنت مسلط عليه أى على أولاده لعصمة الأنبياء منه ، قال زدنى قال لا يولد له ولد إلا ولد لك مثلاه ، قال زدنى قال صدورهم مساكن لك تجرى فيها مجرى الدم ، قال زدنى قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك، أى استعن عليهم بأعوانك من راكب وماش وشاركهم فى الأموال، أى بحملهم على كسبها وصرفها فى الحرام، والأولاد أى بالحث على التوصل اليهم بالسبب المحرم كالوطء فى الحيض والاشراك فيهم بتسميتهم بنحو عبد العزى ، والتضليل بالحمل على الأديان الباطلة والحرف الذميمة والأفعال القبيحة، وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بطول الأمل وهذا على طريق التهديد كاعملوا ما شئتم •

فقال آدم يارب قد سلطته على فلا أمتنع منه إلا بك قال لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظه من الملائكة ، قال زدنى قال الحسنة بعشر أمثالها ، قال زدنى قال لا أنزع منهم التوبة ما دامت أرواحهم فى أبدانهم ، قال زدنى قال أغفر لهم ولا أبالى ، قال اكتفيت •

فقال إبليس يا رب جعلت فى بنى آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما رسلى قال الكهان ، قال فما كتبى قال الوشم ، قال فما حديثى قال الكذب ، قال فما قرآنى قال الشعر ، قال فما مؤذنى قال المزمار ، قال فما مسجدى قال الأسواق ، قال فما بيتى قال الحمام ، قال فما طعامى قال الذى لم يذكر عليه اسمى ، قال فما شرابى قال المسكر قال فما مصايدى قال النساء •

الباب الثالث عشر
فى الأمـــانة

قال الله تعالى : ((**انا عرضـنا الأمانة على السـموات والأرض والجبال فابين ان يحملنها**)) أى امتنعن عن قبولها ((**واشـفقن منها**))(١) أى خفن من الأمانة أن لا يؤدينها فيلحقهن من العقاب أو خفن من الخيانة فيها . ومعنى الأمانة فى هذه الآية الطاعة والفرائض التى يتعلق بأدائها الثواب والعقاب .

قال القرطبى الأمـانة تعم جميع وظائف الدين على الصـحيح من الأقوال وهو قول الجمهور ، واختلف فى تفاصيل بعضها .

فقال ابن مسـعود هى أمـانة الأموال كالودائع وغيرها ، وروى عنه أنها فى كل الفرائض وأشـدها أمـانة المال .. وقال أبو الدرداء غسل الجنابة أمانة . وقال ابن عمر أول ما خلق الله من الانسان فرجـه وقال هذه أمانة استودعتكها فلا تلبسـها الا بحـق فان حفظتها حفظتك . فالفرج أمانة والأذن أمانة والعين أمانة واللسان أمانة والبطن أمانة واليد والرجل أمانة ولا ايمان لمن لا أمانة له .

قال الحسن ان الأمانة عرضت على السموات والأرض والجبـال فاضطربت وما فيها فقال الله لها ان أحسنت أجـرتك وان أسأت عذبتك فقالت لا . قال مجاهد فلما خلق الله آدم عرضها عليه وقال له ذلك فقال قد تحملتها .

ولا يخفى أن عرض هذه الأمانة على السموات والأرض والجبال عرض تخيير لا عرض إلزام ، ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها .

وقال الفقهـاء العـرض فى هــذه الآية ضرب مثـل أى إن السموات والأرض والجبال على كبـر اجرامها لو كانت بحيث يجـوز تكليفها لثقل عليها تقلد الشرائع لما فيهـا من الثواب والعقـاب أى أن التكليف أمـر عظيم حقـه أن تعجز عنه السـموات والأرض والجبال وقد كلفه الانسـان ، قال تعـالى : ((**وحملها الانســان**)) أى التزم بحقها آدم بعد عرضها عليه فى عالم الذر عنـد خروج ذريته من ظهـره واخـذ الميثـاق عليهم ((**انه كـان ظلوما جهـولا**)) أى هـو فى ذلك الحمل ظلوم لنفسه جهول بقدر ما دخل فيه أو جهول بأمر ربه .

وعن ابن عباس قال عرضت الأمانة على آدم فقيل خذها بما فيها فإن أطعت غفرت لك وان عصيت عذبتك قال قبلتها بما فيها ، فما كان إلا ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليـوم حتى أكل من الشجرة لولا أن تداركه الله برحمته فتاب عليه وهدى .

والأمانة مشتقة من الإيمان فمن حفظ أمانة الله حفظ الله إيمانه ، قال ﷺ « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » .

قال الشاعر :

تبا لمن رضى الخيـانة مهيعا[1] — وازور[2] عن صون الأمانة جانبه
رفض الديانة والمروءة فاغتدى — تترى عليه من الزمان مصـائبه

وقال آخـر :

اخلق بمن رضى الخيـانة شيـمة — ان لا يـرى الا صريع حـوادث
ما زالت الارزاء ينـزل بؤسـفها — ابدا بغـادر ذمـة او ناكث

وقال رسول الله ﷺ : « يطبع المؤمن على كل خلق ليس الخيانة والكذب » . وقال رسول الله ﷺ : « لا تزال أمتى بخير ما لم تر الأمانة مغنما والصدقة مغرما » . وقال ﷺ : « أد الأمانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك » .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنـه أن رسول الله ﷺ قال : « آية المنافق ثلاث ، اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان »[3] . أى اذا ائتمنه أحد بكلمة خانه بافشائها للناس أو بوديعة خانه بانكارها وعدم حفظها واستعمالها بغير اذنه ، فحفظ الأمـانة صـفة الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين وشـيمة الأبرار المتقين . قال الله سبحانه وتعـالى : **« ان الله يامركم ان تؤدوا الأمـانات الى أهلهـا »**[4] قال المفسرون هـذه الآية مشتملة على كثير من أمهات الشرع والمخاطب بها عموم المكلفين الولاة وغـيرهم فيجب على الولاة انصـاف المظـلوم واظهار حقه وذلك أمـانة وحفظ أموال المسلمين لا سيما اليتامى ، ويجب

---

(١) أصل المهيع من الطرق البين والمراد ذم من يتخذ الخيانة طريقا .
(٢) ازور : أى مال .
(٣) وقد روى البخارى هذا الحديث بسند ومتن آخر « آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر » .
(٤) سورة النساء : آية ٥٨ .

على العلماء تعليم العوام أحكام دينهم فهى أمانة اختار لحفظها العلماء . ويجب على الوالد رعاية ولده بحسن التأديب اذ هو أمانة عنده . وقال ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

وفى زهر الرياض يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقف بين يدى الله تعالى فيقول الله تعالى : أرددت أمانة فلان فيقول لا يارب فيأمر الله تعالى ملكا فيأخذ بيده وينطلق به الى جهنم ويريه الأمانة بعينها فى قعر جهنم فيهوى فيها سبعين عاما حتى ينتهى الى قعرها ثم يصعد بالأمانة فاذا بلغ أعلى جهنم زلت قدمه فيهوى فيها ، كذلك ثم يصعد ثم يهبط وهكذا حتى يدركه لطف ربه بشفاعة المصطفى ﷺ فيرضى عنه صاحب الأمانة .

وروى عن سلمة قال « بينما نحن جلوس عند النبى ﷺ إذ أتى بجنازة ليصلى عليها : « فقال هل عليه دين قالوا لا فصلى عليها ثم أتى بجنازة أخرى فقال هل عليه دين قالو نعم قال فهل ترك شيئا فقالوا ثلاث دنانير فصلى عليها ثم أتى بثالثة فقال هل عليه دين قالوا نعم فقال ﷺ هل ترك شيئا قالوا لا قال صلوا على صاحبكم » . وعن قتادة رضى الله عنه قال : « قال رجل يا رسول الله أرأيت ان قتلت فى سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر يكفر الله عنى خطاياى قال نعم فلما أدبر الرجل ناداه فقال يغفر الله للشهيد كل ذنب الا الدين » .

الباب الرابع عشر

فى إتمام الصلاة بالخضوع والخشوع

قال الله تعالى : « **قد أفلح المؤمنون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون** »(١) .

اعلم أن الخشوع منهم من جعله من أفعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات والعبث . وقد اختلفوا فى الخشوع هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها على قولين . واستدل من قال بالأول بحديث : « ليس للعبد من صلاته الا ما عقل » ، وبقوله تعالى : « **وأقم الصلاة لذكرى** » (٢) والغفلة تضاد الذكر ولهذا قال تعالى : « **ولا تكن من الغافلين** »(٣) .

---

(١) سورة المؤمنون : آية ١ ، ٢ . (٢) سورة طه : آية ١٤ .
(٣) سورة الأعراف : آية ٢٠٥ .

أخرج البيهقى عن محمد بن سيرين قال نبئت أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء فنزلت الآية • وزاد عبد الرزاق عنه فأمره بالخشوع فرمى ببصره نحو مسجده • وأخرج الحاكم والبيهقى عن أبى هريرة كان ﷺ اذا صلى رفع بصره الى السماء فنزلت هذه الآية فطأطأ رأسه •

وروى عن الحسن أن النبى ﷺ قال : « مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب أحدكم كثير الماء يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى على بدنه من الدرن شيئا » ؟ يعنى أن الصلوات تطهر من الذنوب ولا تبقى منها شيئا فيما دون الكبائر وهذا اذا صلى بخشوع وحضور قلب والا فهى مردودة عليه وقال ﷺ انما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لاقامة ذكر الله تعالى فاذا لم يكن فى قلبك المذكور الذى هو المقصود والمبتغى عظمته ولا هيبته فما قيمة ذكرك • وقال ﷺ : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا » •

وقال بكر بن عبد الله يا ابن آدم اذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت ، قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فتكلمه بغير ترجمان •

وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله عز وجل وقال ﷺ : « لا ينظر الله الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه »

وكان ابراهيم الخليل اذا قام الى الصلاة يسمع وجيب قلبه على ميلين • وكان سعيد التنوخى اذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته • ورأى رسول الله ﷺ رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال : « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه » •

وروى أن عليا كرم الله وجهه كان اذا حضرت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه فيقال له مالك يا أمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها • ويروى عن على بن الحسن أنه كان اذا توضأ اصفر لونه

فيقول له أهله ما هذا الذى يعتريك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم •

ويروى عن حاتم الأصم انه سئل عن صلاته فقال اذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحى ثم أقوم الى الصلاة وأجعل الكعبة بين حاجبى والصراط تحت قدمى والجنة عن يمينى والنار عن شمالى وملك الموت ورائى وأظنها آخر صلاتى ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع وأقعد على الورك الأيسر وأفرش ظهر قدمها وأنصب القدم اليمنى على الابهام وأتبعها الاخلاص ثم لا أدرى أقبلت منى أم لا •

وقال ابن عباس رضى الله عنهما ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه •

وقال ﷺ : يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة •

وعن الحسن أن النبى ﷺ قال : « ألا أخبركم بأسوأ الناس سرقة قالوا من هو يارسول الله قال الذى يسرق من صلاته ، قالوا كيف يسرق من صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها » • وقال ﷺ : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن كان قد أتمها هون عليه الحساب وإن كان قد انتقص منها شيئا قال الله تعالى لملائكته هل لعبدى من تطوع فأتموا الفريضة منه » وقال ﷺ : « ما أعطى عبد عطاء خيرا من أن يؤذن له فى ركعتين يصليهما » •

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا أراد القيام إلى الصلاة ترتعد فرائصه وتصطك أسنانه فقيل له ما ذلك قال جان وقت أداء الأمانة وقضاء الفريضة ولا أدرى كيف أؤديها •

حكي عن خلف بن ايوب انه كان قائما فى الصلاة فلدغه زنبور فسال منه الدم وهو لا يشعر حتى خرج ابن سعيد فأعلمه بذلك فغسل ثوبه فقيل له يلدغك زنبور ويسيل منك الدم ولم تشعر به فقال

أيشعر بمثل هـذا من يكون واقفا بين يدى الملك الجبـار وملك الموت على قفاه والنـار عن شماله والصراط تحت قدميه .

ووقعت الأكلة فى يد عمرو بن ذر وكان جليـلا فى الزهد والعبادة فقال له الأطباء لابـد لك من قطع هـذه اليد فقـال اقطعوها فقـالوا لا نقدر على قطعها الا أن نشدك بالحبـال فقال لا ولكن اذا شرعت فى الصلاة فاقطعوها حينئـذ ، فلمـا دخـل فى الصلاة قطعت يـده ولم يشعر بذلك .

البـاب الخـامس عشر
فى الأمـر بالمعروف والنهى عن المنكر

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من صلى على مـرة خلق الله تعالى من نفس المصلى غمامة بيضاء ثم يأمرهـا الله تعالى أن تأخذ من بحر الرحمة فتأخذ ثم يأمرها الله تعـالى أن تمطـر فاذا أمطرت ، فأى قطرة قطرت على الأرض يخلق الله الذهب منها ، وأى قطرة قطرت على الجبال يخلق الله تعالى منها الفضة ، وأى قطرة قطرت على كافر رزقه الله تعالى الايمان .

قال الله سبحانه وتعالى : « **كنتم خـير أمـة أخرجت للنـاس** »(١) قال الكلبى هذه الآية تتضمن بيان حال هذه الأمة فى الفضل على غيرها من الأمم ، وفيها دليل على أن هـذه الأمة الاسلامية خـير الأمم على الاطلاق وأن هذه الخيرية مشتركة بين أول هذه الأمـة وآخرها بالنسبة إلى غيرها من الأمم ، وان كانت متفاضلة فى ذاتها كما ورد فى فضـل الصحابة على غـيرهم . ومعنى أخرجت : أظهـرت للنـاس أى لنفعهم ومصالحهم فى جميع الأعصار حتى تميزت وعرفت .

وقوله تعالى : « **تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** »(١) كلام مستأنف يتضمن بيان كونهم خيرا مع ما يشتمل عليه من أنهم خير أمة ما أقاموا على ذلك واتصفوا به فإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر زال عنهم ذلك ، فجعلهم الله خير الناس لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقاتلون الكفار ليسلموا فترجح منفعتهم على غيرهم كما قال ﷺ : « خير الناس من ينفع الناس وشر الناس من يضر الناس » .

(١) سورة آل عمران : آية ١١٠ .

« تؤمنون بالله » أى تصـدقون بتوحيـد الله وتثبتون على ذلك وتقرون أن محمدا نبى الله ، لأن من كفر بمحمد ﷺ لم يؤمن بالله لأنه يزعم أن الآيات المعجزات التى أتى بها من عند نفسه •

وقال ﷺ : « من رأى منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » • يعنى أضعف فعل أهل الايمـان •

قال بعضهم التغيير باليد للأمـراء ، وباللسـان للعلماء ، وبالقلب للعوام • وقال بعضهم كل من يقدر على ذلك فالواجب عليه أن يغـيره كما قال الله تعالى : ((وتعاونوا على البـر والتقـوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان))(١) الآية .. ومن التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخـير إليه وسد سبيل الشرور والعدوان بحسب الإمكان •

وقال ﷺ فى حديث آخر : « من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وايمانا ومن أهان صاحب بدعة أمنه الله يوم الفزع الأكبر ومن أمر بالمعروف ونهى عن المنكـر فهو خليفة الله فى الأرض وخليفة كتـابه وخليفة رسوله » •

عن حذيفة رضى الله عنه قال يأتى على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب اليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم •

قال موسى يارب ما جزاء من دعا أخاه وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر ، قال أكتب له بكل كلمة عبادة سنة وأستحى أن أعذبه بنارى •

وفى الحديث القدسى يقول الله تعالى « يا ابن آدم لا تكن ممن يؤخر التوبة ويطول الأمل ويرجع إلى الآخرة بغير عمل ، يقول قـول العابدين ويعمل عمل المنافقين ، ان أعطى لم يقنـع وإن منع لم يصبر ، ويحب الصالحين وليس منهم ، ويبغض المنافقين وهو منهم ، يأمر بالخير ولا يفعله ، وينهى عن الشر ولم ينته عنه » •

وعن على كرم الله وجهه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سيأتى قوم فى آخر الزمان أحداث الأسنان نواقص العقل يقولون من قول خـير البرية لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كمـا يمرق السـهم من الرميـة » •

---

(١) سورة المائدة : آية ٢ •

وقال رسـول الله ﷺ : « رأيت ليـلة أسرى بى الى السـماء رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من النار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء أمتك الذين يأمرون النـاس بالبر وينسـون أنفسهم كما قال الله تعـالى فى حقهم : « **اتأمرون النـاس بالبر وتنسـون انفسـكم وانتـم تتلـون الكتـاب افـلا تعقلون** »(١) يعنى تتلـون كتـاب الله ولا تعملون بما فيه فكانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون .

فيجب على المؤمنين أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ولا ينسوا انفسهم كما قال الله تعالى : « **والمؤمنون والمؤمنات بعضـهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة** » الآية ... فقد نعت المؤمنين بأن يأمروا بالمعروف فالذى هجـر الأمر بالمعروف خـارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين فى هذه الآية . وقـد ذم الله أقواما بترك الأمـر بالمعروف فقال : « **كانوا لا يتناهون عن منكـر فعـلوه** » يعنى لا ينهى بعضهم بعضا « **بئس ما كانوا يفعلون** »(٢) .

روى عن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه قال لتأمـروا بالمعـروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالمـا لا يجل كبيركم ولا يرحـم صغيركـم ويدعـو خيـاركم فلا يستجاب لهم ويستنصرون فلا ينصرون ويستغفرون فلا يغفر لهم .

وعن عائشة رضى الله عنها قال رسول الله ﷺ : « عذب الله أهـل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء قالوا يا رسول الله كيف ؟ قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر » .

وقال أبو ذر الغفارى قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه يارسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين فقال رسول الله ﷺ : « نعم يا أبا بكر ان لله مجاهدين فى الأرض أفضل من الشهداء أحياء مرزوقين يمشون على الأرض يباهى الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت أم سلمة لرسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله ومن هم قال : الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون فى الله والمبغضون فى الله ثم قال والذى نفسى بيده ان العبد ليكون فى الغرفة فوق الغرفات

---

(١) سورة البقرة : آية ٤٤ .
(٢) سورة المائدة : آية ٧٩ .

فوق غرف الشهداء لكل غـرفة منها ثلثمائة باب منها الياقوت والزمرد الأخضر ، على كل باب نور وان الرجل منهم ليتزوج بثلثمائة ألف حوراء قاصرات الطرف عين ، كلما التفت الى واحـدة منهن فنظر إليها تقول له أتذكر يوم كذا وكذا أمرت فيه بالمعروف ونهيت عن المنكر ، وكلما التفت الى واحدة منهن ذكرت له مقاما أمر فيه بالمعروف ونهى عن المنكر » •

وفى الخبر أن الله تعالى قال : « يا موسى هـل عملت لى عملا قط قال الهى صليت لك وصمت لك وتصدقت لأجلك وسجدت لك وحمدت لك وقرأت كتابك وذكرتك » • قال الله تعـالى « يا موسى أما الصلاة فلك برهان وأما الصوم فلك جنة وأما الصدقة فلك ظـل وأما التسبيح فلك نور ، فأى عمل عملت لى ، قال موسى دلنى يارب على عمل أعمله لك قال يا موسى هل واليت لى وليا قط وهـل عاديت لى عـدوا قط ، فعـلم موسى أن أفضل الأعمال الحب لله ولأوليائه والبغض لله ولأعدائه » •

وقال أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنـه قلت يا رسـول الله : « أى الشهداء أكرم على الله عز وجـل : قال رجـل قام الى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله ، فان لم يقتله فان القلم لا يجرى عليه بعد ذلك وان عاش ما عاش » • وقال الحسن البصرى رحمـه الله قال رسول الله ﷺ : « أفضل شهداء أمتى رجـل قام الى امـام جـائر فأمره بالمعروف ونهـاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلتـه فى الجنة بين حمزة وجعفر » •

وأوحى الله إلى يوشع بن نون عليه السلام أنى مهلك من قـومك أربعين ألفـا من خيـارهم وستين ألفا من شرارهم فقال يارب هـؤلاء الأشرار فمـا بال الأخيـار قال : انهم لم يغضـبوا لغضبى وواكلوهـم وشاربوهم •

وعن أنس رضى الله عنـه قال : « قلنا يا رسـول الله ألا نأمـر بالمعروف حتى نعمل به كله ، ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله ؟ فقال ﷺ بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله ، وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله » • وأوصى بعض السلف بنيه فقال اذا أراد أحـدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله ، فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس الأذى •

الباب السادس عشر
فى عداوة الشيطان

يجب على المؤمن أن يحب العلماء والصلحاء ويلازم مجالستهم ويسأل ما لابد له ويتعظ بنصحهم ، ويجتنب الأعمال القبيحة ويتخذ الشيطان عدوا كما قال الله تعالى : ((**ان الشيطان لكم عدوه فاتخذوه عدوا**))(١) أى فعادوه بطاعة الله تعالى ولا تطيعوه فى معاصى الله تعالى وكونوا على حذر منه فى جميع أحوالكم وأفعالكم وعقائدكم عن صميم قلوبكم ، وإذا فعلتم فعلا فتفطنوا له فإنه ربما يدخل عليكم فيه الرياء ويزين لكم القبائح واستعينوا عليه بربكم .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه خط لنا رسول الله ﷺ خطا وقال : هذه سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا : ((**وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**))(٢) فبين لنا ﷺ كثرة طرق الشيطان .

روى عن النبى ﷺ انه قال كان راهب فى بنى اسرائيل فعمد الشيطان الى جارية فخنقها وألقى فى قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فأتوا بها اليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فان سألوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس اليهم وألقى فى قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها هو ودفنها فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذى خنقتها وأنا الذى ألقيت فى قلوب أهلها فأطعنى تنج وأخلصك منهم ، قال بماذا قال اسجد لى سجدتين ففعل فقال له انى برىء منك . فهو الذى قال الله تعالى فيه : ((**كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك**))(٣) .

وروى أن ابليس سأل الشافعى رضى الله عنه ما قولك فيمن خلقنى كما اختار واستعملنى فيما اختار وبعد ذلك إن شاء أدخلنى الجنة وإن

---

(١) سورة فاطر : آية ٦ .
(٢) سورة الأنعام : آية ١٥٣ .
(٣) سورة الحشر : آية ١٦ .

شاء أدخلني النار أعدل في ذلك أم جار ؟ فنظر في كلامه ثم قال يا هذا ان كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك وان كان خلقك لما يريد هو فلا يسئل عما يفعل ، فاضمحل الى أن صار لا شيء ثم قال والله يا شافعي لقد أخرجت بمسئلتي هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية •

واعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه[1] ولاقدر على حراسة أبوابه من لا يدريها •

فحماية القلب عن وسواس الشيطان واجب وهو فرض عين على كل مكلف وما لا يتوصل الى الواجب إلا به فهو أيضا واجب[2] ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ، ومداخله وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة •

منها الغضب والشهوة : فان الغضب غول العقل واذا ضعف العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة • وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس أرني كيف تغلب ابن آدم فقال آخذه عند الغضب وعند الهوى •

ومنها الجد والحرص : فمهما كان العبد حريصا على كل شيء أعماه حرصه وأصمه فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وإن كان منكرا فاحشا ، فقد روى أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى في السفينة شيخا لم يعرفه ، فقال له نوح ما أدخلك فقال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك ، فقال نوح أخرج منها يا عدو الله فانك لعين فقال له ابليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحى الله الى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنتان فقال هما اللتان لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما أهلك الناس الحرص والحسد فبالحسد لعنت وجعلت رجيما ، وأما الحرص فإنه أبيح لآدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتي منه بالحرص •

---

(١) أي مواضع الضعف .

(٢) وهي قاعدة شرعية جليلة .

ومنها الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا : فان الشبع يقوى الشهوات وهى أسلحة الشيطان .

فقد روى أن ابليس ظهر ليحيى عليه السلام فرأى عليه معاليق من كل شىء فقال له يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التى أصبت بها ابن آدم فقال فهل لى فيها من شىء قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال لله على أن لا أملأ بطنى من الطعام أبدا فقال له ابليس ولله على أن لا أنصح مسلما أبدا .

ومنها حب التزيين من الاثاث والثياب والدار فان الشيطان اذا رأى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه ، وفرخ فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها ويدعوه الى التزيين بالثياب والدواب ويستخسره فيها طول عمره فاذا أوقعه فى ذلك فقد استغنى أن يعود اليه ثانية فان بعض ذلك يجره الى البعض الى أن يساق اليه أجله فيموت وهو فى سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء العاقبة نعوذ بالله .

ومنها الطمع فى الناس : فقد روى صفوان بن سليم ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال له يا ابن حنظلة احفظ عنى شيئا أعلمك به فقال له لا حاجة لى به قال انظر فان كان خيرا أخذت وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا غير الله سؤال رغبة وانظر كيف إذا غضبت فانى أملكك اذا غضبت .

ومنها العجلة وترك التثبت فى الأمور . قال ﷺ : « العجلة من الشيطان والتأنى من الله تعالى فعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الانسان من حيث لا يدرى » .

فقد روى أنه لما ولد عيسى ابن مريم عليه السلام أتت الشياطين ابليس فقالوا له أصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافقى الأرض فلم يجد شيئا فوجد عيسى عليه السلام قد ولد واذا بالملائكة حافين به فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت الا وأنا حاضرها الا هذا فايئسوا من أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة ، ولكن ائتوا بنى آدم من قبل العجلة والخفة .

ومنها الدراهم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار فان كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان • قال ثابت البناني لما بعث رسول الله ﷺ قال ابليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانطلقوا حتى أعيوا ثم جاءوه وقالوا ما ندرى قال أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله محمدا ﷺ قال فجعل يرسل شياطينه الى أصحاب النبي ﷺ فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا يوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فيمحق ذلك • فقال لهم ابليس رويدا عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فنصيب منهم حاجتنا •

ومنها البخل وخوف الفقر فان ذلك • هو الذى يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الأليم • ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الأسواق لجمع المال وهى معشش الشياطين •

ومنها التعصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم والنظر لهم بعين الاحتقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا • قال الحسن رضى الله عنه بلغنا أن ابليس قال سولت لأمة محمد ﷺ المعاصى فقصموا ظهرى بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهى الأهواء وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون أن فى ذلك من الأسباب التى تجر الى المعاصى فكيف يستغفرون منها •

ومنها سوء الظن بالمسلمين فيجب الاحتراز عنه وعن تهمة الأشرار فمهما رأيت انسانا يسيء الظن بالناس طلبا للعيوب فاعلم أنه خبيث باطنا وأن ذلك خبثه يترشح منه فيجب على الانسان قطع هذه الأبواب من القلب ويغيته عليها ذكر الله تعالى •

قال ابن اسحاق لما رأى كفار قريش هجرة الصحابة وعرفوا أنه صار له ﷺ أصحاب من غيرهم فحذروا خروجه وعرفوا أنه أجمع لحربهم فاجتمعوا في دار الندوة وهى دار قصي بن كلاب وسميت بذلك لاجتماع الندى فيها يتشاورون ، وكانت قريش لا تقضي أمرا الا فيها والا يدخلون فيها غير قريشي الى أن يبلغ أربعين سنة بخلاف القريشى وقد أدخلوا أبا جهل واجتمعوا يوم السبت ولذا ورد يوم السبت يوم مكر وخديعة ومعهم ابليس فى صورة شيخ نجدى وذلك أنه وقف على باب الدار فى هيئة شيخ جليل عليه بت قيل كساء غليظ أو طيلسان من خز فقالوا ممن الشيخ قال من نجد سمع بالذى أعددتم له فحضر

ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم رأيا ونصحا . قالوا ادخل فدخل فتشاوروا فى أمـر النبى ﷺ وكانوا مائة رجـل وقيل كانوا خمسـة عشر رجلا فقال أبو البحترى المقتول كافرا ببدر احبسـوه فى الحـديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصـاب أشباهه من الشعراء قبـله ، فقال النجدى ما هـذا برأى والله لو حبستموه فى الحديد ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه الى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم تكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمـركم . ما هذا برأى فانظروا فى غيره فقال الأسود بن ربيعة بن عمرو العـامرى نخرجه من بين أظهـرنا فننفيه من بلادنا فلا نبـالى أين ذهب فقـال النجـدى لعنـه الله والله ما هـذا برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حى من العـرب فيغلب بذلك عليهم من قوله حتى يتابعوه عليكم ثم يسير بهم اليكم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد أديروا فيه رأيا غير هـذا فقال أبو جهـل والله ان لى فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه ، أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسيبا وسيطا ثم يعطى كل فتى منهم سـيفا صارما ثم يعمـدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحـد فيقتلوه فنسـتريح منـه ويتفرق دمـه فى القبـائل فلا تقدر بنو عبد مناف على حـرب قـومهم جميعـا فنعقله لهم . فقال النجدى لعنه الله القول ما قال لا أرى غـيره فأجمع رأيهم على قتله ﷺ وتفرقوا على ذلك ثم أتى جبريل النبى ﷺ فقال لا تبت هـذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليـه فأمر عليـه السلام عليا فنـام مكانه وغطى ببرد له ﷺ أخضر كان يشـهد به الجمعـة والعيدين بعـد ذلك عنده فعلهما فكان على أول من شرى نفسه فى الله ووقى بها رسول الله ﷺ وفى ذلك يقول على رضى الله عنه (شعر) :

وقيت بنفسى خير من وطىء الثرى ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول الله خاف ان يمكروا بـه ... فنجـاه ذو الطـول الاله من المكر
وبات رسـول الله فى الغـار آمنـا ... موقى وفى حفظ الاله وفى سـتر
وبت اراعيهـم ومـا يتمـوننى ... وقد وطنت نفسى على القتل والأسر

ثم خرج ﷺ من الباب عليهم وقد أخـذ الله على أبصـارهم فلم يره أحـد منهم ونثر على رؤوسـهم كلهم ترابا كان فى يده وهـو يتلو قوله تعـالى : « يس »[1] الى قـوله : « فأغشـيناهم فهم لا يبصرون »[2]

---

(1) سورة يس : آية ١ .

(2) سورة يس : آية ٩ .

ثم انصرف حيث أراد فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله والله خرج عليكم ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته فما ترون ما بكم ؟ فوضع كل رجل يده على رأسه فاذا عليه تراب ثم جعلوا يطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا بردة رسول الله ﷺ فيقولون والله ان هذا لمحمد نائم عليه برده فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا فقام على من الفراش فقالوا لقد صدقنا الذى كان حدثنا • وفى هذا نزل قوله تعالى : **« واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك »(١) الآية ...**

لا تجزعن فبعد العسر تيسير ... وكل شىء له وقت وتقدير
وللمقدر فى احوالنا نظر ... وفوق تدبيرنا لله تدبير

ثم أذن الله تعالى لنبيه ﷺ فى الهجرة • قال ابن عباس بقوله تعالى : « **وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا** »(٢) وامره جبريل أن يستصحب أبا بكر رضى الله عنه •

روى الحاكم عن على رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال لجبريل من يهاجر معى قال أبو بكر الصديق وأخبر ﷺ عليا بمخرجه وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدى عنه الودائع التى كانت عنده للناس •

وروى الطبرانى فى حديث أسماء كان النبى ﷺ يأتينا بمكة كل يوم مرتين بكرة وعشية فلما كان يوم من ذلك جاءنا فى الظهيرة فقلت يا أبت هذا رسول الله ﷺ متقنعا أى مغطيا رأسه فى ساعة لم يكن يأتينا فيها ، قال أبو بكر رضى الله عنه فدى له أبى وأمى والله ما جاء به فى هذه الساعة الا أمر •

قالت عائشة رضى الله عنها فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له أبو بكر فدخل فتنحى أبو بكر عن سريره وجلس عليه رسول الله ﷺ فقال لأبى بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك يعنى عائشة وأسماء • وفى رواية فقال أبو بكر لا عين عليك انما هما ابنتاى فقال ﷺ فانه قد أذن لى فى الخروج فقال أبو بكر الصحبة بأبى أنت وأمى يا رسول الله قال ﷺ نعم قالت عائشة رضى الله عنها فرأيت أبا بكر يبكى وما كنت أحسب أن أحدا يبكى من الفرح فقال أبو بكر فخذ بأبى أنت وأمى يا رسول الله احدى راحلتى هاتين قال ﷺ لا بل

---

(١) سورة الأنفال : آية ٣٠ .   (٢) سورة الاسراء : آية ٨٠ .

بالثمن • وفى رواية فقال بثمنها ان شئت ، وانما أخذها بالثمن لتكون هجرته ﷺ الى الله تعالى بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام فى استكماله فضل الهجرة الى الله تعالى • قالت عائشة فجهزناهما أحث أى أسرع الجهاز ، وصنعنا لهما سفرة أى زادا فى جراب ، زاد الواقدى انه أن فى السفرة شاة مطبوخة قالت فقطعت أسماء قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين تثنية نطاق بكسر النون ما يشد به الوسط • قالت عائشة رضى الله عنها ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار ثور فكمنا فيه ثلاث ليال وهو جبل بمكة نزله ثور بن عبد مناة فنسب له •

وروى أنهما خرجا من خوخة أى باب صغير لأبى بكر فى ظهر بيته ليلا الى الغار •

وروى أن أبا جهل لقيهما فأعمى الله بصره عنهما حتى مضيا ، قالت أسماء بنت أبى بكر وخرج أبو بكر بماله خمسة آلاف درهم ولما فقدت قريش رسول الله ﷺ طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة جمع قائف وهو الذى يعرف الأثر فى كل وجه فوجد الذى ذهب جهة ثور أثره هناك فلم يزل يتبعه حتى انقطع الأثر لما انتهى الى ثور وشق على قريش خروجه وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن يرده •

وروى **أنه لما دخلوا الغار وأبو بكر معه أنبت الله على** بابه الراءة وهى شجرة معروفة بأم غيلان فحجبت عن الغار أعين الكفار • **وأن** الله عز وجل أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار فعششتا على بابه وان ذلك مما صد المشركين **عنه وأن حمام الحرم من تينك الحمامتين** •

ثم أقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر فى الغار فرأى حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى أصحابه فقالوا له مالك فقال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد فسمع النبى ﷺ ما قال فعلم أن الله قد درأ عنه وقال آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم أى حاجتكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد لو دخل لكسر البيض وتفسخ العنكبوت • وهذا أبلغ فى الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود ، فتأمل كيف أظللت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب وجاءت عنكبوت

فسدت باب الطلب وحاكت وجه المكان فحاكت ثوب نسجها حتى عمى على القائف الطلب ولقد حصل لها بذلك الشرف وما أحسن قول ابن النقيب :

ودود القز ان نسجت حريرا يجمل لبسه فى كل شى
فان العنكبوت اجل منها بما نسجت على راس النبى

وروى الشيخان عن أنس قال حدثنى أبو بكر قال قلت للنبى ﷺ ونحن فى الغار لو أن أحدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال له رسول الله ﷺ : « ما ظنك باثنين الله ثالثهما » وذكر بعض أهل السير أن أبا بكر لما قال ذلك قال له ﷺ لو جاءونا من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق الى الغار قد انفرج من الجانب الآخر واذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه • وعن الحسن البصرى بلاغا أن أبا بكر ليلة انطلق معه ﷺ الى الغار كان يمشى بين يديه ساعة ومن خلفه ساعة فسأله فقال أذكر الطلب فأمشى خلفك واذكر الرصد فأمشى أمامك فقال لو كان شيء أحببت أن تقتل دونى ، قال أى والذى بعثك بالحق فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى استبرىء لك الغار فاستبرأه فجعل يلتمس بيده فكلما رأى جحرا قطع من ثوبه وألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع • فبقى جحر فوضع عقبه عليه لئلا يخرج ما يؤذى رسول الله ﷺ فدخل رسول الله ﷺ ووضع رأسه فى حجر أبى بكر ونام فلدغ أبو بكر فى رجله من الجحر ولم يتحرك لئلا يوقظ المصطفى ﷺ فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ فقال مالك يا أبا بكر قال لدغت فداك أبى وأمى فمسح رسول الله ﷺ بريقه مكان اللدغة فذهب ما يجده • ولقد أحسن حسان بن ثابت رضى الله عنه حيث قال :

وثانى أثنين فى الغار المنيف وقد طاف العدو به اذ صاعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا من الخلائق لم يعدل به بدلا

وكان خروجه ﷺ من مكة يوم الخميس وخرج من الغار ليلة الاثنين لأنه أقام فيه ثلاث ليال وذلك من أول ربيع الأول ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتى عشرة ليلة خلت منه •

حكى ان زاهدا من الزهاد اسمه زكريا مرض مرضا شديدا ودنا وقت أجله فأتاه صديقه فى سكرات الموت ولقنه لا اله الا الله محمد رسول الله فأعرض الزاهد بوجهه ولم يقل فقال ثانيا فأعرض ، فقال له ثالثا فقال لا أقول فغشى على صديقه فلما كان بعد ساعة وجد الزاهد خفة ففتح عينيه فقال هل قلتم لى شيئا قالوا نعم عرضنا

عليك الشـــهادة فأعرضت في مرتين وقلت في الثالثة لا أقــول فقال
أتاني ابليس عليــه اللعنــة ومعه قدح من المــاء ووقف عن يميني وهو
يحرك القدح فقال أتحتــاج الى المــاء قلت بلى قال قــل عيسى ابن الله
فأعرضت عنه ثم أتاني من قبـــل رجلي فقال لي كذلك فأعرضت عنــه
وفي الثالثة قال لي كذلك فقلت لا أقول فضرب القدح على الأرض وولى
هاربا فأنا رددت على ابليس لا عليكم فأنا أشــهد أن لا اله الا الله وأشهد
أن محمدا عبده ورسوله .

وروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال ســأل بعضهم ربه أن
يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جســـد رجــل
شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشــيطان في صــورة ضفدع
قاعد على منكبه الأيسر بين منكبه وأذنه له خرطوم طويل دقيق أدخــله
من منكبه الأيسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى خنس .

اللهم لا تسلط علينا شيطانا مريدا ولا انســانا حسودا وأعنا على
ذكرك وشكرك بجاه خاتم أنبيائك ورسلك .

الباب السابع عشر
في بيــان الأمــانة والتــوبة

روى عن محمد بن المنكدر أنه قال سمعت أبي يقول بينما ســفيان
الثوري يطوف اذ رأى رجلا لا يرفع قدما ولا يضــع قدما الا وهو يصلي
على النبي ﷺ قال فقلت له يا هذا انك قــد تركت التســبيح والتهليل
وأقبلت بالصلاة على النبي ﷺ هل عنــدك في هــذا شيء قال من أنت
عافاك الله ؟ فقلت أنا سفيان الثوري قال لولا أنك زاهد أهــل زمانك
ما أخبرتك عن حالي ولا أطلعتك على سري ثم قال لي خــرجت ووالدي
حاجا الى بيت الله الحرام حتى اذا كنت في بعض المنازل مرض والدي
فقمت بشــأنه حتى مات فاســود وجهــه فقلت انا لله وإنا اليه راجعــون
وغطيت وجهه فغلبتني عيناي فنمت حزينا فرأيت رجــلا لم أر أحسن منه
وجهــا ولا أنظف منه ثوبا ولا أطيب منــه ريحا يرفع قــدما ويضــع
أخرى حتى دنا من والدي فكشــف الازار عن وجهــه فأمر بيــده على
وجهه فابيض ثم ولى راجعا فتعلقت بثوبه فقلت يا عبد الله من أنت الذي
من الله على والدي بك في أرض الغــــربة قال : « أوما تعــرفني أنا
محمد بن عبد الله صاحب القرآن أما أن والدك كان مسرفا على نفســه

ولكن كان يكثر الصلاة على فلما نزل به ما نزل استغاث بى وأنا غياث لمن أكثر الصلاة على » . فانتبهت فاذا وجه أبى قد ابيض .

وروى عن عمرو بن دينار عن أبى جعفر عن النبى ﷺ أنه قال : « من نسى الصلاة على فقد أخطأ طريق الجنة » .

اعلم أن الأمانة مأخوذة من الأمن لانه يؤمن معها من منع الحق ، وضدها الخيانة من الخون وهو النقص لأنك اذا خنت أحدا فى شىء فقد أدخلت عليه النقصان . قال رسول الله ﷺ : « المكر والخديعة والخيانة فى النار » . وقال ﷺ : « من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته » . ومدح أعرابى قوما فقال شغفوا برعى الأمانة فلا يغدرون بذمة ولا ينتهكون لمسلم حرمة ولم تعلق بهم ذمة فهم خير أمة أقول وهؤلاء الذين مدحهم الأعرابى قد انقرضوا فلم تر فى هذه الأزمان الا ذئابا فى ثياب كما قال :

بمن يثق الانسان فيما ينوبه ... ومن اين للحر الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس الا اقلهم ... ذئابا على اجسادهن ثياب

وكما قال آخر :

ذهب الذين يقال عند فراقهم ... ليت البلاد وما بها تتصدع

وعن حذيفة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ان الأمانة سترفع ويصبح الناس يتبايعون وما يكاد أحد منهم أن يؤدى الأمانة وحتى يقال ان فى بنى فلان أمينا » .

واعلم أن التوبة واجبة بالأخبار والآيات ، قال الله تعالى : « **وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون** »(١) وهذا أمر على العموم . وقال الله تعالى : « **يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا** »(٢) ومعنى النصوح الخالص لله تعالى خاليا من الشوائب مأخوذ من النصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى : « **ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** »(٣) ، وقوله ﷺ : « التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له » . وقال رسول الله ﷺ : « لله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل فى أرض دوية مهلكة

---

(١) سورة النور : آية ٣١ . (٢) سورة التحريم : آية ٨ .
(٣) سورة البقرة : آية ٢٢٢ .

معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال أرجع مكانى الذى كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته » .

ويروى عن الحسن قال لما تاب الله على آدم عليه السلام هنأته الملائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا يا آدم قرت عينك بتوبة الله عليك فقال آدم عليه السلام يا جبريل فان كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامى فأوحى لله اليه يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعانى منهم لبيته كما لبيتك ومن سألنى المغفرة لم أبخل عليه لأنى قريب مجيب يا آدم وأحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب . وقال ﷺ : « ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا هو قابل » . وقال ﷺ : « لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم » . وقال ﷺ : « ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة فقيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينه تائبا منه فارا حتى يدخل الجنة » وقال ﷺ : « كفارة الذنب الندامة » . وقال ﷺ : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

ويروى أن حبشيا قال يا رسول الله انى كنت أعمل الفواحش فهل لى من توبة قال : نعم فولى ثم رجع فقال يا رسول الله أكان يرانى وأنا أعملها قال : نعم فصاح الحبشى صيحة خرجت فيها روحه .

ويروى أن الله عز وجل لما لعن ابليس سأله النظرة فأنظره الى يوم القيامة فقال وعزتك لاخرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح فقال الله تعالى : وعزتى وجلالى لاحجبت عنه التوبة ما دام فيه الروح . وقال ﷺ : « ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ » وعن سعيد بن المسيب فى قوله تعالى « **فانه كان للأوابين غفورا** »[1]

---

(١) سورة الاسراء : آية ٢٥ .

فى الرجــل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب • وقال الفضيــل قال الله تعالى : بشر المــذنبين بأنهم ان تابوا قبلت منهم وحــذر الصــديقين أنى ان وضعت عليهم عدلى عذبتهم • وقال عبد الله بن عمر من ذكر خطيئــة ألم بها فوجل منهــا قلبه محيت عنه فى أم الكتــاب •

ويروى أن نبيــا من الأنبيــاء أذنب فأوحى الله اليــه وعزتى لئن عــدت لأعــذبنك فقال يارب أنت أنت وأنا أنا وعزتك ان لم تعصــمنى لأعودن فعصمه الله تعالى •

ويروى أن رجلا سأل ابن مســعود عن ذنب ألم به هــل لله من توبة فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت اليه فرأى عينيه تذرفــان فقــال ان للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليــه ملكا موكلا به لا يغلق فاعمل ولا تيأس •

ويروى أنه كان فى بنى اسرائيل شاب عبد الله عشرين ســـنة ثم عصــاه عشرين سنة ثم نظر فى المرآة فرأى الشيب فى لحيتــه فساءه ذلك فقال الهى أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك أتقبلنى فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصــه أحببتنا فأحببنــاك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك وان رجعت الينا قبلناك •

وروى عن ابن عبــاس رضى الله عنهمــا أن رســول الله ﷺ قال : « إذا تاب العبد تاب الله عليه وأنسى الحفظة ما كانوا كتبوا من مساوىء عمله وأنسى جوارحه ما عملت من الخطايا وأنسى مكانه من الأرض ومقامه من السماء ليجىء يوم القيامة وليس شىء من الخلق يشهد عليه » •

وروى عن على كرم الله وجهه عن النبى ﷺ أنه قال : « مكتوب حول العرش قبل أن يخلق الخلق بأربعة آلاف عام : وانى لغفــار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » •

واعلم أن التوبة فرض عين من الذنوب الكبــائر والصغائر فــورا فان الاصرار على الصغائر يلحقهــا بالكبــائر ، قال الله تعــالى « **والذين اذا فعلوا فاحشــــة او ظلموا انفســهم** »(١) الآية ... والتــوبة النصــوح أن يتوب العبــد ظاهرا وباطنــا نادما غير عازم على العــود ومثــل من تاب ظاهرا فقط كمثل مزبلة بسط عليهــا ديبــاج والنــاس ينظــرون اليهــا ويتعجبون منها فاذا كشف عنهــا الغطاء أعرضوا عنهــا فكــذلك الخلق

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٣٥ .

ينظرون الى أهل الطاعة الظـاهرة فاذا كشف الغطـاء يوم القيـامة يوم تبلى السرائر أعرضت الملائكـة عنهم ولذا قال ﷺ : « ان الله لا ينظـر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم » . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : كـم من تائب يجىء يوم القيـامة يظن أنه تائب وليس بتائب أى لأنـه لم يحكم أبواب التوبة من الندم والعزم على عـدم العود ورد المظـالم لأربابها ان أمكن واستحلالهم منهـا ان تيسر والا أكثر من الاسـتغفار له ولهم عسى الله أن يرضيهم عنـه ونسـيان الذنب من أقبح المصـائب فعلى العاقل أن يحاسب نفسه ولا ينسى ذنبه كما قيل :

يا أيهـا المذنب المحصى جـرائمه — لا تنس ذنبك واذكر منه ما سـلفا
وتب الى الله قبـل الموت وانزجرا — يا عاصيا واعترف أن كنت معترفا

وروى الفقيه أبو الليث بسنده قال دخـل عمر رضى الله عنـه على رسـول الله ﷺ باكيـا فقال له رسـول الله ﷺ : « ما يبكيك يا عمـر فقال يا رسـول الله بالبـاب شاب قد أحرق فؤادى وهو يبكى فقال له رسول الله ﷺ أدخله يا عمر قال فدخـل وهو يبكى فقـال له رسـول الله ﷺ ما يبكيك يا شـاب قال رسـول الله أبكتنى ذنوب كثيرة وخفت من جبار غضبان على فقال رسول الله ﷺ أشركت بالله شـيئا قال لا قال أقتلت نفسا بغير حـق قال لا قال فان الله يغفـر ذنبك ولو كان مثـل السموات السبع والأرضين والجبـال قال يا رسـول الله ذنبى أعظم من ذلك قال ذنبك أعظم أم الكرسى قال ذنبى أعظم يا رسـول الله قـال ذنبك أعظم أم العـرش قال ذنبى أعظم قال ذنبك أعظم أم الهك يعنى عفو الله قال بل الله أعظم وأجل قال فانه لا يغفر الذنب العظيم الا الرب العظيم يعنى عظيم التجـاوز ثم قـال له رسـول الله ﷺ أخبرنى عن ذنبك قال انى أستحى منك يا رسول الله قال بل أخبرنى قال يا رسـول الله انى كنت أنبش القبور منـذ سـبع سنين حتى ماتت جارية من بنـات الأنصار فنبشت قبرها وأخذت كفنها ومضيت غير بعيد فغلب الشـيطان على فرجعت فجامعتها ثم مضيت غير بعيـد واذا بالجـارية قامت وقالت ويلك يا شاب أما تستحى من ديان يأخذ للمظلوم من الظالم تركتنى عريانة فى عسكر الموتى وأوقفتنى جنبا بين يدى الله عز وجل قال فوثب رسول الله ﷺ وهو يدفع فى قفاه ويقول يا فاسق ما أحوجك الى النار أخـرج عنى فخرج الشاب تائبا الى الله تعالى أربعين ليلة فلمـا تم له أربعـون ليلة رفع رأسه الى السـماء وقال يا اله محمـد وآدم وابراهيم ان كنت

غفرت لى فاعلم محمـدا وأصـحابه ﷺ والا فأرسـل نارا من السـماء فأحرقنى بهـا ونجنى من عـذاب الآخـرة فهبط جبريل على النبى ﷺ وقال يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك أنت خلقت الخلق فقال بل هـو الذى خلقنى وخلقهم ورزقنى ورزقهم قال جبريل عليـه السـلام يقول لك الله تعالى انى تبت على الشاب فدعا النبى ﷺ الشـاب وبشره بأن الله تعالى تاب عليه » .

حكى انه كان فى زمن موسى عليـه السـلام رجـل لا يستقيم على التوبة كلما تاب أفسد فمكث على ذلك عشرين سنة فأوحى الله تعـالى الى موسى قل لعبدى فـلان انى غضبت عليـه فبلغ موسى عليـه السـلام الرسالة الى ذلك الرجل فحزن وذهب الى الصحراء قائلا الهى أنفـدت رحمتك أم ضرتك معصيتى أم نفـدت خـزائن عفـوك أم بخلت على عبـادك أى ذنب أعظم من عفوك والكرم من صـفاتك القديمـة واللؤم من صفاتى الحادثة أفتغلب صفتى صفتك واذ حجبت عبـادك عن رحمتك فمن يرجـون وان طردتهم فالى من يقصـدون الهى ان كانت رحمتك قد نفدت وكان لابد من عذابى فاحمل على جميع عبادك فانى قد فـديتهم بنفسى فقال الله تعالى يا موسى اذهب اليه وقل له لو كانت ذنوبك مـلء الأرض لغفرتها لك بعـد ما عرفتنى بكمال القـدرة والعفو والرحمـة . وقال ﷺ : « ما من صـوت أحب الى الله من صوت عبـد مذنب تائب يقول يا رب فيقول الرب لبيك يا عبدى سـل ما تريد أنت عبدى كبعض ملائكتى أنا عن يمينك وعن شـمالك وفوقك وقريب من ضمير قلبك .. اشهدوا يا ملائكتى أنى قـد غفرت له » .

قال ذو النون المصرى رحمه الله ان لله عبادا نصبوا أشـجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندما وحزنـا فجنـوا من غير جنون وتبلدوا من غير وعى ولا بكم والهم هـم البلغـاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طـول البلاء ثم تولهت قلوبهم فى الملكوت وجالت أفكارهم بـين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق النـدم وقرأوا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجـزع حتى وصلوا الى علو الزهـد بسلم الورع فاسـتعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجـاة وعـروة السـلامة وسرحت أرواحهم فى العلا حتى أناخـوا فى رياض

النعيم وخاضوا فى بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة وأقلعوا برياح النجاة فى بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة •

الباب الثامن عشر
فى فضل الترحم

قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة الا رحيم قالوا يا رسول الله كلنا رحيم قال ليس الرحيم من يرحم نفسه خاصة ولكن الرحيم من يرحم نفسه وغيره » • ومعنى رحمته لنفسه أن يرحمها من عذاب الله تعالى بترك المعاصى والتوبة منها وفعل الطاعات والاخلاص فيها ومعنى رحمته لغيره أن لا يسعى فى أذية المسلم • قال ﷺ : « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه » • ويرحم البهائم فلا يكلفها ما لا تطيق • فقد ورد أن رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل يمشى فى الطريق فاشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل بها وشرب ثم طلع فاذا كلب يلهث من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى بلغ منى فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله تعالى له فغفر له قالوا يا رسول الله ان لنا فى البهائم لأجرا قال فى كل ذات كبد رطبة أجر » •

وعن أنس بن مالك قال بينما عمر رضى الله عنه يعس ذات ليلة اذ مر برفقة قد نزلت فخشى عليهم السرقة فلقى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فقال ما الذى جاء بك فى هذه الساعة يا أمير المؤمنين قال مررت برفقة قد نزلت فحدثتنى نفسى أنهم اذا باتوا ناموا فخشيت عليهم السارق فانطلق بنا نحرسهم قال فانطلقا فقعدا قريبا من الرفقة يحرسان حتى اذا طلع الفجر نادى عمر رضى الله عنه يا أهل الرفقة الصلاة حتى اذا رآهم تحركوا انصرف فعلينا أن نقتدى بالصحابة رضى الله عنهم فقد مدحهم الله تعالى بقوله رحماء بينهم وكانوا رحماء على المسلمين وعلى جميع الخلق وكانوا يرحمون أهل الذمة •

فقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه رأى رجلا من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس وهو شيخ كبير فقال له عمر رضى الله عنه

ما أنصفنـاك أخـذنا منك الجزية ما دمت شـابا ثم ضيعناك اليوم وأمر بأن يجرى عليه قوته من بيت مال المسلمين ٠

وعن الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال : « بدلاء أمتى لا يدخلون الجنة بكثرة صلاة ولا صيام ولكن يدخلونهـا بسلامة الصدور وسخاوة النفوس والرحمة لجميع المسلمين » ٠ وعن رسـول الله ﷺ أنـه قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن ارحمـوا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » وعنه ﷺ : « من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفـر له » وقال مالك بن أنس قال رسول الله ﷺ : « أربع من حق المسلمين عليك : أن تعين محسنهم وأن تسـتغفر لمذنبهم وأن تعـود مريضهم وأن تحب تائبهم » ٠

وروى أن موسى عليه السلام قال يا رب بأى شىء اتخذتنى صفيـا قال برحمتك على خلقى ٠ وعن أبى الدرداء رضى الله عنـه أنه كان يتبع الصبيان فيشترى منهم العصافير فيرسـلها ويقول اذهبى فعيشى ٠ وقال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتواصلهم كمثـل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سـائر الجسد بالحمى والسهر » ٠

حكاية : مر عابد من بنى اسرائيـل على كثيب من رمـل وقد أصابت بنى اسرائيل مجاعة عظيمة فتمنى فى نفسه أن هـذا لو كان دقيقا لأشبع به بنى اسرائيل فأوحى الله الى نبى بنى اسرائيل أن قـل لفلان ان الله تعالى قد أوجب لك من الأجر ما لو كان دقيقا وأشبعت به الناس ولذلك قال رسول الله ﷺ : « نية المؤمن خير من عمله » ٠

حكى ان عيسى عليه السلام خرج يوما فلقى ابليس وبيـده عسـل وفى الأخرى رماد فقال ما تفعـل يا عدو الله بهذا العسـل والرماد ؟ قال أما العسل فأجعله على شـفاه المغتـابين حتى يبلغوا منهـا وأما الرماد فأضعه على وجه اليتامى حتى يبغضهم الناس ٠ وقال ﷺ : « ان اليتيم اذا ضرب اهتز عرش الرحمن لبكائه فيقول الله عز وجـل يا ملائكتى من أبكى هـذا الصبى الذى غيبت أبـاه فى التراب » ٠ وقـال ﷺ : « من آوى يتيما الى طعامه وشرابه أوجب الله له الجنة » ٠ وفى روضة العلماء كان ابراهيم عليه السـلام اذا أراد أن يأكل طعـاما مشى الميـل والميلين يطلب من يأكل معه وبكى على كرم الله وجهـه يوما فقيل ما يبكيك قال لم يأتنى ضيف منذ سبعة أيام فأخاف أن يكون الله قـد أهاننى ٠ وقـال

رسول الله ﷺ : « من أطعم جائعا يريد به وجه الله وجبت له الجنة ومن منع الطعام عن الجائع منع الله عنه فضله يوم القيامة وعذبه فى النار » • وقال رسول الله ﷺ : « السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار » • وقال ﷺ : « الجاهل السخى أحب الى الله من العابد البخيل » • وقال رسول الله ﷺ : « اذا كان يوم القيامة يدخل الجنة أربعة بغير حساب : العالم الذى يعمل بعلمه ، ومن حج ولم يرفث ولم يفسق حتى مات ، والشهيد الذى قتل فى المعركة لاعلاء كلمة الاسلام ، والسخى الذى اكتسب مالا من الحلال وأنفقه فى سبيل الله بغير رياء فهؤلاء ينازع بعضهم بعضا أيهم يدخل الجنة أولا » • وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « ان لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره » • وقال ﷺ : « السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية الى الأرض فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن الى الجنة » • وعن جابر رضى الله عنه قال قيل يا رسول الله أى الأعمال أفضل : « قال الصبر والسماحة » •

وروى المقدام بن شريح عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال : « ان من موجبات المغفرة بذل الطعام ، وافشاء السلام ، وحسن الكلام » •

الباب التاسع عشر

فى بيان الخشوع فى الصلاة

جاء فى الخبر أن جبريل عليه السلام جاء يوما الى النبى ﷺ وقال : يا رسول الله كنت رأيت ملكا فى السماء على سرير وحوله سبعون ألف ملك صفوفا يخدمونه وكل نفس يتنفس ذلك الملك يخلق الله من نفسه ملكا والآن رأيت ذلك الملك على جبل قاف منكسر الجناح وهو يبكى فلما رآنى قال أتشفع لى قلت ما جرمك قال كنت على السرير ليلة المعراج فمر بى محمد ﷺ فما قمت له فعاقبنى الله بهذه العقوبة وجعلنى فى هذا المكان كما ترى قال فتضرعت الى الله فشفعت له فقال الله تعالى

يا جبريل قـل له حتى يصلى على محمـد فصلى ذلك الملك عليك دعفـا الله عنه وأنبت جناحيه •

(اعلم) انه ورد ان اول ما ينظر فيه من عمـل العبـد يوم القيـامة الصلاة فان وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله ، وان وجدت ناقصة ردت اليه وسائر عمله • وقال ﷺ : مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى • وقال يزيد الرقاشى كانت صلاة رسول الله ﷺ مستوية كأنهـا موزونة ، وقال ﷺ : ان الرجلين من أمتى ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض وأشـار الى الخشوع • وقال ﷺ : لا ينظر الله يوم القيـامة الى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده • وقال ﷺ من صلى صلاة لوقتهـا وأسبغ وضـوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهى بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كمـا حفظتنى ومن صلى صلاة لغير وقتهـا ولم يسـبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهى سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كمـا ضيعتنى حتى اذا كانت حيث شـاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بهـا وجهـه • وقال ﷺ : أسـوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته • وقال ابن مسعود رضى الله عنـه الصلاة مكيـال فمن اوفى اسـتوفى ومن طفف فقـد علم ما قال الله ((**ويـل للمطففين**))(١) وقال بعض العلماء مثل المصلى مثل التاجر الذى لا يحصـل له الربـح حتى يخلص له رأس المـال وكذلك المصلى لا تقبـل له نافلة حتى يؤدى الفريضـة • وكان أبو بكر رضى الله عنـه يقول اذا حضرت الصلاة قوموا الى نار ربكم التى أوقدتموها فأطفئـوها • وقـال ﷺ : انما الصلاة تمسـكن وتواضـع • وقال ﷺ : من لم تنهـه صـلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعـدا وصـلاة الغـافل لا تمنـع من الفحشاء والمنكر • وقال ﷺ : كم من قـائم ليس لـه من قيـامه الا التعب والنصب • وما أراد به الا الغـافل ، وقال ﷺ ليس للعبـد من صلاته الا ما عقل منها وقال أهـل المعرفة الصلاة أربعة أشـياء ، الشروع مع العلم والقيـام مع الحيـاء والأداء مع التعظيم والخروج مع الخوف • وقال بعض المشايخ من لم يجمع قلبـه على الحقيقة فسـدت صـلاته • وقال رسول الله ﷺ فى الجنـة نهر يقـال له الأفيح فيـه حوارى خلقهن

---

(١) سورة المطففين : آية ١ .

الله من الزعفران يلعبن بالدر والياقوت يسبحن الله بسبعين ألف لغة أصواتهن أطيب من صوت داود عليه السلام ويقلن نحن لمن صلى صلاته بالخشوع والحضور فيقول الله تعالى لأسكننه دارى ولأجعلنه من زوارى •

وروى أن الله تعالى أوحى اليه قل لعصاة أمتك لا يذكرونى فانى ذكرتنى فاذكرنى وأنت تنتفض أعضاؤك وكن عند ذكرى خاشعا مطمئنا واذا ذكرتنى فاجعل لسانك من وراء قلبك واذا قمت بين يدى فقم قيام العبد الذليل وناجى بقلب وجل ولسان صادق •

وروى أن الله تعالى أوحى اليه قل لعصاة أمتك لا يذكرونى فانى آليت على نفسى أن من ذكرنى ذكرته فاذا ذكرونى ذكرتهم باللعنة هذا فى عاص غير غافل فى ذكره فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان • قال بعض الصحابة رضى الله عنهم يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم فى الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم بها واللذة • ورأى النبى ﷺ رجلا يعبث بلحيته فى صلاته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقال من لم يخشع قلبه ردت صلاته • واعلم أن الله مدح الخاشعين المتواضعين فى الصلاة فى غير آية فقال : ((**فى صلاتهم خاشعون**))(١) ، ((**على صلواتهم يحافظون**))(٢) ، ((**على صلاتهم دائمون**))(٣) قيل إن المصلين كثير والخاشعين فى الصلاة قليل ، والحاج كثير والبار قليل والطير كثير والعندليب قليل والعالم كثير والعامل قليل والصلاة محل الخضوع ومعدن التواضع والخشوع وهذا علامة القبول فان للجواز شرطا وللقبول شرطا فشرط الجواز أداء فرضها وشرط القبول الخشوع . قال تعالى : ((**قد أفلح المؤمنون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون**))(٤) .. الآية . والتقوى قال الله تعالى : ((**انما يتقبل الله من المتقين**))(٥) وقال ﷺ : من صلى ركعتين مقبلا فيهما على الله بقلبه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه •

واعلم أنه لا يلهى عن الصلاة الا الخواطر الواردة الشاغلة فلابد من دفعها ودفعها قد يكون بالصلاة فى مكان مظلم أو خال عن الشواغل من

---

(١) سورة المؤمنون : آية ٢ . (٢) سورة الأنعام : آية ٩٢ .
(٣) سورة المعارج : آية ٢٣ .
(٤) سورة المؤمنين : آية ١ — ٢ . (٥) سورة المائدة : آية ٢٧ .

الأصوات والفرش المنقوشـة والتجرد عن الملابس المزينـة بحيث تلهيه اذا نظر إليها فى الصلاة كما روى أنه ﷺ لما لبس الخميصة[١] التى أتاه بهـا أبو جهم وعليهـا علم وصلى بهـا نزعهـا بعـد صـلاته وقال اذهبـوا بهـا الى أبى جهـم فانهـا ألهتنى آنفـا عن صلاتى وأمـر ﷺ بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه فى صـلاته اذ كان جـديدا فأمر أن ينزع منهـا ويرد الاشراك الخلق وكان ﷺ فى يـده خـاتم من ذهب قبـل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلنى هذا نظرة اليه ونظرة اليكم •

وعن رجل آخر أنه صلى فى حائط له والنخيـل مطوقة بثمرها فنظر اليها فأعجبته ولم يـدر كـم صلى فذكر ذلك لعثمان رضى الله عنـه وقال هو صدقه فاجعله فى سبيل الله عز وجـل فباعه بخمسين ألفـا وقال بعض السلف : أربعة فى الصلاة من الجفاء : الالتفات ، ومسح الوجه ، وتسوية الحصـا وأن تصلى بطريق من يمـر بين يـديك • قال ﷺ : ان الله عـز وجل مقبل على المصلى ما لم يلتفت • وكان الصـديق رضى الله عنه فى صـلاته كأنه وتد وبعضهم كان يسكن فى ركوعـه بحيث تقع العصـافير عليه كأنه جمـاد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يـدى من يعظم من أبنـاء الدنيا ، فكيف لا يتقاضاه بين يدى ملك المـلوك •

وفى التوراة مكتوب يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدى مصليـا باكيا فأنا الله الذى اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نورى •

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال على المنبر : ان الرجل ليشيب عارضاه فى الإسلام وما أكمل لله تعالى صلاة ، قيل وكيف ذلك ؟ قال لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله عز وجل فيهـا • وسـئل أبو العاليـة عن قـوله تعـالى : ((**الذين هم عن صـلاتهم ساهون**))[٢] ، قال هو الذى يسـهو فى صـلاته فلا يـدرى على كم ينصرف أعلى شفع أم على وتر • وقال الحسن هـو الذى يسـهو عن وقت الصـلاة حتى تخـرج • وقال ﷺ : قال الله تعـالى : لا ينجـو منى عبـدى الا بأداء ما افترضته عليـه •

---

(١) الخميصة : ثوب اسود او احمر له اعلام •

(٢) سورة الماعون : آية ٥ •

الباب العشرون
فى بيان الغيبة والنميمة

اعلم أن الله سبحانه وتعالى نص على ذم الغيبة فى كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى : « **ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه** »(١) وقال ﷺ : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » • وقال ﷺ « اياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا فإن الرجل قد يزنى فيتوب ، فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبها » • وقالوا مثل من يغتاب الناس كمثل من نصب منجنيقا فهو يرمى بها يمينا وشمالا فهو يرمى بحسناته كذلك • وقال ﷺ : « من رمى أخاه بغية يريد بها شينه أوقفه الله تعالى على جسر جهنم يوم القيامة حتى يخرج مما قال» • وقال رسول الله ﷺ : «الغيبة ذكرك أخاك بما يكره» أى سواء ذكرته بنقصان بدنه أو نسبه أو فعله أو قوله أو دينه أو دنياه حتى فى ثوبه وردائه ودابته ، حتى ذكر بعض المتقدمين لو قلت إن فلانا ثوبه طويل أو قصير يكون ذلك غيبة فكيف ذكرك ما يكره من نفسه •

وروى أن امرأة قصيرة دخلت على النبى ﷺ فى بعض حاجاتها فلما خرجت قالت عائشة رضى الله عنها ما أقصرها فقال النبى ﷺ : « اغتبتها يا عائشة » • وقال ﷺ فى ذم النميمة « شر الناس يوم القيامة ذو الوجهين النمام الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه من كان ذا وجهين فى الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار » • وعن النبى ﷺ أنه قال : « لا يدخل الجنة نمام » فإن قيل ما الحكمة فى أن الله تعالى خلق كل مخلوق ذا لسان ناطق وغير ناطق وليس للسمك لسان أصلا فقيل لأن الله تعالى لما خلق آدم أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا كلهم الا ابليس فلعنه الله وأخرجه من الجنة ومسخه فأهبط الى الأرض فجاء الى البحار فأول ما رآه السمك فأخبره بخلق آدم وقال انه يصطاد ويأخذ دواب البحر والبر فبلغ السمك دواب البحر بخبر آدم فأذهب الله لسانه •

حكى عن عمرو بن دينار أنه قال كان رجل من أهل المدينة له أخت فى ناحية المدينة فاشتكت فكان يأتيها يعودها ثم ماتت وجهزها وحملها

---

(١) سورة الحجرات : آية ١٢ .

الى القبر فلما دفنت رجع الى أهلها ثم ذكر أن له كيسا كان معه فضيعه في القبر فاستعان برجل من أصحابه فأتيا القبر فنبشاه فوجدا الكيس فقال للرجل تنح عني حتى أنظر على أي حال هي فرفع بعض ما على اللحد فاذا القبر يشتعل نارا فرجع الى أمه فقال أخبريني علام كانت أختي فقالت كانت أختك تأتي أبواب الجيران فتلقى أذنها الى أبوابهم حتى تستمع الحديث لكي تمشي بالنميمة • فعلم أن هذا سبب عذاب القبر فمن أراد أن ينجو من عذاب القبر فليحترز من النميمة والغيبة •

وحكى عن أبي الليث البخاري أنه خرج حاجا فجعل في جيبه درهمين وحلف أن اغتبت أحدا في طريق مكة ذاهبا أو آيبا فلله على أن أتصدق بهما فذهب الى مكة ورجع الى منزله والدرهمان في جيبه فقيل له في ذلك قال لأن أزني مائة مرة أحب الى أن أغتاب مرة واحدة • قال أبو حفص الكبير لو لم أصم رمضان أحب الى من أن أغتاب انسانا ثم قال من اغتاب فقيها جاء يوم القيامة مكتوبا على وجهه هذا آيس من رحمة الله • وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : مررت ليلة أسرى بي على أقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم ويأكلون الجيفة فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس في الدنيا • وقال الحسن رضى الله عنه والله للغيبة أسرع في دين الرجل المؤمن من الآكلة في الجسد • وقال أبو هريرة رضى الله عنه يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه •

وروى أن سلمان كان في سفر مع أبي بكر وعمر وكان يطبخ لهما فنزلوا منزلا فلم يتهيأ أن يصلح لهم من الطعام فبعثاه الى النبي ﷺ لينظر عنده شيئا من الطعام فلم يجد فرجع اليهما فقالا انه لو ذهب الى بئر كذا لييبس ماؤها فنزلت هذه الآية : « **ولا يغتبب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه** »(١) •

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال •• قال رسول الله ﷺ « من أكل لحم أخيه في الدنيا قدم اليه لحمه يوم القيامة ويقال كله ميتا فانك أكلته حيا فيأكله . ثم تلا قوله تعالى : « **أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا** » •

---

(١) سورة الحجرات : آية ١٢

وروى عن جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه أن ريح الغيبة كانت تبين فى عهد رسول الله ﷺ وذلك لقلتها ، وأما فى هذه الأزمان فقد كثرت الغيبة وامتلأت الأنوف منها فلا تتميز رائحتها ، ومثل ذلك كمثل رجل دخل دار الدباغين فلم يقدر على القرار فيها من شدة الرائحة ونتنها وأهلها المقيمون فيها يأكلون الطعام ويشربون فيها ولا تتبين لهم تلك الرائحة المنتنة لأنها ملأت أنوفهم فكذلك أمر الغيبة فى أيامنا هذه .

قال كعب رضى الله عنه : قرأت فى بعض الكتب أن من مات تائبا من الغيبة كان آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها كان أول من يدخل النار . قال الله تعالى : ((ويل لكل همزة لمزة))(١) اى اشد العذاب للهمزة الذى يعيبك فى الغيب واللمزة الذى يعيبك فى وجهك . والآية نزلت فى الوليد بن المغيرة وكان يغتاب النبى ﷺ والمسلمين فى وجوههم ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما . وقال رسول الله ﷺ : « إياكم والغيبة فإنها أشد من الزنا ، قالوا كيف تكون الغيبة أشد من الزنا قال ان الرجل يزنى ثم يتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يعفو عنه صاحبه » فالواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ليخرج من حق الله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته .

وقال ﷺ : من اغتاب أخاه المسلم حول الله وجهه إلى دبره يوم القيامة . وينبغى لصاحب الغيبة أن يستغفر الله تعالى قبل القيام من المجلس وقبل أن تصل الى المغتاب لأنه اذا تاب صاحب الغيبة قبل وصولها إلى المغتاب تقبل توبته أما اذا بلغته فلا يرتفع عنه الاثم بالتوبة ما لم يجعله فى حل ، وذلك اذا زنى بامرأة لها زوج فبلغه الخبر لا يرتفع بالتوبة ما لم يجعله فى حل واما ترك الصلاة والزكاة والصوم والحج فلا يرتفع بالتوبة بل بقضاء الفائت من ذلك والله أعلم .

* * *

---

(١) الآية الاولى من سورة الهمزة .

الباب الحادى والعشرون
فى بيـــان الزكـــاة

قال الله تعـالى : ((**والذين هـم للزكاة فاعلون**))(١) يعنى يؤدون .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيـامة صفحت له صفائح من نـار فأحمى عليها فى نـار جهنم فيكوى بها جنبه وظهـره أى ويوسع جسمه لهـــا كلها وان كثرت كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سـنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله أمـا الى الجنـة واما الى النار ... الحـديث ، وقال تعالى : ((**والذين يكنزون الذهب والفضـة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعـذاب أليم * يوم يحمى عليها فى نار جهنـم فتكوى بهـا جباههم وجنوبهم وظهـورهم هذا ما كنزتم لأنفسـكم فذوقوا ما كنتم تكنزون**))(٢) — وقال رســول الله ﷺ :ويل للاغنياء من الفقـراء يوم القيامة يقولون ظلمونا حقـوقنا التى فرضت عليهم . فيقـول الله تعالى وعـــزتى وجـلالى لأدنينكم ولاباعدنهم ثم تلا رســول الله : ((**والذين فى أمـوالهم حـق معـلوم * للسائل والمحروم**))(٣) .

وروى أنه ﷺ ((مـر ليلة أسرى به على قوم على أدبارهم رقـاع وعلى أقبـالهم رقـاع يسرحـون كمـا تسرح الأنعـــام الى الضريع والزقوم ورضف جهنم قال : من هـــؤلاء يا جبريل قال هـؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد)) .

وحكى أن جماعة من التابعين خرجوا لزيارة أبى سـنان فلما دخلوا عليه وجلسوا عنده قال قوموا بنا نزور جـارا لنا مات أخـوه ونعزيه فيه ، قال محمد بن يوسف القزيانى فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجـل فوجدناه كثير البكـاء والجزع على أخيـه فجعلنا نعزيه ونسليه وهـو لا يقبل تسلية ولا عـزاء فقلنا له أما تعلم أن الموت سـبيل لابد منـه قال بلى ولكن أبكى على ما أصـبح وأمسى فيـه أخى من العذاب فقلنا له قد أطلعك الله على الغيب قال لا ولكن لمـا دفنته وسويت عليـــه التراب وانصرف الناس جلست عند قبـره واذا صـوت من قبره يقول آه أفردونى وحيدا أقاسى العـذاب قد كنت أصـوم قد كنت أصلى قال

---

(١) سورة المؤمنون : آية ٤ . (٢) سورة التوبة : الآيتان ٣٤، ٣٥
(٣) سورة المعارج : آية ٢٤ ، ٢٥ .

بأبكانى كلامه فنبشت عنه التراب لانظر ما حاله واذا القبر يلمع عليه نارا وفى عنقه طوق من نار فحملتنى شفقة الأخوة ومددت يدى لأرفع الطوق من رقبته فاحترقت أصابعى ويدى ثم أخرج الينا يده فاذا هى سوداء محترقة قال فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لا أبكى على حاله وأحزن عليه فقلنا فما كان أخوك يعمل فى الدنيا قال كان لا يؤدى الزكاة من ماله قال فقلنا هذا تصديق قوله تعالى : **« ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة »**(١) . واخوك عجل له العذاب فى قبره الى القيامة قال ثم خرجنا من عنده وأتينا أبا ذر صاحب رسول الله ﷺ وذكرنا له قضية الرجل وقلنا له يموت اليهودى والنصرانى ولا نرى فيهم ذلك قال أولئك لا شك أنهم فى النار وانما يريكم الله أهل الايمان لتعتبروا ، قال الله تعالى : **« فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما انا عليكم بحفيظ »** (٢) . وجاء فى الخبر عن النبى ﷺ أنه قال مانع الزكاة عند الله بمنزلة اليهود والنصارى ومانع العشر عند الله تعالى بمنزلة المجوس ومن يمنع الزكاة والعشر من ماله ملعون على لسان الملائكة والنبى ﷺ ولا تقبل شهادته وقال طوبى له ان أدى الزكاة والعشر وطوبى لمن ليس عليه عذاب الزكاة وعذاب يوم القيامة ، ومن أدى الزكاة من ماله رفع الله عنه عذاب القبر وحرم الله لحمه على النار وأوجب له الجنة بغير حساب ولا يصله عطش يوم القيامة .

الباب الثانى والعشرون
فى بيان الزنا

قال الله سبحانه وتعالى : **« والذين هم لفروجهم حافظون »**(٣) أى عن الفواحش وعما لا يحل لهم كما قال الله تعالى فى آية أخرى : **« ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن »**(٤) يعنى ما كبر وهو الزنا وما صغر وهو القبلة واللمس والنظر كما جاء فى الخبر عن سيد البشر ﷺ أنه قال : اليدان والرجلان تزنيان والعينان تزنيان . قال الله تعالى : **« قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم »**(٥) الآية ... قد أمر الله تعالى الرجال والنساء

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٨٠ . (٢) سورة الأنعام : آية ١٠٤ .
(٣) سورة المؤمنون : آية ٥ . (٤) سورة الأنعام : آية ١٥١ .
(٥) سورة النور : آية ٣٠ .

بغض البصر عن الحرام وبحفظ الفرج عن الحرام وقد حرم الله الزنا في آيات كثيرة ، قال الله تعالى : « **ومن يفعل ذلك يلق أثاما** »(١) يعني عقابا في النار ويقال واديا في النار ويقال جب في النار اذا فتح فمه صاح أهل جهنم من خبث رائحته .

وروى عن بعض الصحابة أنه قال : اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما التي في الدنيا فنقصان الرزق وقطع الأجل وسواد الوجه وأما التي في الآخرة فغضب الله وشدة الحساب ودخول النار .

وروى أن موسى عليه السلام قال يارب ما لمن زنى ؟ قال الله تعالى ألبسه درعا من النار لو وضع على جبل شاهق لأصبح رمادا .

وورد أن امرأة فاجرة أحب الى ابليس من ألف فاجر . وفي المصابيح قال رسول الله ﷺ : اذا زنى العبد خرج منه الايمان وكان فوق رأسه كالظلة فاذا خرج من ذلك العمل رجع اليه الايمان . وفي كتاب الاقناع قال النبي ﷺ ما ذنب أعظم عند الله من نطفة يضعها الرجل في رحم من لا تحل له . واللواط أشد من الزنا لما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : من لاط لا يجد رائحة الجنة وان رائحتها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام . قال القاضي الامام رحمه الله سمعت بعض المشايخ يقول ان مع كل امرأة شيطانا ومع كل غلام ثمانية عشر شيطانا . وروى من قبل غلاما بشهوة عذبه الله تعالى في النار خمسمائة عام ومن قبل امرأة بشهوة فكأنما زنى بسبعين بكرا ومن زنى بالبكر فكأنما زنى بسبعين ألف ثيب .

وفي رونق التفاسير قال الكلبي : إن أول من عمل عمل قوم لوط ابليس لعنه الله فتصور في صورة غلام أمرد جميل ثم دعاهم الى نفسه فنكحوه فصار ذلك عادة لهم في كل غريب فأرسل لهم لوط عليه السلام فنهاهم عن ذلك ودعاهم الى عبادة الله وتوعدهم على اصرار المعصية بعذاب الله فقالوا له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين ، فسأل لوط ربه أن ينصره عليهم فقال رب انصرني على القوم المفسدين فأمر الله السماء أن تمطر عليهم الحجارة مكتوب على كل حجر اسم من رمى به وهو معنى قوله : « **مسومة عند ربك** »(٢) أي معلمة أي عليها علامة في خزائن الله أو في حكمه .

---

(١) سورة الفرقان : آية ٦٨ .   (٢) سورة هود : آية ٨٣ .

وحكى أن رجلا تاجرا من قوم لوط كان بمكة فجاء حجر ليصيبه في الحرم فقالت الملائكة للحجر ارجع من حيث جئت فان الرجل في حرم الله فرجع الحجر فوقف خارج الحرم أربعين يوما بين السماء والأرض حتى قضى الرجل تجارته فلما خرج أصابه الحجر خارجا عن الحرم فأهلكه وكان لوط قد أخرج امرأته معه ونهى من تبعه أن يلتفت خلفه إلا امرأة لوط فإنها لما سمعت هذا العذاب التفتت وقالت واقوماه فأدركها حجر فوقع على رأسها فقتلها . قال مجاهد لما أصبحوا غدا جبريل على قريتهم وقلعها من أركانها ثم أدخل جناحه ثم حملها على حوافي جناحه بما فيها ثم صعد بها الى السماء حتى سمع أهل السماء صياح ديكتهم ونباح كلابهم ثم قلبها فكان أول ما سقط منها سرادقها فلم يصب قوما ما أصابهم ثم ان الله طمس على أعينهم ثم قلبت قريتهم وهي خمس مدائن أكبرها سدوم وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براءة يقال كان فيها أربعة آلاف ألف .

الباب الثالث والعشرون
في صلة الرحم وحقوق الوالدين

قال الله تعالى : ((**واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام**))(١) أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها . وقال تعالى : ((**فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم**))(٢) .

وقال تعالى : ((**والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار**))(٣) .

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أن الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذاك لك . ثم قال رسول الله ﷺ : اقرأوا ان شئتم ((**فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا ارحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم وأعمى أبصارهم**)) . ورواه أيضا الترمذي وقال حديث حسن صحيح ، وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد . عن أبي بكرة رضي الله عنه قال .

---

(١) سورة النساء : آية ١ . أي والأرحام معطوفة على لفظ الجلالة والعطف على نية تكرار العامل .

(٢) سورة محمد : آية ٢٢ ، ٢٣ . (٣) سورة الرعد : آية ٢٥ .

قال رسول الله ﷺ : « ما من ذنب أجدر أى أحق أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم » •

والشيخان : « لا يدخل الجنة قاطع » قال سفيان يعنى قاطع رحم •

وأحمد بسند رواته ثقات : « إن أعمال بنى آدم تعرض كل خميس وليلة جمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم » •

وابن حبان وغيره : « ثلاثة لا يدخلون الجنة •• مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر » • وأحمد مختصرا وابن أبى الدنيا والبيهقى : « يبيت قوم من هذه الأمة على طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحوا قد مسخوا قردة وخنازير وليصيبنهم خسف وقذف حتى يصبح الناس فيقولون خسف الليلة ببنى فلان وخسف الليلة بدار فلان ولترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل فيها وعلى دور ولترسلن عليهم الريح العقيم التى أهلكت عادا على قبائل فيها وعلى دور بشربهم الخمر ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطيعتهم الرحم » وخصلة نسيها جعفر والطبرانى فى الأوسط •

عن جابر رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون فقال : « يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم واياكم والبغى فانه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغى واياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار إزاره خيلاء إنما الكبرياء لله رب العالمين » •

والأصبهانى « كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فقال لا يجالسنا اليوم قاطع رحم فقام فتى من الحلقة فأتى خالة لـه قد كان بينهما بعض الشىء فاستغفر لها فاستغفرت له ثم عاد إلى المجلس فقال النبى ﷺ : إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم » •

والطبرانى « إن الملائكة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم » •

والطبرانى بسند صحيح عن الأعمش قال : كان ابن مسعود رضى الله عنه جالسا بعد الصبح فى حلقة فقال أنشد الله قاطع رحم لما قام عنا فإنا نريد أن ندعو ربنا وإن أبواب السماء مرتجة أى بضم ففتح والجيم مخففة (مغلقة) دون قاطع رحم •

والشيخان : « الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله » •

وأبو داود والترمذي ، وقال حديث حسن صحيح واعترض تصحيحه بأنه منقطع ورواية وصله قال البخاري خطأ .

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله عز وجل أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته . أو قال بتته أي قطعته » .

وأحمد بإسناد صحيح : « إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق وإن هذه الرحم شجنة من الرحمن عز وجل فمن قطعها حرم الله عليه الجنة » .

وأحمد باسناد جيد قوي وابن حبان في صحيحه : « أن الرحم شجنة من الرحمن تقول يارب إني قطعت يارب إني أسيء إلي ، يارب اني ظلمت يارب يارب فيجيبها ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك .

والشجنة بكسر أوله المعجم وضمه وإسكان الجيم ، القرابة المشتبكة كاشتباك العروق ، ومعنى من الرحمن أي مشتق لفظها من لفظ اسمه الرحمن كما يأتي في الحديث على الأثر والبزار باسناد حسن : « الرحم حجنة متمسكة بالعرش تكلم بلسان ذلق اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني . فيقول الله تبارك وتعالى : أنا الرحمن الرحيم واني شققت الرحم من اسمي فمن وصلها وصلته ومن بتكها بتكته . الحجنة ، بفتح الحاء المهملة والجيم وتخفيف النون ، صنارة المغزل أي الحديدة العقفاء التي يعلق بها الخيط ثم يفتل الغزل والبتك القطع ، والبزار ثلاث متعلقات بالعرش ، الرحم تقول اللهم اني بك فلا أقطع ، والأمانة تقول اللهم اني بك فلا أخان ، والنعمة تقول اللهم اني بك فلا أكفر ، والبزار واللفظ له والبيهقي الطابع معلق بقائمة العرش فاذا اشتكت الرحم وعمل بالمعاصي واجترىء على الله تعالى بعث الله الطابع فيطبع على قلبه فلا يعقل بعد ذلك شيئا ،

وأخرج الشيخان : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » .

وأخرجا أيضا « من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ (أي يؤخر وهو بضم أوله وتشديد ثالثه المهمل وبالهمز) له ، في أثره أي أجله فليصل رحمه » . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره

فليصل رحمه » . رواه البخارى والترمذى ، ولفظه قال : « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فإن صلة الرحم محبة فى الأهل مثراة فى المال منسأة فى الأثر » . أى بها الزيادة فى العمر . وعبد الله ابن الامام أحمد فى زوائد المسند ، والبزار بإسناد جيد والحاكم « من سره أن يمد له فى عمره ويوسع له فى رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه » ، والبزار بإسناد لا بأس به والحاكم وصححه أنه ﷺ قال « مكتوب فى التوراة : من أحب أن يزاد عمره وفى رزقه فليصل رحمه » وأبو يعلى : أن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما فى العمر ويدفع بهما ميتة السوء ويدفع بهما المكروه والمحذور » . وأبو يعلى باسناد جيد : عن رجل من خثعم قال « أتيت النبى ﷺ وهو فى نفر من أصحابه فقلت أنت الذى تزعم أنك رسول الله قال نعم ، قال قلت يا رسول الله أى الأعمال أحب الى الله قال الايمان بالله قلت يا رسول الله ثم مه قال ثم صلة الرحم قلت يا رسول الله أى الأعمال أبغض الى الله قال الاشراك بالله قلت يا رسول الله ثم مه قال قطيعة الرحم .

والبخارى ومسلم واللفظ له « عن أعرابى لرسول الله ﷺ وهو فى سفر فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ثم قال يا رسول الله أو يا محمد أخبرنى بما يقربنى من الجنة ويباعدنى من النار فكف النبى ﷺ ثم نظر فى أصحابه ثم قال : لقد وفق هذا أو لقد هدى قال كيف قلت فأعادها فقال النبى ﷺ تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل الرحم .. دع الناقة » . وفى رواية : « وتصل ذا رحمك . فلما أدبر قال رسول الله ﷺ : ان تمسك بما أمرته به دخل الجنة » . والطبرانى بإسناد حسن : إن الله ليعمر بالقوم الديار وينمى لهم الأموال وما نظر اليهم منذ خلقهم بغضاً لهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال بصلتهم أرحامهم » . وأحمد بسند رواته ثقات الا أن فيه انقطاعا أنه من أعطى الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة وصلة الرحم وحسن الجوار وحسن الخلق يعمرن الديار ويزدن فى الأعمار . وأبو الشيخ وابن حبان والبيهقى . يا رسول الله من خير الناس قال : أتقاهم للرب وأوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر . والطبرانى وابن حبان فى صحيحه واللفظ له عن أبى ذر رضى الله عنه قال « أوصانى خليلى ﷺ بخصال من الخير

أوصاني أن لا أنظر الى من هو فوقي وأن أنظر الى من هو دوني وأوصاني بحب المساكين والدنو منهم ، وأوصاني أن أصل رحمي وأن أدبرت وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم وأوصاني أن اقول الحق وان كان مرا وأوصاني أن أكثر من لا حول ولا قوة الا بالله فانها كنز من كنوز الجنة » . والشيخان وغيرهما عن ميمونة رضي الله عنها « أنها أعتقت وليدة لها ولم تستأذن النبي ﷺ فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت أشعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي قال أما انك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك » . وابن حبان والحاكم « أتى النبي ﷺ رجل فقال إني أذنبت ذنبا عظيما فهل لي من توبة قال هل لك من أم قال لا قال وهل لك من خالة قال نعم قال فبرها » .

والبخاري وغيره « ليس الواصل بالمكافيء ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها » . والترمذي وقال حسن : « لا تكونوا إمعة تقولون ان أحسن الناس أحسنا وان ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا وان أساءوا أن لا تظلموا . والامعة بكسر ففتح وتشديد فمهملة هو الذي لا رأي له فهو يتبع كل واحد على رأيه[1] .

وفي مسلم « يا رسول الله إن لي قرابة أصل ويقطعونني ، وأحسن اليهم ويسيئون الي وأحلم عليهم ويجهلون علي فقال : ان كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملل أي ، بفتح وتشديد ، الرماد الحر ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك » . والطبراني وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم : أفضل الصدقة صدقة على ذي الرحم الكاشح أي الذي يضمر عداوته في كشحه أي خصره كناية عن باطنه ، وهو في معنى قوله ﷺ : « وتصل من قطعك » . والبزار والطبراني والحاكم وصححه واعترض بأن فيه واهيا : « ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته قالوا وما هي يا رسول الله قال تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك فاذا فعلت ذلك يدخلك الجنة » . وأحمد باسنادين أحدهما رواته ثقات عن عقبة

---

(1) الإمع : الذي يقول لكل أحد : انا معك ولا يثبت على شيء لضعف رأيه ، والمقلد في الدين والمتردد الذي لا يثبت على شيء ، وتزاد فيه التاء فيقال امعة .

ابن عامر رضى الله عنه قال « لقيت رسول الله ﷺ فأخذت بيده فقلت يا رسول الله أخبرنى بفواضل الأعمال فقال يا عقبة : صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك» ، زاد الحاكم : «ألا ومن أراد أن يمد فى عمره ويبسط فى رزقه فليصل رحمه » • والطبرانى بسند محتج به : « ألا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وأن تعفو عمن ظلمك» • والطبرانى : « إن أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتصفح عمن شتمك ، والبزار « ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات ، وفى رواية للطبرانى ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع به الدرجات قالوا نعم يا رسول الله قال تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك » •

وابن ماجه « أسرع الخير ثوابا البر وصلة الرحم ، وأسرع الشر عقوبة البغى وقطيعة الرحم » • والطبرانى : « ما من ذنب أجدر أن يعجل لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة من قطيعة الرحم والخيانة والكذب وان أعجل البر ثوابا لصلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونن فجرة فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا » •

الباب الرابع والعشرون
فى بر الوالدين

أخرج الشيخان عن ابن مسعود رضى الله عنه قال « سألت رسول الله ﷺ : أى العمل أحب الى الله قال الصلاة لوقتها ثم قلت ثم أى قال بر الوالدين ، قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله » ومسلم وغيره : « لا يجزى ولد والده الا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه » ، ومسلم : أقبل رجل الى رسول الله ﷺ فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله تعالى فهل من والديك أحد حى قال نعم بل كلاهما حى قال فتبتغى الأمر من الله قال نعم قال فارجع الى والديك فأحسن صحبتهما وأبو يعلى والطبرانى بسند جيد : أتى رجل رسول الله ﷺ فقال انى أشتهى الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقى من والديك أحد قال أمى قال فاسأل الله فى برها فاذا فعلت فأنت حاج ومعتمر ومجاهد ، والطبرانى يا رسول الله انى أريد الجهاد فى سبيل الله قال أمك حية

قال نعم قال ﷺ الزم رجلها فثم الجنـة ، وابن ماجـه : يا رسـول الله ما حق الوالدين على ولدهما قال هما جنتـك ونارك ، وابن ماجـه والنسائي واللفظ له والحاكم وصححه : « يا رسول الله أردت ان أغـزو وقد جئت أستشيرك فقال : هـل لك من أم قال نعـم قال الزمها فان الجنة عند رجليها » . وفى رواية صحيحة : « ألك والدان قال نعم قال الزمهما فإن الجنة تحت أرجلهما » . والترمذى وصححه عن أبى الدرداء رضى الله عنـه أن رجـلا أتـاه فقال : « إن لى امرأة وإن أمى تأمرنى بطلاقها فقال سمعت رسـول الله ﷺ يقول : الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه» .وابن حبان فى صحيحه «أن رجلا أتى أبا الدرداء فقال ان أبى لم يزل بى حتى زوجنى وانه الآن يأمـرنى بطلاقها قال : ما أنا بالذى آمـرك أن تعق والديك ولا بالذى آمرك أن تطلق زوجتك غـير أنك ان شئت حدثتك بما سمعت من رسول الله ﷺ سـمعته يقول : الوالد أوسـط أبواب الجنـة فحافظ على ذلك أو دع قال وأحسـب عطاء قال فطلقها » . وأصحاب السنن الأربعة وابن حبـان فى صحيحه ، وقال الترمذى حديث حسن صحيح عن ابن عمـر رضى الله عنهما قال : كان تحتى امرأة أحبهـا وكان عمر يكرهها فقـال لى طلقها فأبيت فأتى عمر رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقـال لى رسـول الله ﷺ : طلقها . وأحمـد بسند صحيح : من سره أن يمـد له فى عمره ويزاد فى رزقه فليبر والديه وليصل رحمه ، وأبو يعلى وغيره وصححـه الحاكم : « من بر والديه طوبى له زاد الله فى عمره » ، وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه واللفظ له والحاكم وصححه « أن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد فى العمر الا البر » ، وفى رواية للترمذى وقال حسـن غريب : « لا يرد القضاء الا الدعـاء ولا يزيد فى العمر إلا البر » ، والحاكم وصححه « عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم أبنـاؤكم ومن أتـاه أخـوه متنصلا فليقبل ذلك محقا كان أو مبطـلا فان لم يفعل لم يـرد على الحوض »

والطبرانى بإسناد حسن : « بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم » .

ومسـلم : « رغـم أنفه ثم رغـم أنفه ثم رغـم أنفه ، أى لصق بالرغام وهـو التراب من الذل ، قيـل من يا رسـول الله قال من أدرك والديه عنده الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة أو لا يدخلانه الجنة » .

والطبرانى بأسانيد أحدها حسن : «صعد النبى ﷺ المنبر فقال آمين آمين آمين ثم قال أتانى جبرائيل عليه السلام فقـال يا محمـد من أدرك أحد أبويه ثم لم يبرهما فمات فدخل النار فأبعـده الله قـل آمين فقلت آمين فقال يا محمد من أدرك شهر رمضـان فمات فلم يغفر له فأدخـل النـار فأبعـده الله قـل آمين فقلت آمين قال ومن ذكـرت عنـده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قـل آمين فقلت آمين » • ورواه ابن حبان فى صحيحه إلا أنه قال فيه « ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قـل آمين ، فقلت آمين » ، ورواه الحاكم وغيرهوقال فى آخره فلما رقيت الثالثة قال بعد : « من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة فأبعده الله قل آمين قلتآمين»، ورواه الطبرانى وفيه من أدرك والديه أو أحدهما فلم يبرهما دخل النار فأبعده الله وأسحقه قلت آمين • وأحمد من طرق أحدها حسن : من أعتق رقبة مسلمة فهى فداؤه من النار ومن أدرك أحـد والديه ثم لم يغفـر له فأبعـده الله زاد فى رواية وأسحقه • والشيخان يا رسول الله من أحق النـاس بحسن صـحابتى قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك • والشـيخان عن أسـماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت « قدمت على أمى وهى مشركة فى عهـد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسـول الله ﷺ فقلت قـدمت على أمى وهى راغبـة أى عن الإسلام أو فيما عندى أفأصل أمى قال نعم صلى أمك » • وابن حبـان فى معصية الوالد أو قال الوالدين ، وفى أخرى للبزار : رضا الرب من رضا الوالد أو قال الوالدين وسخط اللهفى سخط الوالد أو قالالوالدين، وفى رواية للطبرانى : طاعة الله فى طاعة الوالد أو قال الوالدين ومعصيته فى معصية الوالد أو قال الوالدين ، وفى أخرى للبزار : رضـا الرب تبارك وتعالى فى رضـا الوالدين وسـخط الرب تبارك وتعالى فى سخط الوالدين •

والترمذى واللفظ لـه وابن حبـان فى صـحيحه والحـاكم وقال صـحيح على شرطهما : « أتى النبى ﷺ رجـل فقال إنى أذنبت ذنبـا عظيما فهل لى من توبة قال : هل لك من أم قال لا قال فهل لك من خالة قال نعم قال فبرها » وأبو داود وابن ماجه « يا رسول الله هـل بقى من بر أبوى شىء أبرهمـا به بعـد موتهمـا قال نعم الصلاة عليهمـا أى الدعاء لهمـا والاستغفار لهمـا وانفـاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم

التى لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما » ، ورواه ابن حبان فى صحيحه بزيادة « قال الرجل ما أكثر هذا يا رسول الله وأطيبه قال فاعمل به » .

ومسلم أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لقيه رجل من الأعراب بطريق مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه ، قال ابن دينار فقلنا أصلحك الله انهم الاعراب وهم يرضون باليسير فقال عبد الله بن عمر ان أبا هذا كان ودودا لعمر بن الخطاب وانى سمعت رسول الله ﷺ يقول ان أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه » . وابن حبان فى صحيحه عن أبى بردة رضى الله عنه قال « قدمت المدينة فأتانى عبد الله بن عمر فقال أتدرى لما أتيتك قلت لا قال فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أحب أن يصل أباه فى قبره فليصل اخوان أبيه بعده وانه كان بين أبى عمر وبين أبيك إخاء وود فأحببت أن أصل ذلك » . وفى حديث الصحيحين وغيرهما المشهور بروايات متعددة « أن ثلاثة نفر ممن كان قبلنا خرجوا يتماشون ويرتادون لأهليهم فأخذهم المطر حتى أووا الى غار فى الجبل فانحدرت على فمه صخرة فسدته فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا بصالح أعمالكم ، وفى رواية فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالا عملتموها لله عز وجل صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها وفى أخرى فقال بعضهم لبعض عفى الأثر ووقع الحجر ولا يعلم بمكانكم الا الله فادعوا الله بأوثق أعمالكم فقال أحدهم اللهم انه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق[1] قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بى طلب شجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من الصعرة ففرجت شيئا لا يستطيعون الخروج ، وفى رواية ولى صبية صغار كنت أرعى فاذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدى أسقيهما قبل ولدى وأنه نأى بى طلب شجرة يوما فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما ، والصبية يتضاغون[2] عند قدمى فلم يزل ذلك دأبى

---

(١) الغبوق اللبن الذى يحلب بالعشى أو يشرب بالعشى .

(٢) ضغا : صاح من الألم .

ودأبهما حتى طلع الفجر فان كنت تعلم أنى قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء وذكر الآخر عفته عن الزنا بابنة عمه والآخر تنميته لمال أجير فانفرجت عنهم كلها وخرجوا يتماشون » .

الباب الخامس والعشرون
فى الزكاة والبخل

قال الله تعالى : « **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة** »(١) وقال تعالى : « **وويل للمشركين** »(٢) « **الذين لا يؤتون الزكاة** »(٣) سماهم المشركين، وقال رسول الله ﷺ : «ما من أحد لا يؤدى زكاة ماله إلا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع حتى يطوق به عنقه » . وقال رسول الله ﷺ : « يا معشر المهاجرين خمس خصال إن ابتليتم بهن ونزلت بكم أعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا المطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما فى أيديهم وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله الا جعل الله بأسهم بينهم » .

وقال ﷺ : « إن الله يبغض البخيل فى حياته السخى عند موته(٤)» .

وقال ﷺ : « خصلتان لا يجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق» .

وقال ﷺ : « أقسم الله تعالى لا يدخل الجنة بخيل » وقال ﷺ : « إياكم والبخل فإن البخل دعا قوما فمنعوا زكاتهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم ودعاهم فسفكوا دماءهم » . وقال ﷺ : « خلق الله اللؤم فحفه بالبخل والمال » .

وسئل الحسن رضى الله عنه عن البخل قال : هو أن يرى الرجل ما أنفق تلفا وما أمسك شرفا . وأصل البخل حب المال وطول الأمل

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٨٠ .
(٢) سورة فصلت : آية ٦ .   (٣) سورة فصلت : آية ٧ .
(٤) اى عندما يشعر بدنو اجله يجعل المال هكذا وهكذا والمال أصبح للورثة ولكن تنفق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر .

وخوف الفقـر وحب الولد ، ففى الحديث « الولد مجبنة مبخلة » ومن الناس من لا يسمح بأداء زكاة ماله ولا بالإحسان إلى نفسه وعياله وانما لذته ورغبته فى رؤية دنانيره وكونها فى قبضته وهو عالم أنـه يـموت وفى مثله يقول الشـاعر :

أأخى ان من الرجـال بهيمـة — فى صـورة الرجـل اللبيب المبصر
فطـن بكـل مصيبـة فى ماله — فاذا اصيب بدينـه لم يشـعر

وقال آخـر :

البخـل داء قـوى لا يليق بـذى — مـروءة لا ولا عقـل ولا ديـن
من آثـر البخل عن وفر وعن جدة — فقـد لعمرى اضحى وهو مغبـون
يا بؤس من منع الدارين حقهمـا — فبـاع دنيـاه بعد الدين بالدون

وقال آخـر :

اذا المال لم ينفع صديقا ولم يصب — قريبا ولم يجبر به حـال معـدم
فعقبـاه أن تحتـازه كف وارث — وللباخل المـوروث عقبى التنـدم

وقال بشر : لقاء البخيل كرب والنظر اليـه يقسى القلب • وكانت العرب تتعاير بالبخل والجبن ، وقال الشاعر :

انفق ولا تخش اقلالا فقـد قسمت — على العبـاد من الرحمن أرزاق
لا ينفـع البخـل مع دنيـا مولية — ولا يضر مـع الاقبـال انفـاق

وقال آخـر :

أرى النـاس خلان الجواد ولا ارى — بخيـلا لـه فى العـالمين خليـل
وانى رأيت البخـل يزرى باهـله — فاكرمت نفسى ان يقـال بخيـل

وكفى بالبخيل خسة أن يجمع لغيره ويحتمل معرة ضيره ولا ينـال لذة وفره وخيره • وفى مثله يقول وكيع :

لئيـم لا يـزال يـلم وفـرا — لوارثـه ويدفـع عن حمـاه
ككلب الصيد يمسك وهـو طـاو — فريسـته ليأكلهـا سـواه

وفى الحكم المنثورة : بشر مال البخيل بحادث أو وارث ، وقال أبو حنيفة رحمه الله لاأرى أن أعدل(1) بخيلا لأن البخل يحمله على الاستقصاء فيأخذ فوق حقه حيفة من أن يغبن فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة ولقى يحيى عليه السلام ابليس فقال له يا ابليس أخبرنى بأحب النـاس اليك وأبغض الناس اليك قال أحب النـاس الى المؤمن البخيل وأبغض الناس الى الفاسق السـخى قال له لمـاذا قال لأن البخيـل قد كفـانى بخله والفاسق السـخى أتخوف أن يطلع الله عليه فى سـخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا أنك يحيى لمـا أخبرتك •

---

(1) إذا كان مؤديا الشهادة فلا يقبلها منه .

الباب السادس العشرون
فى طول الأمل

قال ﷺ : « أخوف ما أخاف عليكم اثنتان طول الأمل واتباع الهوى، وإن طول الأمل يُنسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق » •

وقال ﷺ : أنا زعيم لثلاثة بثلاثة : للمكب على الدنيا والحريص عليها والشحيح بها بفقر لا غنى بعده وشغل لا فراغ منه وهم لا فرج معه •

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه أشرف على أهل حمص فقال ألا تستحون تبنون ما لا تسكنون ، وتأملون ما لا تدركون، وتجمعون ما لا تأكلون ، إن الذين كانوا قبلكم بنوا شديدا وجمعوا كثيرا وأملوا بعيدا فأصبحت مساكنهم قبورا وآمالهم غرورا وجمعهم بورا •

وقال على بن أبى طالب لعمر رضى الله عنهما : إذا أردت أن تلقى صاحبيك فارقع قميصك واخصف نعلك واقصر أملك وكل دون الشبع •

وأوصى آدم ابنه شيث عليهما السلام بخمسة أشياء وأمره أن يوصى بها أولاده من بعده أولها قال له قل لأولادك لا تطمئنوا للدنيا فانى اطمأننت بالجنة الباقية فأخرجنى الله منها ، والثانى قل لهم لا تعملوا بهوى نسائكم فانى عملت بهوى امرأتى وأكلت من الشجرة فلحقتنى الندامة ، والثالث قل لهم كل عمل تريدونه فانظروا عاقبته فانى لو نظرت عاقبة الأمر لم يصبنى ما أصابنى ، والرابع اذا اضطربت قلوبكم بشيء فاجتنبوه فانى حين أكلت من الشجرة اضطرب قلبى فلم ارجع فلحقنى الندم ، والخامس استشيروا فى الأمور فانى لو شاورت الملائكة لم يصبنى ما أصابنى • وقال مجاهد قال لى عبد الله بن عمر : اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك قبل موتك ومن صحتك قبل سقمك فانك لا تدرى ما اسمك غدا • وقال ﷺ لأصحابه : أيريد كلكم أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا الأمل واستحيوا من الله حق الحياء قالوا كلنا نستحى من الله تعالى قال ليس ذلك بالحياء ولكن الحياء من الله تعالى أن تذكروا المقابر والبلى وتحفظوا الجوف وما وعى والرأس وما حوى ومن يشتهى كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا فهنالك استحياء العبد من الله حق الحياء وبها يصيب العبد ولاية الله تعالى • وقال ﷺ : أول صلاح هذه الأمة بالزهد واليقين وهلاك آخرها بالبخل والأمل •

وروى عن أم المنذر أنها قالت طلع رسول الله ﷺ ذات عشية إلى الناس فقال « أيها الناس أما تستحون من الله قالوا وما ذاك يارسول الله قال : تجمعون مالا تأكلون وتأملون مالا تدركون وتبنون مالا تسكنون » .

وعن أبى سعيد الخدرى قال « اشترى أسامة بن زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله ﷺ يقول ألا تعجبون من أسامة المشترى إلى شهر إن أسامة لطويل الأمل والذى نفسى بيده ما طرفت عيناى الا ظننت أن شفرى لا يلتقيان حتى يقبض الله روحى ولا رفعت طرفى فظننت أنى واضعة حتى أقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت أنى لا أسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال يا بنى آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذى نفسى بيده انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فأقول له يا رسول الله ان الماء منك قريب فيقول :ما يدرينى لعلى لا أبلغه » .

وقيل بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الأرض فقال عيسى : اللهم انزع منه الأمل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم اردد عليه الأمل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينما أنا أعمل اذ قالت لى نفسى الى متى تعمل وأنت شيخ كبير فألقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لى نفسى والله لابد لك من عيش ما بقيت فقمت الى مسحاتى .

الباب السابع العشرون
فى ملازمة الطاعة وترك الحرام

معنى الطاعة القيام بفروض الله تعالى والاجتناب لمحارمه والوقوف عند حدوده . قال مجاهد فى قول الله عز وجل : « **ولا تنس نصيبك من الدنيا** »(١) هو أن يعمل العبد بطاعة الله تعالى . واعلم ان اصل الطاعة العلم بالله والخوف من الله والرجاء فى الله والمراقبة لله ، فاذا تجرد العبد من هذه الخصال لم يدرك حقيقة الايمان لأنه لا تصح الطاعة لله الا بعد العلم به والايمان بوجوده خالقا عالما قادرا لا يحيط به علم ولا يتصوره وهم ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

(١) سورة القصص : آية ٧٧ .

قال أعرابى لمحمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم : هل رأيت الله حين عبدته قال لم أكـن أعبد من لم أره قال كيف رأيتـه قال لم تـره الأبصار بمشاهدة العيان لكن رأته القلوب بحقيقـة الايمـان لا يـدرك بالحواس ولا يشبه بالناس معروف بالآيات منعوت بالعلامات لا يجـور فى القضيات ذلك الله لا اله الا هـو رب الأرض والسـموات فقـال الأعرابى الله أعلم حيث يجعل رسالته •

سئل بعض العارفين عن علم الباطن ، فقال : هو سر من أسرار الله يقذفه فى قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكـا ولا بشرا •

روى أن كعب الأحبـار قال لو أن بنى آدم بلغوا من اليقين مثقال حبة من عظمة الله عز وجل لمشـوا على المـاء والريح • فسبحان من جعل الاقرار بالعجز عن ادراك معرفته ايمانا كما جعل اقـرار المنعم عليه بالعجز عن ادراك شكره شكرا • قال محمود الوراق :

اذا كان شكرى نعمـة الله نعمـة — على له فى مثلهـا يجب الشـكر
فكيف بلوغ الشـكر الا بفضـله — وان طالت الأيـام واتصـل العمـر
اذا مس بالسراء عـم سرورهـا — وان مس بالضراء أعقبهـا الأجـر
وما منهمـا إلا له فيـه نعمـة — تضيق لهـا الاوهـام والبر والبحر

واذا ثبت العلم بالربوبية تعين الاقرار بالعبودية واذا تقـرر الايمان فى القلب وجبت الطاعة للرب • والايمـان نوعان ظاهر وباطن فالظـاهر النطق باللسان والباطن الاعتقـاد بالقلب والمؤمنون متباينون فى منـازل القرب متفاوتون فى درجات الطاعة والايمان جامع لهم بقدر حظ كل واحد منهم من الموهبة وتمكنه من علو المرتبـة فى الاخلاص لله والتوكل عليه والرضا بحكمه ، فأما الاخلاص فان لا يطلب العبد بمـا يعمل جـزاء من الخالق والله خلقكم وما تعملون فان كانت الطـاعة رجاء للمثوبة وخوفا من العقوبة فذلك العبد لا يكون كامل الاخلاص فانه لنفسه سعى •

روى أنه ﷺ قال لا يكن أحدكم كالكلب السـوء ان خاف عمـل ولا كالأجير السوء ان لم يعط أجـرا لم يعمـل •

وقال تعـالى : ((**ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصـابه خـير اطمـأن به وان اصـابته فتنـة انقلب على وجهـه خسر الدنيـا**

والآخرة»(١) وانما تعينت علينا عبادته ووجبت طاعته بما سبق له من الفضل علينا وتقدم له من الاحسان الينا فضلا عن كونه أمرنا بها ليرتب الجزاء عليها فضلا ويجازى من ضل عنها عدلا . وأما التوكل فهو الاعتماد على الله سبحانه عند الحاجة والاستناد اليه مع الضرورة والثقة به عند النازلة مع سكون النفس وطمأنينة القلب فالمتوكلون على ربهم علموا أنه المقدر والأسباب تحت حكم الخالق المدبر لا يركنون لآباء ولا أبناء ولا أموال ولا صنائع بل صرفوا بهديه جميع الأمور اليه ولم يعتمدوا فى حال من الأحوال الا عليه ومن يتوكل على الله فهو حسبه وأما الرضا فهو طيب النفس بما يجرى به المقدور ، قال بعض العلماء أقرب الناس الى الله أرضاهم بما قسم لهم . ومن كلام الحكماء رب مسرة هى الداء ومرض وهو الشفاء ، كما قال :

كم نعمة مطوية — لك بين انياب النوائب
ومسرة قد اقبلت — من حيث ترتقب المصائب
فاصبر على حدثان — دهرك فالأمور لها عواقب
ولكل كرب فرجة — ولكل خالصة شوائب

وحسبنا قول الله عز وجل : « **وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم** »(٢) .

واعلم أنه لن يستكمل العبد طاعة ربه الا برفض الدنيا . وفى بعض الحكم أبلغ المواعظ ما لم يحجبها عن القلب حاجب وهذه الحجب انما هى عوارض الدنيا .

ومن كلامهم الدنيا ساعة فاجعلها طاعة ، قال أبو الوليد الباجى :

اذا كنت اعلم علما يقينا — بان جميع حياتى كساعه
فلم لا اكون ضنينا بها — وأجعلها فى صلاح وطاعه

« وقال رجل لرسول الله ﷺ إنى أكره الموت قال : ألك مال قال نعم قال قدم مالك فإن المرء عند ماله » .

وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال البر فى ثلاثة : فى النطق والنظر والصمت فمن كان منطقه فى غير ذكر الله فقد لغا ومن كان نظره فى غير اعتبار فقد سها ومن كان صمته فى غير فكر فقد لها . وترك الدنيا يكون باطراح الفكرة فى أحوالها وترك التمنن بلذاتها فان الفكرة تبعث الارادة **لتعلق النفس بالفكرة** .

---

(١) سورة الحج : آية ١١ . (٢) سورة البقرة : آية ٢١٦ .

وليحذر من ارسال النظر فيما لا يحل فانه سهم صائب وسلطان غالب ، قال عليه الصلاة والسلام : « النظر سهم من سهام ابليس فمن تركها مخافة الله تعالى أعقبه ايمانا يجد طعمه فى قلبه » . ومن كلام الحكماء من أطلق كثر أسفه . ادمان النظر يكشف الخبر ويفضح البشر ويطول به المكث فى سقر احفظ عينيك فإنك إن أطلقتها أوقعتاك فى مكروه وان ملكتهما ملكت سائر جوارحك .

قيل لأفلاطون أيهما أشد ضررا بالقلب السمع أم البصر قال هما للقلب كالجناحين للطائر لا يستقل الا بهما ولا ينهض الا بقوتهما وربما قص أحدهما فنهض الآخر على تعب ومشقة . وقال محمد بن ضوء كفى بالعبد نقصانا عند الله وضعة عند ذوى العقول أن ينظر الى كل ما يسنح له .

رأى بعض الزهاد رجلا يضحك الى غلام فقال له يا خرب العقل والقلب ويا خرب الطرف أما تستحى من كرام كاتبين وملائكة حافظين يحفظون الأفعال ويكتبون الأعمال وينظرون اليك ويشهدون عليك بالبلاء الظاهر والغل الدخيل المخامر الذى أقمت نفسك فيه مقام من لا يبالى من وقف عليه ونظر من الخلق اليه ، وللقاضى الأرجانى :

تمتعتما يا ناظرى بنظرة ... فاوردتما قلبى اشر الموارد
أعينــاى كفا عن فؤادى فانه ... من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

وقال على كرم الله وجهه العيون مصائد الشيطان والعين أنفذ الجوارح سرعة وأشدها صرعة فمن اتبع جوارحه نفسه فى طاعة ربه فقد وصل أمله ومن اتبع جوارحه نفسه فى نيل لذته فقد أحبط عمله وأنشدوا :

اذا ما صفت نفس المريد لطاعة ... ولما تشبها للمعاصى شوائب
واتبعها فعل الجوارح كلها ... فتلك عليه أنعم ومواهب
تلقته فى دار الخلود كرامة ... اذا جب للعاصى سنام وغارب

قال عبد الله بن المبارك أصل الايمان التصديق بما جاءت به الرسل فمن صدق القرآن خرج الى العمل به ونجا من الخلود فى النار ومن اجتنب المحارم خرج الى التوبة ومن أخذ القوت من حله خرج الى الورع ومن أدى الفرائض صح اسلامه ومن صدق لسانه سلم من التبعات ومن رد المظالم نجا من القصاص ومن أتى بالسنن زكت أعماله ومن أخلص لله قبل عمله .

وروى عن أبى الدرداء أنه قال لرسول الله ﷺ يا رسول الله

أوصنى قال له اكتسب طيبا واعمل صالحا وسل الله رزق يوم ليوم وعد نفسك من الموتى » . وليحذر من الإعجاب بالعمل فانه من أعظم الآفات وأحبط الأعمال فان المعجب بعمله ممتن على ربه وما يدريه أقبل منه أم رد عليه رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا . وليحذر أيضا من الرياء قيل فى قوله تعالى : **« وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون »**(١) قيل عملوا اعمالا كانوا يرونها فى الدنيا من الحسنات فبدت لهم يوم القيامة من السيئات . وكان بعض السلف اذا قرأ هذه الآية قال ويل لأهل الرياء . وقيل أيضا فى قوله تعالى : **« ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »**(٢) ، أى لا يظهرها رياء ولا يخفيها حياء .

روى عن ابن مسعود أن آخر ما نزل من القرآن : **« واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون »**(٣) .

قال محمد بن بشير :

مضى أمسك الادنى شهيدا معدلا ... ويومك هذا بالفعال شهيد
فان تك بالامس اقترفت اساءة ... فثن باحسان وانت حميد
ولا ترج فعل الخير منك الى غد ... لعل غدا ياتى وانت فقيد

وقال غيره :

تعجل الذنب بما تشتهى ... وتامل التوبة فى قابل
والموت ياتى بعد ذا غفلة ... ما ذاك فعل الحازم العاقل

وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث : حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما نال وحسن الصبر على ما قد فات . وفى بعض الحكم المنشورة من صبر على البلاء وصل الى الوفاء قال :

عليك بالصبر ان نابتك نائبة ... من الزمان ولا تركن الى الجزع
وان تعرضت لك الدنيا بزينتها ... فالصبر عنها دليل الخير والورع
فجاهد النفس قسرا فيهما ابدا ... تلق الذى ترتجيه غير ممتنع

وقال آخر :

الصبر مفتاح ما يرجى ... ولم يزل دائما يعين
فاصبر وان طالت الليالى ... فربما ساعد الحزون
وربما نيل باصطبار ... ما قيل هيهات لا يكون

---

(١) سورة الزمر : آية ٤٧ .
(٢) سورة الكهف : آية ١١٠ .
(٣) سورة البقرة : آية ٢٨١ .

وقال آخـر :

الصـبر اوثـق عـروة الايمـان ... ومجنـة من نزعـة الشـيطان
الصـبر فيـه عواقب محمـودة ... والطيش فيـه عـواقب الخسران
فـاذا لقيت من الزمـان ملمـة ... وكذلك فينـا عـادة الازمـان
فتـدرع الصبر جميـل تيقنـا ... ان التصـبر رائـد الراضـوان

والصبر له فروع صبر على الفرائض بالمواظبـة عليهـا بكمالها فى أحب أوقاتها وصبر على النوافل وصبر على أذى الأصحـاب والجـار وصبر على الأمراض وصبر على الفقر والصبر عن المعـاصى وعن الشهوات وعن الشبهات وعن فضول جميع جوارح البدن وغير ذلك •

البـاب الثـامن والعشرون
فى بيـان ذكر المـوت

قال رسول الله ﷺ : « أكثروا من ذكر هازم اللذات » • معناه نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعـالى ، وقال ﷺ : « لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا » : وقالت عائشة رضى الله عنها يارسول الله هل يحشر مع الشـهداء أحـد قال : نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة » • وانمـا سبب هـذه الفضيلة كلهـا أن ذكر الموت يوجب التجـافى عن دار الغـرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعو الى الانهمـاك فى شهوات الدنيا • وقال ﷺ : « تحفة المؤمن الموت » • وإنما قال هذا لأن الدنيا سجن المؤمن اذ لا يزال فيها فى عناء من مقاسـاة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هـذا العـذاب والاطلاق تحفة فى حقه ، وقال ﷺ : « الموت كفارة لكل مسلم » • وأراد بهذا المسلم حقا المؤمن صـدقا الذى يسلم المسـلمون من لسـانه ويـده ويتحقق فيه أخـلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعـاصى الا باللمم والصـغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنـابه الكبـائر واقامته الفرائض •

قال عطاء الخراسانى « مر رسول الله ﷺ بمجلس قد استعلى فيـه الضحك فقال : شـوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت » •

وقال أنس رضى الله عنـه قال رسـول الله ﷺ : « أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا » ، وقال ﷺ : « كفى بالموت مفرقـا » • وقال عليه السلام : « كفى بالموت واعظا » • وخرج

رسول الله ﷺ الى المسـجد فاذا قوم يتحـدثون ويضحكون فقـال : « اذكروا الموت أما والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » وذكر عند رسول الله ﷺ رجـل فأحسنوا الثنـاء عليه فقال « كيف ذكر صـاحبكم للموت ، قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك » . وقال ابن عمر رضى الله عنهما « أتيت النبى ﷺ عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار من أكيس النـاس وأكـرم الناس يا رسول الله فقال : أكثرهم ذكرا للموت وأشـدهم استعدادا له أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة » . وقال الحسن رحمه الله تعالى فضـح الموت الدنيـا فلم يترك لذى لب فرحـا . وقال الربيـع بن خيثم ما غائب ينتظره المؤمن خـيرا له من الموت وكان يقول لا تشعروا بى أحـدا وسلونى الى ربى سـلا .

وكتب بعض الحكماء الى رجل من اخوانه يا أخى احـذر الموت فى هذه الدار قبل أن تصير الى دار تتمنى فيها الموت فـلا تجـده . وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضـو منـه : وكان عمـر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيـامة والآخـرة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة ، قال ابراهيم التيمى شيئان قطعـا عنى لـذة الدنيـا : ذكر الموت والوقوف بين يـدى الله عز وجـل . وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصـائب الدنيا وهمومهـا . وقال مطرف رأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول فى وسط مسـجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخـائفين فوالله ما تراهم الا والهين ، وقال أشعث كنـا ندخل على الحسن فانمـا هو النـار وأمر الآخـرة وذكر الموت .

وقالت صفية رضى الله عنها أن امرأة اشتكت إلى عائشة رضى الله عنها قسـاوة قلبهـا فقالت أكثرى ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبهـا فجاءت تشكر عائشة رضى الله عنهـا . وكان داود عليه السـلام اذا ذكر الموت والقيامة يبكى حتى تنخلع أوصاله فاذا ذكر الرحمـة رجعت اليـه نفسه . وقال الحسن ما رأيت عاقلا قط الا أصبته من الموت حـذرا وعليه حزينا ، وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظنى فقـال أنت أول خليفـة تمـوت قال زدنى قلل ليس من آبائك أحـد الى آدم الا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمـر لذلك ، وكان الربيع بن خيثم قـد حفـر قبرا فى داره فكان ينـام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبى سـاعة واحـدة لفسـد .

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير إن هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيمـا لا موت فيه • وقال عمر بن عبـد العزيز لعنبسـة أكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك ، قال أبو سليمان الداراني قلت لأم هـرون أتحبين الموت قالت لا فقلت لم قالت لو عصيت آدميـا ما اشتهيت لقاءه فكيف أحب لقـاءه وقـد عصيته •

قال أبو موسى التميمي توفيت امرأة الفرزدق فخرج في جنـازتهـا وجـوه البصرة • وفيهم الحسن رضى الله عنه فقـال الحسن يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا اله الا الله محمـد رسـول الله منذ ستين سنة فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها فقال :

اخاف وراء القبـر ان لم تعافني … أشـد من القبـر التهابا واضـيقا
اذا جـاءني يـوم القيـامة قائـد … عنيف وسـواق يسـوق الفرزدقا
لقـد خـاب من اولاد آدم من مشى … الى النـار مغـلول القـلادة ازرقا

وقد أنشدوا في أهل القبور :

قف بالقبـور وقل على سـاحاتها … مـن منـكم المغمـور في ظلماتهـا
ومـن المكرم منـكم في قعـرها … قـد ذاق بـرد الأمن من روعاتها
اما السـكون لذى العيون فواحـد … لا يسـتبين الفضـل في درجاتهـا
لـو جاوبـوك لأخبـروك بالسـن … تصـف الحقائق بعـد من حالاتها
امـا المطيـع فنـازل في روضـة … يفضى الى مـا شـاء من دوحاتها
والمجـرم الطـاغي بهـا متقلب … في حفـرة يأوى الى حيـاتها
وعقـارب تسـعى اليـه فروحـه … في شـدة التعـذيب من لدغاتهـا

وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة فأنشأت أقـول :

أتيـت القبـور فنـاديتهـا … فـأين المعظـم والمحتقـر
وأين المـدل بسـلطانه … وأين المـزكى اذا ما افتخـر

قال فنوديت من بينها أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول :

تفـانوا جميعـا فمـا مخبر … ومـاتوا جميعـا ومـات الخبر
تـروح وتغـدو بنـات الثرى … فتمحـو محاسن تلك الصـور
فيـا سـائلى عن اناس مضـوا … أمـا لك فيمـا تـرى معتبر

وجد مكتوبا على قبر :

تناجيك اجـداث وهـن صـموت … وسـكانها تحت التراب خفـوت
أيـا جـامع الدنيـا لغـير بلاغـة … لمن تجمـع الدنيـا وأنت تمـوت

وقال ابن السماك مررت على المقابر فاذا على قبر مكتوب :

يمـر اقـاربى جنبـات قبرى … كـأن اقـاربى لـم يعـرفونى
ذوو الميراث يقتسـمون مـالى … وما يالـون ان جحـدوا ديـونى

قد اخذوا سهامهم وعاشوا … فيالله اسرع ما نسونى.

ووجد على قبر مكتوبا :

ان الحبيب من الأحباب مختلس … لا يمنع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها … يا من يعد عليه اللفظ والنفس
اصبحت يا غافلا فى النقص منغمسا … وانت دهرك فى اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لغرته … ولا الذى كان منه العلم يقتبس
كم أخرس الموت فى قبر وقفت به … عن الجواب لسانا ما به خرس
قد كان قصرك معمورا له شرف … فقبرك اليوم فى الأجداث مندرس

ووجد على قبر مكتوبا :

وقفت على الأحبة حين صفت … قبورهم كافراس الرهان
فلئن بكيت وفاض دمعى … رأت عيناى بينهم مكانى

وجد على قبر طبيب مكتوبا :

قد قلت لما قال لى قائل … قد صار لقمان الى رمسه
فاين من يوصف من طبه … وحذقه فى الماء مع جسه
هيهات لا يدفع عن غيره … من كان لا يدفع عن نفسه

ووجد على قبر آخر مكتوبا :

يا أيها الناس كان لى امل … قصر بى عن بلوغه الأجل
فليتق الله ربه رجل … أمكنه فى حياته العمل
ما انا وحدى نقلت حيث ترى … كل الى مثله سينتقل

الباب التاسع والعشرون

فى ذكر السموات والأجناس المختلفة

روى أول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بنظر الهيبة فذابت وارتعدت من خوف ربها فصارت ماء ثم نظر اليها بنظر الرحمة فجمد نصفها فخلق منه العرش فارتعد العرش فكتب الله عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن العرش وترك الماء على حاله يرتعد الى يوم القيامة وذلك قوله تعالى : ((**وكان عرشه على الماء**))(١) ثم تلاطم وتموج وصعدت منه أدخنة وارتفع بعضها متراكما على بعض وكان له زبد فخلق الله تعالى منه السموات والأرض طباقا فكانتا رتقا فخلق الريح فيها فتفتق بين أطباق السماء وأطباق الأرض كما أخبر سبحانه وتعالى بقوله : ((**ثم استوى الى السماء وهى دخان**))(٢) قال أهل الحكمة انما خلق الله تعالى السماء من دخان ولم يخلقها من

---

(١) سورة هود : آية ٧ .   (٢) سورة فصلت : آية ١١ .

بخـار لأن الدخان خلق متماسك الأجزاء يستقر منتهـاه والبخار متراجع وذلك من كمال علمه سبحانه وحكمته ، ثم نظر تعـالى الى المـاء بعين الرحمة فجمد كما جاء فى الحديث •

(فائـدة) بين سـماء الدنيـا والأرض وكذا بين كل سـماء وسـماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك ، وقيل ان السماء أشد بياضـا من اللبن وانما اخضرت من خضرة جبـل قاف واسـم تلك السـماء رقيعـة والثانية من حديد تتلألأ نورا واسـمها فيـدوم أو ماعون والثالثـة من نحاس يقال لها ملكوت أو هاريون والرابعة من فضـة بيضـاء يكـاد نورها يخطف الأبصار واسمها الزاهرة والخامسة من ذهب أحمـر يقال لها المزينة أو المسـهرة والسادسة من جوهرة تتلألأ نورا واسمها الخالصة والسابعة من ياقوتة حمراء واسمها اللابيـة أو الدامعـة وفيهـا البيت المعمور له أربعـة أركان : ركن من ياقوتة حمـراء وركن من زبرجـدة خضراء وركن من فضة بيضاء وركن من ذهب أحمـر • وورد أن البيت المعمور من العقيق يدخله كل يوم سبعون ألفـا من الملائكة لا يعودون اليه الى يوم القيامة ، والمعتمد أن الأرض أفضل من السماء لأن الانبيـاء خلقوا منها ودفنوا فيها ، وأفضل طبقات الأرض أعلاها لمـا ذكر ولأنـه محـل انتفـاع العـالم •

وعن ابن عباس أفضل السموات هى التى يلى سقفها عرش الرحمن وهى الكرسى لقـربها من العرش ولأن جميع النجوع المنتفع بهـا مثبتة فيها غير السـبعة السيارة أما هى فمثبتـة فى السموات السبع فزحل فى السابعة وهـو ليوم السبت والمشترى فى السادسة وهو ليوم الخميس والمريخ فى الخامسة وهو ليوم الثلاثاء والشمس فى الرابعـة وهى ليوم الأحـد والزهرة فى الثالثة وهى ليوم الجمعة وعطارد فى الثانية وهـو ليوم الأربعاء والقمر فى الأولى وهو ليوم الاثنين •

ومن عجيب صنع البارى تبارك وتعالى أن خلق السموات السـبع من دخان مع كون كل سماء لا تشبه صـاحبتها وأنزل من السـماء ماء فأخرج به من أنواع النبات والأثمـار المختلفـة اللون والطعم كمـا قال تعـالى : « **ونفضـل بعضها على بعض فى الاكـل** »(١) وخلق أولاد آدم على طبقات شتى منهم الأبيض والأسود والسهل والحزن والمؤمن والكافر والعالم والجاهل مع أن الأصل آدم فسبحان من أتقن كل شىء خلقـه •

---

(١) سورة الرعد : آية ٤ .

البـــاب الثـلاثون
فى بيـان الكرسى والعرش وبيـان الملائكة المقربين والأرزاق والتوكـل

قال الله تعالى : ((**وسع كرسـيه السموات والأرض**))(١) قيل كرسيه مجاز عن علمه وقيل ملكه وقيل الفلك المعروف •

روى عن على كرم الله وجهه أن الكرسى لؤلؤة وطوله لا يعلمــه الا الله تعالى وفى الخبر ما السموات والأرضــون السـبع مع الكرسى الا كحلقــة فى فــلاة • وأخرج ابن ماجه أن الســموات فى جوف الكرسى والكرسى بين يدى العرش •

وعن عكرمة قال الشمس جزء من سبعين جــزءا من نور الكرسى والعرش جزء من ســبعين جزءا من نور الســتور يعنى بهــا الحجب • وورد أن نور كل حجاب مسيرة خمســمائة عام ولولا ذلك لاحترق حملة الكرسى من نورهم • والعرش جسم نورانى علوى فوق الكرسى فهــو غيره خلافا للحسن البصرى قيل من ياقوتة حمــراء وقيــل من جوهــرة خضراء وقيل من درة بيضاء وقيل من نور والأولى الامســاك عن القطع بحقيقته ويسميه الفلكيون بالفلك التاسع والفلك الأعلى وفلك الأفــلاك والفلك الأطلس أى الخالى من الكواكب اذ كلها على ما قال قدماء أهــل الهيئــة ثوابت فى الفلك الثامن المسمى عندهم بفلك البروج وعند أهــل الشرع بالكرسى والعرش سقف المخلوقات فــلا شىء يخرج عن دائرتــه فهو منتهى علم العبــاد لا مجال للادراك وراءه ولا مطلب لطالب فوقــه قال الله تعالى : ((**فان تولوا فقــل حسـبى الله لا اله الا هو عليــه توكلت وهــو رب العرش العظيم**))(٢) وصفــه بالعظم لأنــه أعظم المخلوقات وقــد تحقق ﷺ بالتوكل كما أمــر ولذا ســمى فى التوراة وغيرها بالمتوكــل كيف والتوكل فرع التوحيد والمعرفة وهــو ﷺ سيد الموحدين ورأس العارفين ولا ينافى التوكل الأخذ فى الأسباب كما قد يتوهم بل هو أيضــا مأمور به فقد قال له ﷺ أعرابى أأعقل ناقتى أم أتركها وأتوكــل فقــال اعقلها وتوكل •

وقال ﷺ لو توكلتم على الله حــق توكله نرزقكــم كمــا يرزق الطير تغدو خماصا أى جياع وتروح بطانا » أى شباعا فأشــار بقوله تغــدو الى التسبب •

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٥٥ .   (٢) سورة التوبة : آية ١٢٩ .

حكاية التقى ابراهيم بن ادهم وشقيق البلخى بمكة فقال له ابراهيم ما بدء أمرك الذى بلغك هذا قال مررت ببعض الفلوات فرأيت طيرا مكسور الجناحين فى فلاة من الأرض فقلت أنظر من أين يرزق هذا فقعدت بحذائه فاذا أنا بطير قد أقبل فى منقاره جرادة فوضعها فى منقار الطير المكسور الجناحين فقلت لنفسى ان الذى قيض هذا الطير لهذا الطير قادر أن يرزقنى حيث كنت فتركت التكسب واشتغلت بالعبادة فقال ابراهيم ولم لا تكون أنت الطير الصحيح الذى أطعم الطير العليل حتى تكون أفضل منه أما سمعت عن النبى ﷺ : اليد العليا خير من اليد السفلى ٠ ومن علامة المؤمن أن يطلب أعلى الدرجتين فى أموره كلها حتى يبلغ منازل الأبرار فأخذ شقيق بيد ابراهيم فقبلها وقال أنت أستاذنا يا أبا اسحق ٠ ثم اذا تسبب الانسان فليجتهد أن لا ينظر الى أسبابه ولا يقف عندها بل جعل مولاه مطمح نظره ومرمى قصده كالسائل يقصد الناس بوعاء فى يده ولا ينظر اليه وانما ينظر الى الذين يعطونه ٠ وفى الحديث : من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما فى يديه ٠

وقد قيل لحذيفة المرعشى وكان قد خدم ابراهيم بن أدهم ما أعجب ما رأيت منه فقال بقينا فى طريق مكة أياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوينا الى مسجد خراب فنظر الى ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال على بدواة وقرطاس فجئت به فكتب بعد البسملة أنت المقصود بكل حال والمشار اليه بكل معنى وكتب :

انا حامد انا شاكر انا ذاكر	**انا جائع انا ضائع انا عارى**
فكن الضمين لنصفها	**هى ستة وانا الضمين لنصفها يا بارى**
فاجر عبيدك من دخول النار	**مدحى لغيرك لهب نار خضتها**

ثم دفع الى الرقعة فقال أخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة الى أول من يلقاك فخرجت فأول من لقينى كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو فى المسجد الفلانى فدفع الى بصرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فسألته عن راكب البغلة فقال هذا نصرانى فجئت الى ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجىء الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصرانى وأكب على رأس ابراهيم يقبله وأسلم ٠

(**فائـدة**) قال ابن عبـاس لمـا خلق الله تعـالى حملة العرش قـال لهم احملوا عرشى فلم يطيقـوا فخلق مع كل واحـد منهم مثـل من فى السموات السبع من الملائكة فقال احملوا عرشى فلم يطيقـوا فخلق مع كل منهم مثـل من فى السموات من الملائكة ومن الأرض من الخـلق وقال احملوا عرشى فلم يطيقوا فقـال قولوا لا حـول ولا قوة الا بالله فلما قالوها حملوه فنفـذت أقـدامهم فى الأرض السـابعة على متن الريح فلمـا لم تستقر أقـدامهم على شىء تمسـكوا بالعـرش ولم يفتروا عن قولهم لا حول ولا قوة الا بالله خيفـة أن ينقلب أحـدهم فـلا يعرف أين يهوى فهم حاملون للعرش وهو حاملهم والكل محمول بالقدرة •

وروى من قال اذا أصبح واذا أمسى حسبى الله لا اله الا هو عليـه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله تعالى ما أهمه صادقا كان بها أو كاذبا • وفى رواية كفاه الله ما أهمه من أمر آخرته ودنياه •

البـاب الواحـد والثلاثون
فى تـرك الدنيـا وذمهـا

الآيات الواردة فى ذم الدنيـا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصـود الأنبياء عليهم الصلاة والسـلام ولم يبعثـوا الا لذلك فـلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانمـا نورد بعض الأخبـار الواردة فيهـا •••

فقد روى أن رسـول الله ﷺ مر على شـاة ميتـة فقـال أترون هذه الشاة هينة على أهلهـا قالوا من هوانهـا ألقوها قال والذى نفسى بيده للدنيـا أهون على الله من هذه الشاة على أهلهـا ولو كانت الدنيـا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء » • وقال ﷺ : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » • وقال رسول الله ﷺ : الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منهـا » • وقال أبو موسى الأشـعرى قال رسول الله ﷺ : « من أحب دنيـاه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى » • وقال ﷺ : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » •

وقال زيد بن أرقـم كنـا مع أبى بكر الصـديق رضى الله عنـه فدعا بشراب فأتى بماء وعسـل فلمـا أدنـاه من فيـه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنـوا أنهم لا يقـدرون

على مسألته قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبكاك قال كنت مع رسول الله ﷺ فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم أر معه أحد فقلت يا رسول الله ما الذى تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لى فقلت لها اليك عنى ثم رجعت فقالت انك ان أفلت منى لم يفلت منى من بعدك • وقال ﷺ : « يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور » •

وروى أن رسول الله ﷺ وقف على مزبلة فقال : « هلموا الى الدنيا وأخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا » وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا ستخلق مثل تلك الخرق وأن الأجسام التى ترى بها ستصير عظاما بالية • وقال ﷺ : « إن الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بنى اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا فى الحلية والنساء والطيب والثياب » • وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا كنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة • وقال عليه أفضل الصلاة والسلام[1] أيضا يا معشر الحواريين إنى قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدى فان من خبث الدنيا أن عصى الله فيها وان من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك الا بتركها الا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة أورثت أهلها حزنا طويلا وقال أيضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعكم فيها الملوك والنساء فلا تنازعهم الدنيا فانهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم ، وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجىء الموت فيأخذ بعنقه • وقال موسى بن يسار قال النبى ﷺ : ان الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها •

وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام مر فى موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه وشماله قال فمر بعابد من بنى اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان وقال

---

(١) هو عيسى أيضا على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام .

لتسبيحة فى صحيفـة مؤمن خير ممـا أعطى ابن داود فان ما أعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى • وقال ﷺ : « ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى وهـل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصـدقت فأبقيت » وقال ﷺ : الدنيـا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولهـا يجمع من لا عقـل له وعليهـا يعـادى من لا علم له وعليها يحسـد من لا فقه له ولها يسـعى من لا يقين له » • وقال ﷺ : من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله فى شىء وألزم الله قلبـه أربع خصال : همـا لا ينقطع عنه أبدا وشـغلا لا يتفرغ منه أبـدا وفقـرا لا يبلغ غنـاه أبـدا وأمـلا لا يبلغ منتهاه أبدا • وقال أبو هريرة قال لى رسول الله ﷺ يا أبا هريرة ألا أريك الدنيـا جميعـا بما فيها فقلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدى وأتى بى واديا من أوديـة المدينـة فاذا مزبلة فيها رؤوس أناس وعـذرات وخرق وعظـام ثم قال يا أبا هريرة هـذه الرؤوس كانت تحرص كحرصكم وتأمل كأملكم ثم هى اليوم عظام بلا جلد ثم هى صائرة رمادا وهـذه العذارات هى ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها فى بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقهـا وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليهـا أطـراف البـلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا • ويروى أن الله عز وجـل لمـا أهبط آدم الى الأرض قال له ابن للخـراب ولـد للفناء[1] • وقال داود بن هلال مكتوب فى صحف إبراهيم عليه السـلام يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وتزينت لهم انى قـذفت فى قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون على منك كل شأنك صغير والى الفناء يصـير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لأحـد ولا يدوم لك أحد وان بخل بك صاحبك وشـح عليك ، طوبى للأبرار الذين أطلعونى من قلوبهم على الرضـا ومن ضميرهم على الصـدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عنـدى من الجـزاء اذا وفـدوا الى من قبـورهم الا النـور يسعى أمامهم والملائكـة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتى • وقال رسول الله ﷺ : الدنيـا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر اليها وتقول يوم القيـامة يا رب

---

(١) وما أجمل ما قال الشاعر :

لدوا للموت وابنـوا للخراب فكلكم يصـير الى تبـاب

اجعلني لأدنى أوليائك اليوم نصيبا فيقول اسكتي يا لا شيء انى لم أرضك لهم في الدنيا أأرضاك لهم اليوم • وروى فى أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثقل ولم يكن ذلك مجعولا فى شيء من أطعمة الجنة الا فى هذه الشجرة فلذلك نهيا عن أكلها قال فجعل يدور فى الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل له أى شيء تريد قال آدم أريد أن أضع ما فى بطنى من الأذى فقيل للملك قل له فى أى مكان تريد أن تضعه أعلى الفرش أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك اهبط الى الدنيا • وقال ﷺ : ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه : وقال ﷺ فى بعض خطبه : المؤمن بين مخافتين بين أجل قد رضى لا يدرى ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذى نفسى بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار • وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والآخرة فى قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار فى اناء واحد ، وروى أن جبريل عليه السلام قال لنوح عليه السلام يا أطول الأنبياء عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر ، وقال نبينا ﷺ : احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت • وعن الحسن قال خرج رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه فقال هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا أنه من رغب فى الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد فى الدنيا وقصر فيها أمله أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية الا أنه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر ولا المحبة الا باتباع الهوى ، الا فمن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صديقا • وروى أن عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجأ اليه فوقعت عينه على خيمة من بعيد فأتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها فإذا هو بكهف فى جبل فأتاه فإذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال إلهى

جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لى مأوى فأوحى الله تعالى اليه مأواك فى مستقر رحمتى لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدى ولأطعمن فى عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادى أين الزهاد فى الدنيا زوروا عرس الزاهد فى الدنيا عيسى ابن مريم • وقال عيسى ابن مريم عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وتغره ويأمنها ويثق بها وتخذله وويل للمغترين كيف أرتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه !!

وقيل أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى مالك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هى الا لعامل يعمل فنعمت الدار هى يا موسى انى مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم • وروى أن رسول الله ﷺ « بعث أبا عبيدة ابن الجراح فجاءه بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ثم قال : أظنكم سمعتم أن أبا عبيده قدم بشىء قالوا أجل يا رسول الله قال فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم • وقال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله ﷺ : ان أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض فقيل ما بركات الأرض قال زهرة الدنيا • وقال ﷺ : لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا • فنهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها • وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا أهلها موتى فى الأفنية والطرق فقال يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا أنا لو علمنا خبرهم فسأل الله تعالى فأوحى اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل أشرف على نشز ، ثم نادى يا أهل القرية فأجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قالوا بتنا فى عافية وأصبحنا فى الهاوية قال وكيف ذاك قالوا بحبنا الدنيا وطاعتنا أهل المعاصى قال وكيف كان حبكم للدنيا قالوا حب الصبى لأمه اذا أقبلت فرحنا بها واذا أدبرت حزنا وبكينا عليها قال فما بال أصحابك لم يجيبونى قال لأنهم ملجمون

بلجم من نار بأيــدى ملائكة غلاظ شداد قال فكيف أجبتنى أنت من بينهم قال لأنى كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابنى معهم فأنا معلق على شفير جهنم لا أدرى أنجو منهــا أم أكبكب فيهــا فقال المسيح للحواريين لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة ٠ وقال أنس « كانت ناقة رسول الله ﷺ العضباء لا تسبق فجــاء أعرابى بنــاقة فسبقتها فشق ذلك على المسلمين فقال ﷺ انه حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه » ٠ وقال عيسى عليه السلام من الذى يبنى على موج البحــر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا ٠ وقيل لعيسى عليه السلام علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه قال أبغضوا الدنيا يحبكم الله تعــالى ٠

وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة » ٠ ثم قال أبو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم لخرجتم الى الصعدات تجأرون وتبكون على أنفسكم ولتركتم أموالكم لا حارس لهــا ولا راجع اليها الا ما لابد لكم منه ولكن غيب عن قلوبكم ذكر الآخرة الأمــل فصارت الدنيا أملك بأعمكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التى لا تدع هواها مخافة مما فى عاقبته ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وأنتم اخوان على دين الله ما فرق بين أهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر لحاببتم وانكم تناصحون فى أمر الدنيا ولا تناصحون فى أمر الآخرة ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبــه ويعينه على أمــر آخرته ما هــذا الا من قلة الايمان فى قلوبكم لو كنتم توقنــون بخير الآخرة وشرها كمــا توقنون بالدنيــا لآثرتم طلب الآخرة لأنهــا أملك لأموركم فان قلتم حب العــاجلة غالب فانا نراكم تدعون العــاجل من الدنيا للآجل منهــا تكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف فى طلب أمــر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم أنتم ما حققتم ايمانكم بمــا يعــرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم فى شك ممــا جاء به محمــد ﷺ فأتونا لنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن اليه قلوبكم والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم تستبينون صــواب الرأى فى دنيــاكم وتأخذون بالحزم فى أموركم ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك فى وجوهكم ويظهر على ألسنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المــآتم وعامتكم قد تركوا كثيرا من

دينهم ثم لا يتبين ذلك فى وجوهكم ولا يتغير حالكم انى لأرى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله فأصبحتم على الغل ونبتت مراعيكم على الأمل وتصافيتم على رفض الأجل ولوددت أن الله تعالى أراحنى منكم وألحقنى بمن أحب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد أسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا وبالله أستعين على نفسى وعليكم •

وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين أرضوا بدنىء الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدنىء الدين مع سلامة الدنيا وفى معناه قيل :

اری رجالا بادنى الدين قد قنعوا وما اراهم رضوا فى العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر ، وتركك الدنيا أبر •

وقال نبينا ﷺ : « لتأتينكم بعدى دنيا تأكل كل ايمانكم كما تأكل النار الحطب » •

وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى لا تركنن الى حب الدنيا فلن تأتينى بكبيرة هى أشد منها • ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكى ورجع وهو يبكى فقال موسى يا رب عبدك يبكى من مخافتك فقال يا ابن عمران لو سال دماغه مع عيون عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا •

(الآثار) قال على رضى الله عنه من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا ، أولها من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها •

وقال الحسن رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا ، وقال أيضا رحمه الله من نافسك فى دينك فنافسه ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره •

وقال لقمان عليه السلام لابنه يا بنى ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما أراك

ناجيــا . وقال الفضــيل طالت فكرتى فى هذه الآية : ((**انا جعلنــا ما على الارض زينة لهــا لنبلوهم ايهم احسن عملا * وانا لجــاعلون ما عليهــا صعيدا جــرزا**))(١) .

وقال بعض الحكماء انك لن تصبح فى شىء من الدنيا الا وقــد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعــدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك فى أكلة وصم عن الدنيــا وأفطر على الآخرة وان رأس مال الدنيــا الهوى وربحهــا النــار . وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر قال يخلق الأبدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويبعــد الأمنية قيل فمــا حــال أهله قال من ظفــر به تعب ومن فاته نصب . وفى ذلك قيــل :

ومن يحمــد الدنيــا لعيش سره ... فســوف لعمرى عن قليــل يلومها
اذا ادبرت كانت على المــرء حسرة ... وان اقبلت كــانت كثيرا همومهــا

وقال بعض الحكماء كانت الدنيــا ولم أكن فيها وتذهب الدنيــا ولا أكون فيها فلا أسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر وأهلهــا منهــا على وجل أما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية قاضــية . وقال بعضهم من عيب الدنيــا أنهــا لا تعطى أحــدا ما يستحق لكنهــا اما ان تزيد واما أن تنقص .

وقال سفيان أما ترى النعم كأنهــا مغضوب عليهــا قد وضعت فى غير أهلها وقال أبو سليمان الدارانى من طلب الدنيــا على المحبــة لهــا لم يعط منها شــيئا الا أراد أكثر ومن طلب الآخــرة على المحبــة لهــا لم يعط منها شــيئا الا أراد أكثر وليس لهــذا غاية ولا لهــذا غاية . وقال رجل لأبى حازم أشكو اليك حب الدنيا وليست لى بدار فقال انظــر ما آتاكه الله عز وجل منها فلا تأخــذه الا من حله ولا تضعه الا فى حقــه ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لأنه لو آخــذ نفســه بذلك لأتعبــه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها .

وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشــيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجىء فى طلبه فيأخذك . وقال الفضيل لو كانت الدنيــا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغى لنــا أن نختــار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى .

---

(١) سورة الكهف : الايتان ٧ ، ٨ .

وقال أبو حازم اياكم والدنيا فانه بلغنى أنه يوقف العبد يوم القيامة إذا كان معظما لدنيا فيقال هذا عظم ما حقره الله ، وقال ابن مسعود ما أصبح أحد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة • وفى ذلك قيل :

وما المال والاهلون الا وديعة ... ولابد يوما أن ترد الودائع

وزار رابعة أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيئا أكثر من ذكره • وقيل لابراهيم بن أدهم كيف أنت فقال :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه ... وجاد بدنياه لما يتوقع

وقيل أيضا فى ذلك :

ارى طالب الدنيا وان طال عمره ... ونال من الدنيا سرورا وانعما
كبان بنى بنيانه فاقامه ... فلما استوى ما قد بناه تهدما

وقيل أيضا فى ذلك :

هب الدنيا تساق اليك عفوا ... أليس مصير ذاك الى انتقال
وما دنياك الا مثل فىء ... أظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لابنه : يا بنى بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا •

وقال ابن عاس ان الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء •• جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع ، وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئا فليصبر على معاشرة الكلاب وفى ذلك قيل :

يا خاطب الدنيا الى نفسها ... تنح عن خطبتها تسلم
ان التى تخطب غدارة ... قريبة العرس من المأتم

وقال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وفى ذلك قيل :

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو فى ثياب صديق

وقيل أيضا :

يا راقد الليل مسرورا بأوله ... ان الحوادث قد يطرقن أسحارا
أفنى القرون التى كانت منعمة ... كر الجديدين اقبالا وادبارا
كم قد أبادت صروف الدهر من ملك ... قد كان فى الدهر نفاعا وضرارا
يا من يعانق دنيا لا بقاء له ... يمسى ويصبح فى دنياه سفارا
هلا تركت من الدنيا معانقة ... حتى نعانق فى الفردوس أبكارا
ان كنت تبغى جنان الخلد تسكنها ... فينبغى لك أن لا تأمن النارا

وقال أبو أمامة الباهلى رضى الله عنه لما بعث محمد ﷺ أتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبى وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالى أن لا يعبدوا الأوثان وانما أغدو عليهم وأروح بثلاث : أخذ المال من غير حقه وانفاقه فى غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله من هذا نبع • وقال رجل لعلى كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا قال وما أصف لك من دار من صح فيها سقم ومن آمن فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها افتتن ، فى حلالها الحساب وفى حرامها العقاب وفى متشابهها العتاب وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول أم أقصر فقيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب • وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعنى الدنيا • وقال أبو سليمان الدارنى اذا كانت الآخرة فى القلب جاءت الدنيا تزاحمها فاذا كانت الدنيا فى القلب لم تزاحمها الآخرة لأن الآخرة كريمة والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم ونرجو أن يكون ما ذكره سيار بن الحكم أصح اذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان فى القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعا له • وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله على كرم الله وجهه حيث قال : الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضى احداهما تسقط الأخرى •

وقال الحسن والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذى تمشون عليه ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت الى ذا أو ذهبت الى ذا • وقال رجل للحسن ما تقول فى رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه أيحسن له أن يتعيش فيه يعنى يتنعم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره •

وقال الفضيل لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالا لا أحاسب عليها فى الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة اذا مر بها أن تصيب ثوبه •

وقيل لما قدم عمر رضى الله عنه الشام فاستقبله أبو عبيدة ابن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم وسأله ثم أتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر رضى الله عنه لو اتخذت

متاعا فقال يا أمير المؤمنين ، ان هــذا يبلغنا المقيل • وقال سـفيان خـذ من الدنيا لبدنك وخـذ من الآخرة لقلبك ، وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الأصنام بعد عبـادتهم الرحمن بحبهم للدنيـا • وقال وهب قرأت فى بعض الكتب الدنيا غنيمة الأكيـاس وغفلة الجهـال لم يعرفوها حتى خرجوا منهـا فسـألوا الرجعـة فلم يرجعـوا • وقال لقمـان لابنه يا بنى انك استدبرت الدنيـا من يوم نزلتها واستقبلت الآخـرة فأنت الى دار تقرب منهـا أقرب من دار تباعدت عنهـا •

وقال سعيد بن مسعود اذا رأيت العبد تزداد دنيـاه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذى يلعب بوجهـه وهو لا يشـعر • وقال عمرو بن العـاص على المنبر والله ما رأيت قوما قط أرغب فيمـا كـان رسول الله ﷺ يزهـد فيه منكم والله ما مر برسـول الله ﷺ ثلاث الا والذى عليه أكثر من الذى له • وقال الحسن بعـد أن تلا قوله تعـالى : ((**فلا تغرنكم الحيـاة الدنيـا**))(١) من قال ذا قاله من خلقهـا ومن هـو أعلم بهـا اياكم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشـتغال لا يفتح رجـل على نفسه باب شغل الا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليـه عشرة أبواب وقال أيضا مسكين ابن آدم رضى بدار حلالهـا حسـاب وحرامها عذاب ان أخـذه من حله حوسب به وان أخـذه من حرام عـذب بـه ابن آدم يسـتقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته فى دينـه ويجزع من مصيبته فى دنيـاه •

وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز سـلام عليك أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليـه الموت مات ، فأجـابه عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل •

وقال الفضيل بن عباس الدخول فى الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد • وقال بعضهم عجبـا لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح وعجبـا لمن يعرف أن النـار حق كيف يضحك وعجبـا لمن رأى تقلب الدنيـا بأهلها كيف يطمئن اليها وعجبـا لمن يعلم أن القـدر حق كيف ينصب •

وقدم على معاوية رضى الله عنه رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيـا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولـد ولد ويهلك هالك فلولا المولود لبـاد الخلق ولولا الهـالك

---

(١) سورة لقمان : آية ٣٣ .

لضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى فترده أو أجل حضر فتدفعه قال لا أملك ذلك قال لا حاجة لى اليك • وقال داود الطائى رحمه الله يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملك وانما بلغته بانقضاء أجلك ثم سوفت بعملك كأن منفعته لغيرك • وقال بشر من سأل الله الدنيا فانما يسأله طول الوقوف بين يديه • وقال أبو حازم ما فى الدنيا شىء يسرك الا وقد ألصق الله اليه شيئا يسوءك •

وقال الحسن لا تخرج نفس آدم من الدنيا الا بحسرات ثلاث أنه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزاد لم قدم عليه • وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان فى قلبه ما يشغله بالآخرة • وقال مالك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعرى أى عذاب الله ينزل علينا • وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة • وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله ما هى لأحد بأهنأ منها لمن أهانها • وقال أيضا اذا أراد الله بعبد خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا نفد أعاد عليه واذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا • وقال محمد بن المنكدر أرأيت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد فى سبيل الله واجتنب محارم الله غير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال ان هذا عظم فى عينه ما صغره الله وصغر فى عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمه عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا • وقال أبو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فانك لا تجد عليها أعوانا وأما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب بيدك الى شىء منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه • وقال أبو هريرة : الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشن البالى تنادى ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يارب يارب لم تبغضنى فيقول لها اسكتى يا لا شىء • وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب فى القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير اليه • وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشىء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب علمه هواه فهو الغالب • وقيل لبشر : مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الآخرة وضيع نفسه قيل له انه كان يفعل ويفعل وذكروا أبوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا • وقال بعضهم الدنيا

تبغض الينا نفسـها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الدنيـا . وقيـل لحكيم : الدنيـا لمن هى قال لمن تركها فقيل الآخـرة لمن هى قال لمن طلبها . وقال حكيم الدنيـا دار خـراب وأخرب منهـا قلب من يعمرها والجنة دار عمران وأعمر منهـا قلب من يطلبها .

وقال الجنيد : كان الشافعى رحمه الله من المريدين الناطقين بلسان الحق فى الدنيا وعظ أخا له فى الله وخوفه بالله فقـال يا أخى ان الدنيـا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها الى الخراب صائر وسـاكنها الى القبـور زائر شملها على الفرقة موقوف وغنـاها الى الفقـر مصروف الاكثـار فيهـا اعسـار والاعسـار فيها يسـار فافزع الى الله وارض برزق الله لا تسلف من دار فنائك الى دار بقائك فان عيشك فىء زائل وجـدار مائل أكثر من عملك وأقصر من أملك .

وقال ابراهيم بن أدهم لرجل ادرهم فى المنـام أحب اليك أم دينار فى اليقظة ؟ فقال دينار فى اليقظة ، فقال كذبت لأن الذى تحبه فى الدنيا كأنك تحبه فى المنام والذى لا تحبه فى الآخرة كأنك لا تحبه فى اليقظة ، وعن اسماعيل بن عياش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك عنـا يا خنزيرة فلو وجـدوا لهـا اسـما أقبـح من هذا لسـموها بـه ، وقال كعب لتحببن اليكم الدنيـا حتى تعبـدوها وأهلهـا . وقال يحيى بن معـاذ الرازى رحمـه الله العقلاء ثلاثة من ترك الدنيـا قبـل ان تتركه وبنى قبره قبـل أن يدخـله وأرضى خالقه قبـل أن يلقـاه ، وقال أيضا فى الدنيا : بلغ من شـؤمها أن تمنيك لها يلهيك عن طـاعة الله فكيف الوقوع فيهـا . وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يسـتغنى عن الدنيـا بالدنيـا كان كمطفىء النار بالتبن .

وقال بندار اذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون فى الزهد فاعلم أنهم فى سخرة الشيطان ، وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقتـه نيرانهـا يعنى الحرص حتى يصير رمادا ومن أقبـل على الدنيـا صفته بنيرانهـا فصـار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبـل على الله عز وجل أحرقته نيران التوحيـد فصـار جوهرا لا حـد لقيمته . وقال على كرم الله وجهه انمـا الدنيـا ستة أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف المشروبات المـاء ويسـتوى فيـه البر والفـاجر وأشرف الملبوسـات الحرير وهو نسج دودة وأشرف المركوبات الفرس وعليه يقتـل الرجال وأشرف المنكوحات المـرأة وهى

مبـال فى مبـال وان المرأة لتزين أحسن شىء منها ويراد أقبح شىء منها وأشرف المشمومات المسك وهو دم •

البـاب الثـانى الثلاثون
فى ذم الدنيـــا ايضـــا

قال بعضهم يا أيهـا النـاس اعملوا على مهـل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالأمل ونسـيان الأجل ولا تركنوا الى الدنيـا فانهـا غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بأمانيها وتزينت لخطابها وأصبحت كالعروس المجلية ، العيون اليهـا ناظرة والقلوب عليها عاكفـة والنفوس لها عاشـقة فكم من عاشق لهـا قتلت ومطمئن اليهـا خـذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثير بوائقهـا وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يـذل وكثيرها يقـل ودهـا يموت وخـيرها يفوت • فاسـتيقظوا رحمكم الله من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبـل أن يقال فلان عليل أو مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل أو هـل الى الطبيب من سبيل فتدعى لك الأطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقـال فلان أوصى ولمـاله أحصى ثم يقال قد ثقـل لسـانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع أنينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هـذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الأعضاء ثم عرج بها الى السـماء فاجتمع عند ذلك اخوانك وأحضرت أكفـانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف أهلك الى مالك وبقيت مرتهنـا بأعمالك

وقال بعضهم لبعض الملوك : إن أحـق الناس بذم الدنيـا وقلاها من بسط له فيها وأعطى حاجته منهـا لأنه يتوقع آفـة تعـدو على ماله فتجتاحه أو على جمعه فتفرقه أو تأتى سلطانه فتهدمه من القـواعد أو تدب الى جسمه فتسقمه أو تفجعـه بشىء هو ضنين بـه بين أحبـابه فالدنيا أحق بالذم وهى الآخـذة ما تعطى الراجعة فيما تهب ، بينـا هى تضحك صـاحبها اذ أضحكت منـه غـيره وبينـا هى تبكى له اذ أبكت عليه ، وبينا هى تبسـط كفها بالاعطاء إذ بسطتها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتعفره فى التراب غـدا سـواء عليهـا ذهـاب ما ذهب وبقاء ما بقى تجـد فى البـاقى من الذاهب خلفا وترضى بكـل من كل بـدلا •

وكتب الحسن البصرى الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست دار إقامة وإنما أنزل آدم عليه السلام من الجنة إليها عقوبة فاحذرها يا أمير المؤمنين ، فان الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها فى كل حين قتيل تذل من أعزها وتفقر من جمعها هى كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه فكن فيها كالمداوى جراحه يحتمى قليلا مخافة ما يكره طويلا وصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التى قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وحلت بآمالها ، وسوفت بخطابها فأصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهى لأزواجها كلهم قالية فلا الباقى بالماضى معتبر ولا الآخر بالأول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مدكر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسى المعاد فشغل فيها قلبه حتى زلت به قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت وتألمه وحسرات الفوت بغصته وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا أمير المؤمنين ، وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور أشخصته الى مكروه الضار فى أهلها غار والنافع فيها غدار ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها الى فناء فسرورها مشوب بالأحزان لا يرجع منها ما ولى وأدبر ولا يدرى ما هو آت فينتظر أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر ان عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونبهت الغافل ، فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك ﷺ بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها اذكره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما أبغضه خالقه أو يرفع ما وضعه مليكه ، فزواها عن الصالحين اختبارا وبسطها لأعدائه اغترار فيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها ، ونسى ما صنع الله عز وجل بمحمد ﷺ حين شد الحجر على بطنه • ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه جل وعز أنه

قال لموسى عليه السلام اذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رأيت الفقير مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى ابن مريم عليه السلام . فانه كان يقول ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما أنبتت الأرض وأمسي وليس لي شيء وأصبح وليس لي شيء ، وليس على الأرض أحد أغنى مني .

وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلام الى فرعون ، قال لا يروعنكما لباسه الذي ليس من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذني ، ولا يعجبنكما ما تمتع به منها فانما هو زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت ، ولكني أرغب بكما عن ذلك فأزوي ذلك عنكما وكذلك أفعل بأوليائي اني لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق ابله عن منازل الغرة وما ذاك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موافرا انما يتزين لي أوليائي بالذل والخوف والخضوع والتقوى تنبت في قلوبهم وتظهر على أجسادهم ، فهي ثيابهم التي يلبسون وآثارهم تنبت في قلوبهم وتظهر على أجسادهم ، فهي ثيابهم التي يلبسون ينوزون ورجاؤهم الذي اياه يأملون ومجدهم الذي به يفخرون وسيماهم التي بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك ، واعلم أنه من أخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم لنا الثأر له يوم القيامة .

وخطب على كرم الله وجهه يوما خطبة فقال فيها اعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال وهي بين أهلها دول وسجال لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرها نزالها . بينا أهلها منها في رخاء وسرور اذ هم منها في بلاء وغرور أحوال مخلفة وتارات منصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وانما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصيهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه فيها موفور واعلموا ، عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأعمر

ديارا وأبعد آثارا فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والأحجار المسندة فى القبور اللاطية الملحدة ، فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد أكلتهم الجنادل والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد نضارة العيش رفاتا فجع بهم الأحباب وسكنوا تحت التراب وظعنوا فليس لهم اياب ، هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فكأن قد رقدتم فى ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو عاينتم الأمور صرتم إلى ما صاروا إليه من البلاء والوحدة فى دار المثوى وارتهنتم وبعثرت القبور وحصل ما فى الصدور وأوقفتم للتحصيل بين يدى الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والأستار وظهرت منكم العيوب والأسرار ، هناك تجزى كل نفس بما كسبت . ان الله عز وجل يقول : « **ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى** »(١) وقال تعالى : « **ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه** »(٢) الآية ... جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه متبعين لأوليائه حتى تحلنا وإياكم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد .

وقال بعض الحكماء : الأيام سهام والناس أغراض ، والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك . فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالى فى بدنك لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتى عليك واستثقلت ممر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لأمر من العلقم اذا عجنها الحكيم وقد أعيت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها وما تأتى به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ ، اللهم ارشدنا الى الصواب . وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها

---

(١) سورة النجم : آية ٣١ . (٢) سورة الكهف : آية ٤٩ .

فقال الدنيا وقتك الذى يرجع اليك فيه طرفك لأن ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه وما لم يأت فلا علم لك به ، والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الانسان بالتغيير والنقصان ، والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والأمل طويل والعمر قصير والى الله تصير الأمور •

وخطب عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فقال يا أيها الناس انكم خلقتم لأمر ان كنتم تصدقون به فانكم حمقى وان كنتم تكذبون به فانكم هلكى فما خلقتم للأبد ولكنكم من دار الى دار تنقلون ، عباد الله أنكم فى دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق لا تصفو لكم نعمة تسرون بها إلا يفراق أخرى تكرهون فراقها ، فاعملوا لما أنتم صائرون اليه وخالدون فيه ، ثم غلبه البكاء ونزل •

وقال على كرم الله وجهه فى خطبته : أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم ، وان كنتم لا تحبون تركها المبلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل قوم فى سفر سلكوا طريقا وكأنهم قد قطعوه وأفضوا الى علم فكأنهم بلغوه ، وكم عسى أن يجرى المجرى حتى ينتهى الى الغاية وكم عسى أن يبقى من له يوم الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فانه الى زوال ، عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه ، وقال محمد بن الحسين لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والأدب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا وأنه لم يرضها لأوليائه وأنها عنده حقيرة ذليلة ، وأن رسول الله ﷺ زهد فيها وحذر أصحابه فتنتها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفى وتركوا ما يلهى لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ونظروا الى الدنيا بعين أنها فانية والى الآخرة أنها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة ونظروا الى الآخرة بقلوبهم فعلموا أنهم سينظرون اليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون اليها بأبدانهم تعبوا قليلا وتنعموا طويلا • كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم •

* * *

الباب الثالث الثلاثون
فى فضل القناعة

اعلم أنه ينبغى أن يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما فى أيديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بأن يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس والمسكن ، ويقتصر على أقله قدرا وأخسه نوعا ويرد أمله الى يومه أو شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فان تشوق الى الكثير أو طول أمله فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع الى مساوىء الأخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروءات ، وقد جبل الآدمى على الحرص والطمع وقلة القناعة . قال رسول الله ﷺ لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب . وعن أبى واقد الليثى قال كان رسول الله ﷺ اذا أوحى اليه أتيناه يعلمنا مما أوحى اليه ، فجئته ذات يوم فقال ان الله عز وجل يقول انا أنزلنا المال لاقام الصلاة وايتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب أن يكون له ثان ، وان كان له الثانى لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب . وقال أبو موسى الأشعرى نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ، ولو ان لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب . وقال ﷺ : منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ، وقال ﷺ : يهوم ابن آدم ويشب معه اثنتان الأمل وحب المال أو كما قال . ولما كانت هذه جبلة للآدمى مضلة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة ، فقال ﷺ ما من أحد فقير ولا غنى الا ود يوم القيامة أنه كان أوتى قوتا فى الدنيا ، وقال ﷺ : ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس . ونهى عن شدة الحرص والمبالغة فى الطلب فقال ﷺ أيها الناس أجملوا فى الطلب فانه ليس للعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهى راغمة .

وروى أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أى عبادك أغنى قال أقنعهم مما أعطيته قال فأيهم أعدل قال من أنصف من نفسه .

وقال ابن مسعود قال رسول الله ﷺ : ان روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب • وقال أبو هريرة قال لى رسول الله ﷺ : يا أبا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار • وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : كن ورعا تكن أعبد الناس ، وكن قنعا تكن أشكر الناس ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ونهى رسول الله ﷺ عن الطمع ، فيما رواه أبو أيوب الأنصارى أن أعرابيا أتى النبى ﷺ فقال يا رسول الله عظنى وأوجز فقال : اذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع اليأس مما فى أيدى الناس • وقال عوف بن مالك الأشجعى كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة ، فقال ألا تبايعون رسول الله ، قلنا أوليس قد بايعناك يا رسول الله ، ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وتصلوا الخمس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا قال فلقد كان بعض اولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحد أن يناوله اياه • وقال عمر رضى الله عنه ان الطمع فقر وان اليأس غنى وانه من ييأس عما فى أيدى الناس استغنى عنهم ، وقيل لبعض الحكماء ما الغناء قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وفى ذلك قيل :

العيش ساعات تمر ... وخطوب أيام تكر
اقنع بعيشك ترضه ... واترك هواك تعيش حر
فلرب حتف ساقه ... ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى أحد ، وقال سفيان خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم ، وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادى يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك ، وقال سميط بن عجلان انما بطنك يا ابن آدم شبر فى شبر فلم يدخلك النار ، وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل فى الظاهر والقصد فى الباطن واليأس مما فى أيدى الناس •

ويروى أن الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا لك كلها لم يكن لك منها الا القوت واذا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على

غيرك فأنا اليك محسن • وقال ابن مسعود اذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتى الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما يأتيه ما قسم له من الرزق أو ما رزق •

وكتب بعض بنى أمية الى أبى حازم يعزم عليه الا رفع اليه حوائجه فكتب إليه قد رفعت حوائجى إلى مولاى فما أعطانى منها قبلت وما أمسك عنى قنعت ، وقيل لبعض الحكماء أى شيء أسر للعاقل وأيما شيء أعون على دفع الحزن ، فقال أسرها اليه ما قدم من صالح العمل وأعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء ، وقال بعض الحكماء وجدت أطول الناس غما الحسود وأهنأهم عيشا القنوع وأصبرهم على الأذى الحريص اذا طمع وأخفضهم عيشا أرفضهم الدنيا وأعظمهم ندامة العالم المفرط وفى ذلك قيل :

ارفه ببال فتى أمسى على ثقة ... ان الذى قسم الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه ... والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحل بساحتها ... لم يلق فى دهره شيئا يؤرقه

وقد قيل أيضا :

حتى متى أنا فى حل وترحال ... وطول سعي وادبار واقبال
ونازح الدار لا انفك مغتربا ... عن الأحبة لا يدرون ما حالى
بمشرق الأرض طورا ثم مغربها ... لا يخطر الموت من حرص على بالى
ولو قنعت أتانى الرزق فى دعة ... ان القنوع الغنى لا كثرة المال

وقال عمر رضى الله عنه ألا أخبركم بما استحل من مال الله تعالى ، حلتان لشتائى وقيظى وما يسعنى من الظهر لحجى وعمرتى وقوتى بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفعهم ولا بأوضعهم فوالله ما أدرى أيحل ذلك أم لا كأنه شك فى أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التى تجب القناعة بها • وعاتب أعرابى أخاه على الحرص ، فقال يا أخى أنت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب أنت ما قد كفيته وكأن ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد نقلت عنه كأنك يا أخى لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وفى ذلك قيل :

أراك مزيدك الاثراء حرصا ... على الدنيا كأنك لا تموت
فهل لك غاية ان صرت يوما ... اليها قلت حسبى قد رضيت

وقال الشعبى حكى أن رجلا صاد قنبرة فقالت ما تريد أن تصنع بى قال أذبحك وآكلك قالت والله ما أشفى من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلمك ثلاث خصال هن خير لك من أكلى ، أما واحدة فأعلمك

وأنا فى يدك ، وأما الثانية فاذا صرت على الشجرة ، وأما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الأولى قالت لا تلهفن على ما فاتك فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية ، قالت لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون ، ثم طارت فصارت على الجبل تقول يا شقى لو ذبحتنى لأخرجت من حوصلتى درتين زنة كل درة عشرون مثقالا قال فعض على شفتيه وتلهف ، وقال هات الثالثة قالت أنت قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون أنا لحمى ودمى وريشى لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون فى حوصلتى درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت • وهذا مثال لفرط طمع الآدمى فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون أنه يكون •

وقال ابن السماك أن الرجاء حبل فى قلبك وقيد فى رجلك فاخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك ، وقال أبو محمد اليزيدى دخلت على الرشيد فوجدته ينظر فى ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآنى تبسم فقلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين ، قال نعم وجدت هذين البيتين فى بعض خزائن بنى أمية فاستحسنتهما وقد أضفت اليهما ثالثا وأنشدنى :

اذا سد باب عنك من دون حاجة — فدعه لاخرى ينفتح لك بابها
فان قراب البطن يكفيك ملؤه — ويكفيك سوآت الأمور اجتنابها
ولاتك مبذالا لعرضك واجتنب — ركوب المعاصى يجتنبك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد اذ وعوها وعقلوها ، قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج • وقال رجل للفضيل فسر لى قول كعب ، قال يطمع الرجل فى الشىء يطلبه فيذهب عليه دينه وأما الشره فشره النفس فى هذا وفى هذا ، حتى لا تحب أن يفوتها شىء ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خرم أنفك وقادك حيث شاء واستمسكن منك وخضعت له فمن أحبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك •

الباب الرابع والثلاثون
فى فضل الفقراء

قال ﷺ : خير هذه الأمة فقراؤها ، وأسرعها تضجعا فى الجنة ضعفاؤها ، وقال ﷺ : ان لى حرفتين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى الفقر والجهاد • وروى أن جبريل عليه

السلام نزل على رسول الله ﷺ فقال يا محمد ان الله عز وجل قرأ عليك السلام ويقول أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك أينما كنت ؟ فأطرق رسول الله ﷺ ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له ، فقال له جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت .

وروى أن المسيح عليه السلام مر فى سياحته برجل نائم ملتف فى عباءة فأيقظه ، وقال يا نائم قم فاذكر الله تعالى فقال ما تريد منى انى قد تركت الدنيا لأهلها فقال له فنم اذا يا حبيبى ، ومر موسى عليه السلام برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته فى التراب وهو متزر بعباءة فقال يارب عبدك هذا فى الدنيا ضائع ، فاوحى الله تعالى اليه يا موسى أما علمت أنى اذا نظرت الى عبد بوجهى كله زويت عنه الدنيا كلها .

وقال ﷺ : الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس . وقال ﷺ : من أصبح منكم معافى فى جسمه آمنا فى سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها . وقال كعب الأحبار قال الله تعالى لموسى عليه السلام اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين . وقال عطاء الخراسانى مر نبى من الأنبياء بساحل فاذا برجل يصطاد حيتانا ، فقال باسم الله وألقى الشبكة فلم يخرج فيها شىء ثم مر بآخر فقال باسم الشيطان وألقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها ، فقال النبى ﷺ يارب ما هذا وقد علمت أن كل ذلك بيدك ، فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا لعبدى عن منزلتيهما ، فاما رأى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان قال رضيت يارب . وقال نبينا ﷺ أطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء وأطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء . وفى حديث آخر فرأيت أكثر أهل النار النساء فقلت ما شأنهن فقيل شغلهن الأحمران الذهب والزعفران .

وقال ﷺ تحفة المؤمن فى الدنيا الفقر . وفى الخبر آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابى دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه ، وفى حديث آخر رأيته دخل الجنة زحفا . وقال المسيح عليه السلام بشدة يدخل الغنى الجنة . وفى خبر آخر عن أهل البيت رضى الله عنهم أنه ﷺ قال اذا أحب

الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلا ولا مالا • وفى الخبر اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنا مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته • وقال موسى عليه السلام يارب من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لأجلك فقال كل فقير فقير فيمكن أن يكون الثانى للتوكيد ويمكن أن يراد به الشديد الضر•وقال المسيح عليه السلام إنى لأحب المسكنة وأبغض النعماء وكان أحب الأسامى اليه صلوات الله عليه أن يقال له يا مسكين ، ولما قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبى ﷺ اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون اليك ولا نجيء ونجيء اليك ولا يجيئون يعنون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبى ذر وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأبى هريرة وأصحاب الصفة من الفقراء رضى الله عنهم أجمعين ، أجابهم النبى ﷺ الى ذلك ، وذلك لأنهم شكوا اليه التأذى برائحتهم وكان لباس القوم الصوف فى شدة الحر فاذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد ذلك على الأغنياء ، منهم الأقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى وعباس بن مرداس السلمى وغيرهم فأجابهم رسول الله ﷺ أن لا يجمعهم واياهم مجلس واحد فنزل عليه قوله تعالى **« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم »** يعنى الفقراء **« تريد زينة الحياة الدنيا »** يعنى الأغنياء **« ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا »**(١) يعنى الأغنياء **« وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »**(٢) الآية •• واستأذن ابن أم مكتوم على النبى ﷺ وعنده رجل من أشراف قريش فشق ذلك على النبى ﷺ فأنزل الله تعالى : **« عبس وتولى * ان جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى »** يعنى ابن أم مكتوم **« اما من استغنى * فانت له تصدى »**(٣) ، يعنى هذا الشريف •

وقال عليه السلام : « أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادى فان لهم دولة قالوا يا رسول الله وما دولتهم قال اذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به الى الجنة » • وقال ﷺ : « دخلت الجنة فسمعت حركة أمامى فنظرت فاذا بلال ونظرت فى أعلاها فاذا فقراء

---

(١) سورة الكهف : آية ٢٨ •
(٢) سورة الكهف : آية ٢٩ •
(٣) سورة عبس : الآيات ١ — ٦ •

أمتى وأولادهم ونظرت فى أسفلها فاذا فيه من الأغنياء والنساء قليل فقلت يارب ما شأنهم قال أما النساء فأضر بهن الأحمران الذهب والحرير وأما الأغنياء فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت أصحابى فلم أر عبد الرحمن بن عوف ثم جاءنى بعد ذلك وهو يبكى فقلت ما خلفك عنى ، قال يا رسول الله والله ما وصلت اليك حتى لقيت المشيبات وظننت أنى لا أراك فقلت ولم قال كنت أحاسب بمالى » فانظر إلى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله ﷺ وهو من العشرة المخصوصين بأنهم من أهل الجنة وهو من الأغنياء الذين قال فيهم رسول الله ﷺ الا من قال بالمال هكذا وهكذا ومع هذا فقد استضر بالغنى ، الى هذا الحد ودخل رسول الله ﷺ على رجل فقير فلم ير له شيئا فقال لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم . وقال ﷺ : ألا أخبركم بملوك أهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ، وقال عمران ابن حصين كانت لى من رسول الله ﷺ منزلة وجاه فقال عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك فى عيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، قلت نعم بأبى أنت وأمى يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يارسول الله قال أنا ومن معى قالت ومن معك يارسول الله ؟ قال عمران فقالت فاطمة والذى بعثك بالحق نبيا ما على الا عباءة قال اصنعى بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدى قد واريته فكيف برأسى فألقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدى بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا ابنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادنى وجعا على ما بى أنى لست أقدر على طعام آكله فقد أضر بى الجوع فبكى رسول الله ﷺ وقال لا تجزعى يا ابنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وانى لأكرم على الله منك ولو سألت ربى لأطعمنى ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ، ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها أبشرى فوالله انك لسيدة نساء أهل الجنة ، قالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها ، وأنت سيدة نساء عالمك انكن فى بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ولا نصب ، ثم قال لها اقنعى بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا فى الدنيا سيدا فى الآخرة .

وروى عن على كرم الله وجهه أن رسـول الله ﷺ قال اذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله بأربع خصال ، بالقحط من الزمان ، والجور من السلطان ، والخيانة من ولاة الأحكام ، والشوكة من الأعداء • وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ذو الدرهمين أشد حبسا أو قال أشد حسابا من ذى الدرهم • وأرسل عمر رضى الله عنه الى سعيد بن عامر بألف دينار فجاء حزينا كئيبا فقالت امرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أرينى درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلى ويبكى الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام حتى إن الرجل من الأغنياء يدخل فى غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج •

وقيل جاء فقير الى مجلس الثورى رحمه الله فقال له تخط لو كنت غنيا لما قربتك وكان الأغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تقريبه للفقراء واعراضه عن الأغنياء ، وقال المؤمل ما رأيت الغنى أذل منه فى مجلس الثورى ولا رأيت الفقير أعز منه فى مجلس الثورى رحمه الله • وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب فى الجنة كما يرغب فى الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله فى الباطن كما يخاف خلقه فى الظاهر لسعد فى الدارين جميعا • وقال ابن عباس ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر • وقال لقمان عليه السلام لابنته لا تحقرن أحدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد • وقال يحيى بن معاذ حبك للفقراء من أخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين • وفى الأخبار عن الكتب السالفة ، أن الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه عليهم السلام احذر أن أمقتك فتسقط من عينى فأصب عليك الدنيا صبا • ولقد كانت عائشة رضى الله تعالى عنها تفرق مائة ألف درهم فى يوم واحد يوجهها اليها معاوية وابن عامر وغيرهما وان درعها لمرقوع ، وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه وكانت صائمة ، فقالت لو ذكرتنى لفعلت وكان قد أوصاها رسول الله ﷺ وقال : ان أردت اللحوق بى فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعى درعك حتى ترقعيه • وجاء رجل الى ابراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبلها فألح عليه

الرجل فقال له ابراهيم أتريد أن أمحو أسمى من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم ، لا أفعل ذلك أبدا رضى الله عنه . وقال رسول الله ﷺ : طوبى لمن هدى الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به ، وقال ﷺ : يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا فالأول القانع وهذا الراضى ويكاد يشعر هذا بمفهومه أن الحريص لا ثواب له على فقره ، ولكن العمومات الواردة فى فضل الفقر تدل على أن له ثوابا كما سيأتى تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله فى حبس الدنيا عنه ورب راغب فى المال لا يخطر بقلبه انكار على الله تعالى ولا كراهة فى فعله فتلك الكراهة هى التى تحبط ثواب الفقر .

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : ان لكل شىء مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم هم جلساء الله تعالى يوم القيامة وروى عن على كرم الله وجهه عن النبى ﷺ أنه قال أحب العباد الى الله تعالى الفقير القانع برزقه الراضى عن الله تعالى . وقال ﷺ : « اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا » ، وقال « ما من أحد غنى ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتى قوتا فى الدنيا » . وأوحى الله تعالى إلى إسماعيل عليه السلام اطلبنى عند المنكسرة قلوبهم ، قال ومن هم قال الفقراء الصادقون . وقال ﷺ : لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضيا . وقال ﷺ : يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتى من خلقى فتقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعون لعطائى الراضون بقدرى أدخلوهم الجنة ، فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس فى الحساب يترددون . فهذا فى القانع والراضى وأما الزاهد فسنذكر فضله ان شاء الله تعالى .

وأما الآثار فى الرضا والقناعة فكثيرة ؛ ولا يخفى أن القناعة يضادها الطمع ، وقد قال عمر رضى الله عنه إن الطمع فقر واليأس غنى وانه من يئس عما فى أيدى الناس وقنع استغنى عنهم ، وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ما من يوم الا وملك ينادى من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ما من أحد الا وفى عقله نقص وذلك أنه اذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبان فى هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر

بنقص . وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك . وقيل كان ابراهيم بن أدهم من أهل النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصر له ذات يوم اذ نظر الى رجل فى فناء القصر وفى يده رغيف يأكله فلما أكل نام فقال لبعض غلمانه إذا قام فجئنى به ، فلما قام جاء به اليه فقال ابراهيم أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع قال نعم قال فشبعت قال نعم قال ثم نمت طيبا قال نعم فقال ابراهيم فى نفسه فما أصنع أنا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر . ومر رجل بعامر بن عبد القيس وهو يأكل ملحا وبقلا فقال له يا عبد الله أرضيت من الدنيا بهذا فقال ألا أدلك على من رضى بشر من هذا قال بلى قال من رضى بالدنيا عوضا عن الآخرة . وكان محمد ابن واسع رحمة الله عليه يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء ويأكله بالملح ويقول من رضى من الدنيا بهذا لم يحتج الى أحد . وقال الحسن رحمه الله لعن الله أقواما أقسم الله تعالى ثم لم يصدقوه ثم قرأ : ((وفى السماء رزقكم وما توعدون . فورب السماء والأرض انه لحق))(١) الآية .. وكان أبو ذر رضى الله عنه يوما جالسا فى الناس فأتته امرأته فقالت له أتجلس بين هؤلاء والله ما فى البيت هفة ولا سفة ، فقال يا هذه ان بين أيدينا عقبة كؤودا لا ينجو منها الا كل مخف فرجعت وهى راضية . وقال ذو النون رحمه الله أقرب الناس الى الكفر ذو فاقة لا صبر له . وقيل لبعض الحكماء ما مالك فقال التجمل فى الظاهر والقصد فى الباطن واليأس مما فى أيدى الناس .

ويروى أن الله عز وجل قال فى بعض الكتب السالفة المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا محسن اليك وقد قيل فى القناعة :

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس ... واقنع بيأس فان العز فى الياس
واستغن عن ذى قربى وذى رحم ... ان الغنى من استغنى عن الناس

وقد قيل فى هذا المعنى أيضا :

يا جامعا مانعا والدهر يرمقه ... مقدرا اى باب منه يغلقه
مفكرا كيف تأتيه منيته ... اغاديا أم بها يسرى فتطرقه
جمعت مالا فقل لى هل جمعت له ... يا جامع المال أياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه ... ما المال مالك الا يوم تنفقه

(١) سورة الذاريات : آية ٢٢ ، ٢٣ .

أرفـه ببـال فتى يغدو على ثـقة ... ان الذى قسـم الأرزاق يرزقـه
فالعرض منه مصـون ما يدنسـه ... والوجـه منه جديد ليس يخلقـه
ان القنـاعة من يحـلل بسـاحتها ... لم يلق فى ظلهـا همـا يؤرقـه

البـاب الخـامس والثلاثون

فى اتخاذ ولى من دون الله سبحانه وتعالى وفى بيان العرصات

قال الله تعالى : ((**ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النـار**))(١) الآية .. قال بعض المفسرين أجمع أهل اللغة على أن الركون مطلق الميل والسكون يسيرا أو كثيرا . وعن عكرمة لا تصطنعوهم . والظاهر من الآية عموم النهى عن الركون الى المشركين وفسـقة المسـلمين . وقال النسابورى فى تفسيره قال المحققون الركون المنهى عنه هو الرضـا بما عليه الظلمة أو تزيين طريقتهم وتحسينها عند غيرهم ومشاركتهم فى شيء من أبواب المظـالم فأما مداخلتهم لدفع شيء من الضرر اجتلاب منفعـة عاجلة فغير داخلة فى الركون . قال وأقول هذا من طريق المعاش والرخصة ومقتضى التقوى هو الاجتناب عنهم بالكلية ((**أليس الله بكـاف عبـده**))(٢) قلت ولقد صدق فحسم مادة الركون اليهم أولى سيما فى هذه الأزمان التى لا يمكن فيها انكار المنكر والأمر بالمعروف مع ما فى الركون اليهم من الغرر والغرور واذا كـان حـال الميـل فى الجملة لمن وجـد منـه ظلم ما فى الافضاء الى مساس النار هكذا فمـا ظنك بمن يميـل الى الراسخين فى الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على صحبتهم ، ويلقى شراشره على مؤانستهم ومعاشرتهم ويبتهج بالتزين بزيهم ويمـد عينيـه الى زهرتهم الفانيـة ويغبطهم بما أوتوا من القطوف الدانية وهـو فى الحقيقة من الحبة طفيف ومن جناح البعوضة خفيف بمعزل عن أن تميـل انيه القلوب ضعف الطالب والمطلوب . قال ﷺ : المـرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخـالل .

وروى : مثل الجليس الصالح مثل حامـل المسـك ان لم يعطك أصابك من ريحه ، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير ان لم يحرقك اصـابك من دخانه . قال الله تعالى : ((**مثـل الذين اتخـذوا من دون الله أوليـاء كمثـل العنكبوت اتخـذت بيتـا**))(٣) الآية ، وقال ﷺ : من عظم غنيا لغناه فقد ذهب ثلثا دينـه . وقال ﷺ : اذا مـدح الفاسق غضب

---

(١) سورة هود : آية ١١٣ . (٢) سورة الزمر : آية ٣٦ .
(٣) سورة العنكبوت : آية ٤١ .

الرب واهتز لذلك العرش ، وقال الله تعالى : ((**يوم ندعو كل أناس بامامهم**))(١) يعنى فى عرصات القيامة ، وقد اختلف المفسرون فى تعيين الامام الذى يدعى كل أناس به فقال ابن عباس وغيره أنه كتاب كل انسان الذى فيه عمله أى يدعى كل انسان بكتاب عمله ويؤيد هذا قوله تعالى : ((**فأما من أوتى كتابه بيمينه**))(٢) الآية وقال ابن زيد : الامام هو الكتاب المنزل فيقال يا أهل التوراة يا أهل الانجيل يا أهل القرآن وقال مجاهد وقتادة امامهم نبيهم فيقال هاتوا متبعى ابراهيم هاتوا متبعى موسى هاتوا متبعى عيسى هاتوا متبعى محمد ﷺ وعليهم • وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه المراد بالامام امام عصرهم فيدعى أهل عصر بامامهم الذى كانوا يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه • وفى الحديث الصحيح عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ اذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة رفع لكل غادر لواء فيقال هذه غدرة فلان ابن فلان •

وروى الترمذى وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ فى تفسير هذه الآية يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له فى جسمه ستين ذراعا ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق الى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا فى هذا حتى يأتيهم فيقول أبشروا لكل رجل منكم مثل هذه • وأما للكافر فيسود وجهه ويمد له فى جسمه ستين ذراعا على صورة آدم ويلبس تاجا فيراه أصحابه فيقولون نعوذ بالله من شر هذا اللهم لا تأتنا بهذا ، قال فيأتيهم فيقولون اللهم اخزه فيقول أبعدكم الله فان لكل رجل منكم مثل هذا . وقال الله تعالى : ((**اذا زلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت الأرض أثقالها**))(٣) الى آخر السورة ، قال ابن عباس رضى الله عنهما أى تحركت من أسفلها وأخرجت ما فى جوفها من الأموات والدفائن • وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قرأ رسول الله ﷺ : ((**يومئذ تحدث أخبارها**))(٤) قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بكل عمل عمل على ظهرها • وعن رسول الله ﷺ أنه قال تحفظوا من الأرض فانها أمكم وأنه ليس من أحد عامل عليها خيرا أو شرا الا وهى مخبرة •• أخرجه الطبرانى •

---

(١) سورة الاسراء : آية ٧١ . (٢) سورة الحاقة : آية ١٩ .
(٣) سورة الزلزلة : آية ١ ، ٢ . (٤) سورة الزلزلة : آية ٤ .

البـاب السـادس والثلاثون
فى النفخ والفزع والحشر من المقابر

قال رسول الله ﷺ : « كيف أنعم وصاحب الصـور قد التقم القرن وحنى الجبهة وأصغى بالأذن ينتظر متى يؤمر فينفخ » ، قال مقاتل الصور هو القرن وذلك أن اسرافيل عليه السـلام واضـع فاه على القـرن كهيئة البوق ودائرة رأس القرن كعرض السموات والأرض وهو شاخص ببصره نحو العـرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخـة الأولى فاذا نفـخ صعق من فى السموات ومن فى الأرض • أى مات كل حيوان من شـدة الفزع الا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل واسرافيـل وملك الموت • ثم يأمـر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيـل ثم روح اسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعـد النفخـة الأولى فى البرزخ أربعين سنة ثم يحيى الله اسرافيـل فيـأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله تعـالى : « **ثم نفخ فيـه اخـرى فاذا هـم قيـام ينظرون** »(١) على أرجلهم ينظرون الى البعث ، وقال ﷺ : حـين بعث أتى صـاحب الصور فأهوى به الى فيه ، وقدم رجلا وأخر أخرى ينتظر متى يؤمـر بالنفخ ألا فاتقوا النفخة فتفكر فى الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لمـا يقضى عليهم من سعادة أو شقاوة وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم ، بـل ان كنت فى الدنيا من المترفين والأغنياء المتنعمين فملوك الأرض فى ذلك اليوم أذل أهـل أرض الجمع وأصغرهم وأحقرهم يوطؤون بالأقـدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش فى البرارى والجبال منكسة رؤوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بهـا ، ولكن حشرتهم شـدة الصعقة وهـو النفخـة وشغلهم ذلك عن الهـرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعـالى : « **واذا الوحـوش حشرت** »(٢) ثم أقبلت الشـياطين والمـردة بعـد تمرها وعتوها واذعنت خاشعة من هيبـة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله « **فوربك لنحشرنهم والشـياطين ثم لنحضرنهم حـول جهنم جثيـا** »(٣) فتفكـر فى حـالك وحال قلبك هنالك •

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عـراة غـرلا إلى أرض المحشر أرض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ، ولا ترى

---

(١) سورة الزمر : آية ٦٨ .　　(٢) سورة التكوير : آية ٥ .
(٣) سورة مريم : آية ٦٨ .

عليهـا ربوة يختفى الانسـان وراءها ولا وهـدة ينخفض عن الأعـين فيها بل هـو صعيد واحـد بسيط لا تفاوت فيه يساقون إليه زمرا زمرا ، فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطـار الأرض اذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفـة هى النفخـة الأولى والرادفة هى الثانية • وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة ولتلك الأبصار ان تكون خاشـعة . قال تعـالى : ((**يوم تبـدل الأرض غـير الأرض والسـموات**))(١) قال ابن عبـاس يزاد فيهـا وينقص وتذهب اشـجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وتمد مد الأديم العكاظى أرض بيضـاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئـة ، والسـموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها • فانظر يا مسكين فى هول ذلك اليوم وشدته فانه اذا اجتمع الخلائق على هـذا الصعيد تنـاثرت من فوقهم نجـوم السماء وطمس الشمس والقمـر وأظلمت الأرض لخمود سراجها فبينمـا هم كذلك اذ دارت السماء من فوق رؤوسـهم وانشـقت مع غلظهـا وشـدتها خمسمائة عام والملائكة قيام على حافاتها وأرجائهـا ، فيـاهول صوت انشقاقها فى سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصـارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن ، وانتشر الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشـاة • قال رسول الله ﷺ : يبعث الناس حفاة عراة غرلا قـد ألجمهم العرق وبلغ شـحوم الآذان • قالت سودة زوج النبى ﷺ راوية الحديث قلت يا رسـول الله واسوأتاه ينظر بعضـنا الى بعض فقـال شـغل الناس عن ذلك بهم : ((**لكل امرىء منهم يومئـذ شـان يغنيـه**))(٢) فأعظم بيـوم تنكشف فيـه العورات ويؤمن فيـه مع ذلك النظر والالتفـات ، كيف وبعضهم يمشـون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفـات الى غـيرهم ، قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسـول الله ﷺ : يحشر النـاس يوم القيـامة ثلاثة أصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم ، فقال رجل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال الذى أمشـاهم على أقـدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم •

فى طبع الآدمى انكار كل ما لم يأنس به ولو لم يشاهد الانسـان الحية وهى تمشى على بطنها كالبرق الخاطف لأنكر تصور المشى على غير

---

(١) سورة ابراهيم : آية ٤٨ .   (٢) سورة عبس : آية ٣٧ .

رجــل ، والمشى بالرجل أيضــا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فاياك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما فى الدنيــا فانك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبــل المشاهدة ، لكنت أشــد انكارا لهــا فاحضر فى قلبك صورتك وأنت واقف عاريا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لمــا يجرى عليك من القضاء بالسـعادة أو بالشـــقاء وأعظم هـــذه الحـال فانها عظيمة . ثم تفكــر فى ازدحــام الخــلائق واجتماعهم حتــى ازدحـــم على الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع من ملك وجن وانس وشـيطان ووحش وسـبع وطير فأشرقت عليهم الشمس وقــد تضـاعف حرهــا وتبدلت عمــا كانت عليــه من خفــة أمرها ثم أدنيت من رؤوس العالمين كقاب قوسـين ، فلم يبق على الأرض ظــل الا ظــل عرش رب العــالمين ولم يمكن من الاستظلال به الا المقربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضحى لحر الشمس قد صهرته بحرها واشــتد كربه وغمه من وهجهــا ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الأقــدام وانضاف اليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاحتزاء عند العرض على جبــار الســماء ، فاجتمع وهج الشمس وحــر الأنفاس واحتراق القلوب بنــار الحياء والخوف ففاض العرق من أصــل كل شـعرة حتى سال على صعيد القيامة ، ثم ارتفع على أبدانهم على قــدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقــويه[1] وبعضهم الى شـحمة أذنيه ، وبعضهم كاد يغيب فيه .

قال ابن عمر قال رســول الله ﷺ يوم يقوم الناس لرب العــالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه الى أنصاف أذنيه . وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ آذانهم ... كــذا رواه البخارى ومســلم فى الصحيح . وفى حديث آخــر قياما شاخصــة أبصــارهم أربعين سنة الى الســماء فيلجمهم العرق من شــدة الكرب . وقال عقبــة بن عامر قال رسول الله ﷺ تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق النــاس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبــه ومنهم من يبلغ نصف ســاقه ومنهم من يبلغ ركبتــه ومنهم من يبلغ فخــذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من

(١) الحقو : الخصر .

يبلغ فاه ، وأشـار بيـده فألجمها فاه ، ومنهم من يغطيه العـرق وضرب بيده على رأسه هكذا . فتأمل يا مسكين فى عرق أهل المحشر وشـدة كربهم وفيهم من ينادى فيقول رب أرحمنى من هذا الكرب والانتظـار ولو الى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسـابا ولا عقابا فانك واحـد منهم ولا تدرى الى أين يبلغ بك العرق . واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب فى سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد فى قضـاء حاجة مسلم وتحمل مشـقة فى أمر بمعروف ونهى عن منكر ، فسيخرجه الحياء والخوف فى صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهـل والغرور لعلم أن تعب العرق فى تحمل مصاعب الطاعات أهون أمـرا وأقصر زمانا من عرق الكرب والانتظـار فى القيـامة فانه يوم عظيمة شدته طويلة مدته .

البـاب السـابع والثلاثون

فى بيـان القضـاء بين الخلائق

قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : هـل تدرون من المفلس قلنا المفلس فينا يارسول الله من لا درهم له ولا دينار ولا متـاع قال المفلس من أمتى من يأتى يوم القيـامة بصـلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وقذف هـذا وأكل مال هذا وسـفك دم هـذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبـل أن يقضى ما عليه أخذ من خطـاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النـار ، فانظر الى مصيبتك فى مثل هذا اليوم اذ ليس يسلم لك حسنة من آفات الرياء ومكائد الشيطان فان سلمت حسنة واحدة فى كل مـدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها ، ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت أنه لا ينقضى عنك يوم الا ويجرى على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفى جميع حسناتك ، فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير فى الطاعات ، وكيف ترجو الخلاص من المظالم فى يوم يقتص فيه للجماء من القرناء .

فقد روى أبو ذر أن رسول الله ﷺ رأى شـاتين ينتطحان فقـال يا أبا ذر أتدرى فيم ينتطحـان قلت لا قال ولكن الله يدرى وسـيقضى بينهما يوم القيامة . وقال ابو هريرة فى قوله عز وجـل : « **وما من دابـة**

في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم »(١) انه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة ، البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كونى ترابا فذلك حين يقول الكافر « ياليتنى كنت ترابا »(٢) فكيف أنت يا مسكين فى يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك ، فتقول أين حسناتى : فيقال نقلت الى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال فى الصبر عنها نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك ، فتقول يارب هذه سيئات ما قارفتها قط ، فيقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم فى المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة .

قال ابن مسعود ، قال رسول الله ﷺ : ان الشيطان قد يئس أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات ، وهى الموبقات ، فاتقوا الظلم ما استطعتم فان العبد ليجيء يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات فيرى أنهن سينجيه فما يزال عبد يجيء فيقول رب ان فلانا ظلمنى بمظلمة فيقول امح من حسناته فما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شيء ، وان مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الأرض ليس معهم حطب فتفرق القوم فحطبوا فلم يلبثوا أن أعظموا نارهم وصنعوا ما أرادوا ، وكذلك الذنوب ولما نزل قوله تعالى : « انك ميت وانهم ميتون * ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون » (٣) ، قال الزبير يا رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا فى الدنيا مع خواص الذنوب ، قال نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا الى كل ذى حق حقه . قال الزبير والله إن الأمر لشديد فأعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم .

قال أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول : يحشر الله العباد عراة غبرا بهما قال قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى

(١) سورة الانعام : آية ٣٨ .
(٢) سورة النبأ : آية ٤٠ .
(٣) سورة الزمر : آية ٣٠ ، ٣١ .

أقتصه منه ، ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولأحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقتصه منه . حتى اللطمة قلنا وكيف وانما نأتى الله عز وجل عراة غبرا بهما ، فقال بالحسنات والسيئات فاتقوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم واساءة الخلق فى معاشرتهم ، فأن ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة اليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص ، وليس ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه الا الله فعساه يقربه ذلك الى الله تعالى فينال به لطفه الذى ادخره لأحبابه المؤمنين فى دفع مظالم العباد عنهم . كما روى عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال « بينما رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما يضحكك يارسول الله بأبى أنت وأمى قال : رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العزة فقال أحدهما يارب خذ لى مظلمتى من أخى فقال الله تعالى اعط أخاك مظلمته فقال يارب لم يبق من حسناتى شىء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شىء ، قال يارب يتحمل عنى من أوزارى ، قال وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ، ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى أن يحمل عنهم من أوزارهم ، قال فقال الله للطالب ارفع رأسك وانظر فى الجنان فرفع رأسه فقال يارب أرى مدائن من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأى نبى هذا أو لأى صديق هذا أو أى شهيد ، قال لمن أعطانى الثمن ، قال يارب ومن يملك ثمنه قال أنت تملكه ، قال وما هو قال عفوك عن أخيك قال يارب انى قد عفوت عنه ، قال الله تعالى خذ بيد أخيك فأدخله الجنة » . ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك « اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين » . وهذا تنبيه على أن ذلك انما ينال بالتخلق بأخلاق الله وهو اصلاح ذات البين وسائر الأخلاق فتفكر الآن فى نفسك أن خلت صحيفتك عن المظالم أو تلطف لك حتى عفا عنك وأيقنت بسعادة الأبد كيف يكون سرورك فى منصرفك من مفصل القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضاء وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء ، وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك بين الخلائق

رافعـا رأسك خاليا عن الأوزار ظهرك ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضـا يتـلألأ من جبينك وخلق الأولين والآخرين ينظـرون اليك والى حالك ويغبطونك فى حسنك وجمالك ، والملائكة يمشـون بين يديك ومن خلفك وينادون على رؤوس الأشـهاد هـذا فلان ابن فلان رضى الله عنـه وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبـدا أفترى ان هذا المنصب ليس بأعظم من المكـانة التى تنالهـا فى قلوب الخلق فى الدنيـا بريائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك . فان كنت تعلم أنه خير منه بل لا نسـبة له اليه فتوسل الى ادراك هذه الرتبة بالاخلاص الصافى والنيـة الصادقة فى معاملتك مع الله ، فلن تدرك ذلك الا به وان تكن الأخرى والعياذ بالله بأن خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة وهى عند الله عظيمة ، فمقتك لأجلها فقال عليك لعنتى يا عبد السـوء لا أتقبـل منك عبادتك فلا تسمع هـذا النداء الا ويسود وجهك ثم تغضب الملائكـة لغضب الله تعالى ، فيقولون وعليك لعنتنا ولعنـة الخلائق أجمعين وعند ذلك تنثال اليك الزبانيـة وقد غضبت لغضب خالقها فأقدمت عليك بفظاظتها وزعارتها[1] وصورها النكرة . فأخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملأ من الخلائق ، وهم ينظرون الى اسوداد وجهك وإلى ظهور خزيك وأنت تنادى بالويل والثبور وهم يقولون هـذا فلان ابن فلان كشف الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه فشقى شقاوة لا يسـعد بعدها أبدا ، وربما يكون ذلك بذنب أذنبته خفيـة من عباد الله أو طلبا للمكانة فى قلوبهم أو خوفا من الافتضاح عندهم ، فمـا أعظم جهلك اذ تحترز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله فى الدنيا المنقرضـة ثم لا تخشى من الافتضـاح العظيم فى ذلك المـلأ العظيم مع التعرض لسخط الله وعقـابه الأليم والسـياق بأيدى الزبانية الى سـواء الجحيم فهـذه أحوالك وأنت لم تشعر بالخطر .

البـاب الثامن والثلاثون
فى بيـان ذم المـال

قال الله تعـالى : ((**يا أيهـا الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعـل ذلك فأولئك هـم الخـاسرون**))[2] وقال تعـالى ((**إنمـا أموالكم وأولادكم فتنة والله عنـده أجر عظيم**))[3] فمن اختـار

(١) الزعارة من زعر يزعر اى الشراسة والتجهم .
(٢) سورة المنافقون : آية ٩ .   (٣) سورة التغابن : آية ١٥ .

ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وغبن خسرانا عظيما وقال عز وجل « **من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها** »(١) الآية وقال : « **كلا ان الانسان ليطغى * ان رآه استغنى** »(٢) ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وقال تعالى : « **الهاكم التكاثر** »(٣) .

وقال رسول الله ﷺ : « حب المال والشرف ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل » . وقال ﷺ : « ما ذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأكثر افسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه فى دين الرجل المسلم » . وقال ﷺ : « هلك المكثرون إلا من قال به فى عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم » ، وقيل « يا رسول الله أى أمتك شر قال الأغنياء » ، وقال ﷺ : « سيأتى بعدكم قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها، ويلبسون أجمل الثياب وألوانها لهم بطون من القليل لا تشبع ، وأنفس بالكثير لا تقنع ، عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها ، اتخذوها آلهة من دون الهم وربا دون ربهم ، الى أمرها ينتهون ولهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدركه ذلك الزمان ، من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم ، فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام » . وقال ﷺ : « دعو الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر » . وقال ﷺ : « يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت » . وقال رجل يارسول الله « مالى لا أحب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يارسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه أحب أن يلحقه وان خلفه أحب أن يتخلف معه » . وقال ﷺ : « أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثانى الى قبره والثالث الى محشره فالذى يتبعه الى قبض روحه فهو ماله ، والذى يتعه الى قبره فهو أهله ، والذى يتبعه الى محشره فهو عمله » .

وكتب سلمان الفارسى الى أبى الدرداء رضى الله عنهما : يا أخى اياك أن تجمع من الدنيا مالا تؤدى شكره ، فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول « يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ

---

(٤) سورة هود : آية ١٥ . (٥) سورة العلق : آية ٦ ، ٧ .
(٦) سورة التكاثر : الآية الاولى .

به الصراط قال له امض فقد أديت حق الله فى ، ثم يجاء بصاحب الدنيا الذى لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك ألا أديت حق الله فى ، فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور » . وقال ﷺ : « إذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ماخلف » ، وقال ﷺ : « لاتتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا»[1]

وروى أن رجلا نال من أبى الدرداء وأراه سوءا فقال اللهم من فعل بى سوءا فأصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله ، فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر ، لأنه لابد وأن يفضى إلى الطغيان[2] . ووضع على كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما انك ما لم تخرج عنى لا تنفعنى .

وروى أن عمر رضى الله عنه أرسل الى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا أرسله اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعته وجعلته صررا وقسمته فى أهل بيتها ورحمها وأيتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركنى عطاء عمر بعد عامى هذا ، فكانت أول نساء رسول الله ﷺ لحوقا به . وقال الحسن والله ما أعز الدرهم أحد الا أذله الله ، وقيل ان أول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدى حقا . وقال سميط بن عجلان إن الدراهم والدنانير أزمة المنافقين يقادون بها الى النار ، وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل وما رقيته قال أخذه من حله ووضعه فى حقه . وقال العلاء بن زياد تمثلت لى الدنيا وعليها من كل زينة فقلت أعوذ بالله من شرك فقالت ان سرك أن يعيذك الله منى فابغض الدرهم والدينار وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفى ذلك قيل :

انى وجدت فلا تظنوا غيره ... ان التورع عند هذا الدرهم
فاذا قدرت عليه ثم تركته ... فاعلم بأن تقاك تقوى المسلم

وفى ذلك قيل أيضا :

لا يغرنك من المرء قميص رقعه ... أو ازار فوق عظم الساق منه رفعه
أو جبين لاح فيه أثر قد خلعه ... أره الدرهم تعرف حبه أو ورعه

---

(١) أى الأرض الواسعة الصالحة للزراعة .

(٢) يقول تعالى : « . . ان الانسان ليطغى ❊ ان رآه استغنى » .

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته ، فقال ياأمير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه أحد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال أقعدونى فأقعدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فانى لم أمنعهم حقا لهم ولم أعطهم حقا لغيرهم وانما ولدى أحد رجلين اما مطيع الله فالله كافية والله يتولى الصالحين واما عاصى لله فلا أبالى على ما وقع •

وروى أن محمد بن كعب القرظى أصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكنى أدخره لنفسى عند ربى وأدخر ربى لولدى •

ويروى أن رجلا قال لأبى عبد ربه يا أخى لا تذهب بشر وتترك أولادك بخير فأخرج أبو عبد ربه من ماله مائة ألف درهم ، وقال يحيى ابن معاذ مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما للعبد فى ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله •

الباب التاسع والثلاثون
فى الاعمال والميزان وعذاب النار

يا أخى لا تغفل عن الفكر فى الميزان وتطاير الكتب الى الأيمان والشمائل فان الناس بعد السؤال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة ، فيخرج من النار عنق أسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوى عليهم ويلقيهم فى النار فتبتلعهم النار وينادى عليهم شقاوة لا سعادة بعدها وقسم آخر لا سيئة لهم ، فينادى مناد ليقم الحمادون لله على كل حال فيقومون ويسرحون الى الجنة ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى • وينادى عليهم سعادة لا شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث وهم الأكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى ، أن الغالب حسناتهم أو سيئاتهم ولكن يأبى الله الا أن يعرفهم ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات ، وينصب الميزان وتشخص الأبصار الى الكتب أتقع فى اليمين أو فى الشمال ثم الى لسان الميزان أيميل الى

جانب السيئات أو الى جانب الحسنات وهـذه حالة هائلة تطيش فيهـا عقول الخلائق .

روى الحسن « ان رسول الله ﷺ كان راسـه فى حجر عائشة رضى الله عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سـال دمعهـا فنقط على خـد رسول الله ﷺ فانتبه فقال ما يبكيك يا عائشة قالت ذكرت الآخـرة هـل تذكرون أهليكم يوم القيامة ، قال والذى نفسى بيده فى ثلاث مواطن فان أحـدا لا يذكر الا نفسه اذا وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخـذ كتابه أو بشماله وعند الصراط .

وعن أنس قال يؤتى بابن آدم يوم القيـامة حتى يوقف بين كتفى الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق : سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا ، وان خف ميزانه نادى بصـوت يسمع الخلائق : شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا ، وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيـديهم مقامع من حـديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار الى النار ، وقال رسول الله ﷺ فى يوم القيامة : « إنه يوم ينادى الله تعالى فيـه آدم عليه السـلام فيقول له قم يا آدم فابعث بعث النار ، فيقول وكم بعث النـار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فلما سـمع الصـحابة ذلك أبلسـوا حتى ما أوضحوا بضاحكة ، فلما رأى رسول الله ﷺ ما عند أصحابه ، قال اعملوا وأبشروا فوالذى نفس محمد بيده إن معكم لخليقتين ما كانتا مع أحد قط إلا كثرتاه مع من هلك من بنى آدم وبنى ابليس ، قالوا وما هما يا رسـول الله قال يأجوج ومأجوج قال فسرى عن القوم فقـال اعملوا وأبشروا فوالذى نفس محمد بيده ما أنتم فى الناس يوم القيامة الا كالشـامة فى جنب البعير أو كالرقمة فى ذراع الدابة . يا أيهـا الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال ، دع التفكر فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر الى موردك فانك أخبرت بأن النـار مورد للجميع لقوله تعالى : « **وان منكم الا واردهـا كان على ربك حتمـا مقضيا * ثم ننجى الذين اتقوا ونـذر الظالمين فيهـا جثيـا** »[1] فأنت من الورود على يقين ومن النجاة فى شك فاستشعر فى قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه ، وتأمـل فى حال الخلائق وقد قاسـوا من

(١) سورة مريم : آية ٧١ ، ٧٢ .

دواهي القيامة ما قاسوا فبينما هم في كربهـا وأهوالها وقوفا ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شـفعائها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شـعب وأظلت عليهم نار ذات لهب وسـمعوا لها زفـيرا وجرجرة تفصـح عن شـدة الغيظ والغضب • فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركب حتى أشفق البرآء من سوء المنقلب وخرج المنادى من الزبانية قائلا أين فلان ابن فلان المسـوف نفسه فى الدنيا بطول الأمل المضـيع عمره فى سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حـديد ويستقبلونه بعظـائم التهديد ويسوقونه إلى العـذاب الشـديد وينكسونه فى قعر الجحيم ويقولون له ذق انك أنت العزيز الكريم ، فأسـكنوا دارا ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك مبهمـة المهالك يخلد فيهـا الأسير ويوقد فيها السـعير ، شرابهم فيهـا الحميم ومستقرهم الجحيم ، الزبانيـة تقمعهم والهـاوية تجمعهم أمانيهم فيها الهلاك ومالهم فيها فكـاك قد شـدت أقدامهم الى النواصى واسـودت وجوههم من ظلمـة المعـاصى ينـادون من أكنافها ويصيحون فى نواحيها وأطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قـد أثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك أخرجنا منها فانا لا نعود فتقول الزبانية هيهات لات حـين أمان ولا خروج لكم من دار الهـوان فاخسأوا فيها ولا تكلمون ولو أخرجتم منها لكنتم الى ما نهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا فى جانب الله يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف بل يكبون على وجوههم مغولين ، النـار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن ايمـانهم والنار عن شـمائلهم فهم غرقى فى النار ، طعـامهم نار وشرابهم نار ولباسـهم نار ومهـادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقـامع وثقـل السلاسـل ، فهم يتجلجلون فى مضايقها ويتحطمون فى دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلى بهم النار كغلى القـدور ويهتفون بالويل والعـويل ومهما دعـوا بالثبور صب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر بـه ما فى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصـديد من أفواههم وتتقطع من العطش أكبادهم وتسيل على الخدود أحـداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ، ويتمعط من الأطراف شعورها بل جلودها وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها[1]،قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الأرواح

---

(١) اذ الجلود هى مصادر الاحساس بالألم •

منوطة بالعروق وعلائق العصب وهى تنش فى لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون ، فكيف بك لو نظرت اليهم وقد سودت وجوههم أشد سوادا من الحميم وأعميت أبصارهم ، وأبكمت ألسنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت أيديهم الى أعناقهم ، وجمع بين نواصيهم وأقدامهم وهم يمشون على النار بوجوههم ، ويطأون حسك الحديد بأحداقهم فلهيب النار سار فى بواطن أجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعصائهم • هذا بعض جملة أحوالهم وانظر الآن فى تفصيل أهوالهم وتفكر أيضا فى أودية جهنم وشعابها • فقد قال النبى ﷺ : ان فى جهنم سبعين ألف واد فى كل واد سبعون ألف شعب وكى كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لا ينتهى الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله • وقال على كرم الله وجهه قال رسول الله ﷺ تعوذوا بالله من جب الحزن أو وادى الحزن قيل يا رسول الله وما وادى أوجب الحزن قال واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء المرائين » ، فهذه سعة جهنم وانشعاب أوديتها وهى بحسب عدد أودية الدنيا وشهواتها وعدد أبوابها بعدد الأعضاء السبعة التى بها يعصى العبد ، بعضها فوق بعض ، الأعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية • فانظر الآن فى عمق الهاوية فانه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهى أرب من الدنيا الا الى أرب أعظم منه ، فلا تنتهى هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها • قال أبو هريرة « كنا مع رسول الله ﷺ فسمعنا رجة فقال رسول الله ﷺ أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسل فى جهنم منذ سبعين عاما الآن انتهى الى قعرها ، ثم انظر إلى تفاوت الدرجات فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ، فكما أن انكباب الناس على الدنيا يتفاوت فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها ومن خائض فيها الى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت • فان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا تترادف أنواع العذاب على كل من فى النار كيفما كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه ، الا أن أقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه • قال رسول الله ﷺ : « إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه » • فانظر الآن إلى من

خفف عليه ، واعتبر بمن شدد عليه ، ومهما تشككت فى شدة عذاب النار فقرب أصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم أنك أخطأت فى القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ، ولكن لما كان أشد عذاب فى الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها ، وهيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هربا مما هم فيه وعن هذا ورد فى بعض الأخبار حيث قيل إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا . بل صرح رسول الله ﷺ بصفة نار جهنم ، فقال « أمر الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت ، فهى سوداء مظلمة » . وقال ﷺ : « اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضى بعضا فأذن لها فى نفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فأشد ما تجدونه فى الصيف من حرها، وأشد ماتجدونه فى الشتاء من زمهريرها» .

وقال أنس بن مالك يؤتى بأنعم الناس فى الدنيا من الكفار ، فيقال اغمسوه فى النار غمسة ، ثم يقال له هل رأيت نعيما قط فيقول لا ويؤتى بأشد الناس ضرا فى الدنيا فيقال اغمسوه فى الجنة غمسة ، ثم يقال له هل رأيت ضرا قط فيقول لا . وقال أبو هريرة لو كان فى المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لماتوا ، وقد قال بعض العلماء فى قوله « تلفح وجوههم النار » إنها لفحتهم لفحة واحدة فما أبقت لحما على عظم الا ألقته عند أعقابهم ، ثم انظر بعد هذا فى نتن الصديد الذى يسيل من أبدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق . قال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله ﷺ « لو أن دلوا من غساق جهنم ألقى فى الدنيا لأنتن أهل الأرض » فهذا شرابهم اذ استغاثوا من العطش فيسقى أحدهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت « **وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا** »(١) ثم انظر الى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى : « **ثم انكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم * فمالئون منها البطون * فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم** »(٢) وقال تعالى :

---

(١) سورة الكهف : آية ٢٩ .
(٢) سورة الواقعة : آية ٥١ — ٥٥ .

« إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم * طلعها كأنه رءوس الشياطين فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطن * ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم * ثم ان مرجعهم لالى الجحيم »(١) وقال تعالى : **« تصلى نارا حامية * تسقى من عين آنية »**(٢) وقال تعالى : **« ان لدينا انكالا وجحيما * وطعاما ذا غصة وعذابا اليما »**(٣) وقال ابن عباس ، قال رسول الله ﷺ : لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف من يكون طعامه ذلك .
وقال أنس قال رسول الله ﷺ : « ارغبوا فيما رغبكم الله واحذرو اوخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم ، فانه لو كانت قطرة من الجنة معكم فى دنياكم التى أنتم فيها طيبتها لكم ، ولو كانت قطرة من النار معكم فى دنياكم التى أنتم فيها خبثتها عليكم » . وقال أبو الدرداء ، قال رسول الله ﷺ : « يلقى على أهل النار الجوع حتى تعدل ما هم فيه من العذاب ، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع ، ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة ، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بشراب فيستغيثون بشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد ، فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم ، فاذا دخل الشراب بطونهم قطع ما فى بطونهم ، فيقولون ادعوا خزنة جهنم ، قال فيدعون خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ، فيقولون أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ؟ قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال ، قال فيقولون ادعوا مالكا فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك ، قال فيجيبهم انكم ماكثون . قال الأعمش أنبئت أن بين دعائهم وبين اجابة مالك اياهم ألف عام ، قال فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون . قال فيجيبهم **« اخسأوا فيها ولا تكلمون »**(٤) قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك أخذوا فى الزفير والحسرة والويل » .

---

(١) سورة الصافات : آية ٦٤ — ٦٨ .
(٢) **سورة الغاشية : آية ٤ — ٥ .**
(٣) سورة المزمل : آية ١٢ ، ١٣ .
(٤) سورة المؤمنين آية ١٠٨ .

وقال ابو امامة : قال رسول الله ﷺ فى قوله تعـالى : ((**ويسـقى من صـديد * يتجرعه ولا يكاد يسيغه**))(١) قال يقـرب اليـه فيتكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه فوقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعـاءه حتى خـرج من دبره . يقول الله تعـالى : ((**وسـقوا ماء حميما فقطع أمعـاءهم**))(٢) وقال تعـالى : ((**وان يسـتغيثوا يغـاثوا بماء كالمهـل يشوى الوجوه**))(٣) فهذا طعـامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم فانظر الآن الى حيات جهنم وعقاربها والى شـدة سمومها وعظم أشخاصهـا وفظاعة منظـرها وقـد سـلطت على أهليها وأغريت بهم فهى لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة . قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثـل له يوم القيـامة شـجاعا أقـرع له زبيبتان يطوقـه يوم القيـامة ، ثم يأخذ بلهازمه يعنى أشـداقه فيقول انا مالك انا كنزك ، ثم تلا قـوله تعـالى : ((**ولا يحسبن الذين يبخـلون بما آتاهم الله من فضله**))(٤) الآية .. وقال رسول الله ﷺ ان فى النـار لحيـات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفـا وان فيها العقـارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وهذه الحيات والعقارب انما تسلط على من سلط عليه فى الدنيـا البخل وسوء الخلق وايذاء الناس ومن وقى ذلك وقى هـذه الحيات فلم تمثـل له .

ثم تفكـر بعـد هـذا كله فى تعظيم أجسـام أهـل النار ، فان الله تعالى يزيد فى أجسامهم طولا وعرضا حتى يتزايد عـذابهم بسـببه فيحسون بلفح النـار ولدغ العقـارب والحيات من جميع أجزائهـا دفعة واحدة على التوالى . قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « ضرس الكافر فى النار مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث » . وقال رسول الله ﷺ : شفته السفلى سـاقطة على صدره والعليـا قالصة قد غطت وجهه ، وقال عليه السلام ان الكافر ليجر لسانه فى سجين يوم القيامة يتواطأه الناس ومع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجـدد جلودهم ولحومهم ، قال الحسن فى قوله تعـالى : ((**كلمـا نضجت جلودهم بدلنـاهم جلودا**

---

(١) سورة ابراهيم : آية ١٦ ، ١٧ .

(٢) سورة محمد : آية ١٥ .   (٣) سورة الكهف : آية ٢٩ .

(٤) سورة آل عمران : آية ١٨٠ .

غيرها »(١) قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ، ثم تفكر الآن فى بكاء أهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور ، فان ذلك يسلط عليهم فى أول القائهم فى النار . قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك » . وقال أنس قال رسول الله ﷺ « يرسل أهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع ، ثم يبكون الدم حتى يرى فى وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت » وما دام يؤذن لهم فى البكاء والشهيق والزفير والدعوة والويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون أيضا من ذلك .

قال محمد بن كعب لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل فى اربعة فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا فيقولون « **ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل** » . فيقول الله تعالى مجيبا لهم : « **ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير** »(٢) ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا فيجيبهم الله تعالى : « **او لم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال** »(٣) فيقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل . فيجيبهم الله تعالى : « **أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير** »(٤) ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ، ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون . فيجيبهم الله تعالى : « **اخسأوا فيها ولا تكلمون** »(٥) فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب . قال مالك بن أنس رضى الله عنه قال زيد بن أسلم فى قوله تعالى : « **سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص** »(٦) . قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا . وقال ﷺ : « يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت » . وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتنى

---

(١) سورة النساء : آية ٥٦ .
(٢) سورة غافر : آية ١١ ، ١٢
(٣) سورة ابراهيم : آية ٤٤ .
(٤) سورة فاطر : آية ٣٧ .
(٥) سورة المؤمنون : آية ١٠٨ . (٦) سورة ابراهيم : آية ٢١

كنت ذلك الرجــل • وروى الحسن رضى الله عنه جالسا فى زاوية وهو يبكى فقيل له لم تبكى فقال أخشى أن يطرحنى فى النــار ولا يبالى فهذه أصناف عــذاب جهنم على الجملة وتفصيل عمومها وأحزانهــا ومحنهــا وحسراتها لا نهــاية له فأعظم الأمــور عليهم مع ما يلاقونه من شــدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضــاه مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معــدودة اذ لم يبيعوا ذلك الا بشهوات حقيرة فى الدنيــا أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة ، فيقولون فى أنفسهم واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أياما قلائل ولو صبرنا لكــانت قــد انقضت عنــا أيامه وبقينا الآن فى جوار رب العالمين متنعمين بالرضــا والرضوان ، فيالحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بمــا بلوا بــه ولم يبق معهم شىء من نعيم الدنيا ولذاتها ثم انهم لو لم يشــاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم • فقد قال رسول الله ﷺ : يؤتى يوم القيامة بناس من النار الى الجنة حتى اذا دنوا منهــا واستنشقوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما أعــد الله لأهلها فيهــا نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجــع الأولون والآخرون بمثلها • فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا • فيقول الله تعالى ذاك أردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم واذا لقيتم النــاس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بخلاف ما تعطــونى من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى وأجللتم النــاس ولم تجلونى وتركتم النــاس ولم تتركوا لى فاليوم أذيقكم العــذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثــواب المقيم • قال أحمــد بن حرب ان أحــدنا يؤثر الظــل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار ، وقال عيسى عليه الســلام كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولســان فصيح غــدا بين أطباق النار يصيح • وقال داود الهى لا صبر لى على حر شمسك فكيف صبرى على حــر نارك ولا صبر لى على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك ، فانظر يا مسكين فى هذه الأهوال واعلم أن الله تعالى خلق النار وأهوالها وخلق لهــا أهلا لا يزيدون ولا ينقصون وأن هــذا أمر قــد قضى وفرغ منه • قال الله تعــالى :

« **وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر وهـم فى غفلة وهم لا يؤمنـون** »(١) ولعمرى الاشارة به الى يوم القيـامة بل فى أزل الأزل ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشـتغل بحقرات الدنيـا ولست تدرى أن القضاء بماذا سبق فى حقك فان قلت فليت شعرى ماذا موردى والى ماذا مآلى ومرجعى وما الذى سـبق بـه القضاء فى حقى فلك علامة تستأنس بها وتصـدق رجاءك بسـببها وهو أن تنظر الى أحـوالك وأعمالك فان كـلا ميسر لمـا خلق له فان كان قـد يسر لك سبيل الخير فأبشر فانك مبعـد عن النار وان كنت لا تقصد خـيرا الا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرا الا ويتيسر لك أسبابه فاعلم أنك مقضى عليك فان دلالة هذا على العاقبـة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النـار . فقد قال الله تعـالى : « **ان الأبرار لفى نعيـم * وان الفجـار لفى جحيم** »(٢) فاعـرض نفسـك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين والله أعلم .

البـاب الاربعـون
فى فضـــل الطـاعة

اعلم أن طاعة الله سبحانه وتعالى جمـاع الخير كله وقد حث الله تعالى عليها فى كتابه فى آيات متعددة وبها أرسل الرسل ليخرج الناس من ظلمات النفوس الى أنوار معرفة القدوس ، ويتمتعوا لأ دار النعيم التى أعدت للمتقين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطـر على قلب بشر ، فانهم لم يخلقوا عبثـا بل ليجزى الذين أساؤوا بما عملوا ويجزى الذين أحسـنوا بالحسـنى وهو الغنى عن طاعتهم ولا تضره معصيتهم ولا تنقص من كمالاته شيئا ، فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهـار وهم لا يسـأمون ، من عمـل صـالحا فلنفسه ومن أساء فعليها والله الغنى وأنتم الفقـراء ، يا عجبا أحـدنا يشترى الرقيق ويحب أن يكون قائما بما يلزم من الخـدمة ناصـحا فيها منقادا لمولاه الذى استولى عليه بالعرض اليسير الفانى ويمقته بزلة واحـدة ويغضب

---

(١) سورة مريم : آية ٣٩ .

(٢) سورة الانفطار : آية ١٣ ، ١٤ .

عليه وربما منعــه مرتبه أو طـرده أو باعــه ، فما لنا لا نطيــع مولانا الحقيقى الذى خلقنا وسوانا ونقع فى زلات عــدد المطــر ومع ذلك لم يمنع نعمــه عنا وامداداته التى لولاها لهلكنا وهـــو قادر على البطش بنا بمجرد ارتكاب زلة واحـــد لكنه يمهلنا لعلنا نتوب فيقبلنا ويغفــر زلتنا ويســتر عورتنا ، فالعاقل يعــرف من هو الأحق بالطاعة فيقبل عليه ويتوجه بكليته اليه ، وكلما أذنب تاب وإلى خالقه أناب ولا ييــأس من رحمته ويتحبب اليه بشــكر نعمته ويواظب على ذلك عسى أن يكتب من المحبين فيأتيه الموت وهـو مشتاق الى مولاه ومولاه أشـد شـوقا الى لقــائه •

قال أبو الدرداء لكعب رضى الله عنهما أخبرنى عن أخص آية يعنى فى التوراة ، فقال يقول الله تعالى طـال شـوق الأبرار الى لقائى وانى انى لقائهم لأشـد شوقا ، قال ومكتوب الى جانبها من طلبنى وجـدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى ، فقال أبو الدرداء أشهد أنى لسمعت رسول الله ﷺ يقول هذا ، وفى أخبار داود عليــه الســلام أن الله تعالى قال يا داود أبلغ أهـــل أرضى أنى حبيب لمن أحبنى وجليس لمن جالسنى ومؤنس لمن أنس بذكرى وصاحب لمن صاحبنى ومختار لمن اختارنى ومطيع لمن أطاعنى ما أحبنى عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسى وأحببته حبا لا يتقــدمه أحـد من خلقى ، من طلبنى بالحق وجـدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا انى كرامتى ومصاحبتى ومجالستى وأنسوا بى أؤانسكم وأســارع الى محبتكم فإنى خلقت طينة أحبائى من طينــة إبراهيم خليلى وموسى نجيى ومحمد صفيى وخلقت قلوب المشتاقين من نورى ونعمتها بجلالى •

وروى عن بعض الســلف أن الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين أن لى عبادا من عبادى يحبوننى وأحبهم ، ويشتاقون إلى وأشــتاق إليهم ويذكروننى وأذكرهم ، وينظرون إلى وأنظر اليهم ، فإن حـذوت طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتك • قال يارب وما علامتهم قال يراعــون الظلال بالنهــار كما يراعى الراعى الشفيق غنمه ، ويحنــون الى غروب الشمس كمــا يحن الطائر الى وكره عنــد الغروب فاذا جنهم الليــل

واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الأسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الىّ أقدامهم وافترشوا الى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا الى بانعامى ، فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعينى ما يتحملون من أجلى وبسمعى ما يشتكون من حبى ، أول ما أعطيتهم ثلاثا ، أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والأرض وما فيها فى موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة أقبل بوجهى عليهم فترى من أقبلت بوجهى عليهم يعلم أحد ما أريد أن أعطيه •

وفى أخبار داود عليه السلام قل لعبادى المتوجهين الى محبتى ما ضركم اذا احتجبت عن خلقى ورفعت الحجاب فيما بينى وبينكم حتى تنظروا الى بعيون قلوبهم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا اذابسطت دينى لكم وما ضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضائى •

الباب الحادى والأربعون

فى الشكر

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر فى كتابه مع أنه قال : ((**ولذكر الله اكبر**))(١) وقال تعالى : ((**فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون**))(٢) وقال الله تعالى : ((**ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم**))(٣) وقال الله تعالى : ((**وسنجزى الشاكرين**))(٤) وقال عز وجل اخبارا عن ابليس اللعين لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، قيل هو طريق الشكر طعن اللعين فى الخلق ، فقال : ((**ولا تجد اكثرهم شاكرين**)) وقال تعالى : ((**وقليل من عبادى الشكور**))(٥) وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال تعالى : ((**لئن شكرتم لأزيدنكم**))(٦) واستثنى فى خمسة أشياء فى الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى : ((**فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء**))(٧) وقال : ((**فيكشف ما تدعون اليه ان شاء**))(٨) وقال : ((**والله يرزق من يشاء**

---

(١) سورة العنكبوت : آية ٤٥ .
(٢) سورة البقرة : آية ١٥٢ .
(٣) سورة النساء : آية ١٤٧ .
(٤) سورة آل عمران : آية ١٤٥ .
(٥) سورة الأعراف : آية ١٧ .
(٦) سورة ابراهيم : آية ٧ .
(٧) سورة التوبة : آية ٢٨ .
(٨) سورة الأنعام : آية ٤١ .

بغير حساب »(١) وقال : « **ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** »(٢) وقال : « **ويتوب الله على من يشاء** »(٣) وهو خلق من اخلاق الربوبية اذ قال تعالى : « **والله شكور حليم** »(٤) وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام اهل الجنة فقال تعالى : « **وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده** »(٥) وقال : « **وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين** »(٦) .

وأما الأخبار فقد قال رسول الله ﷺ : الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر ، وروى عن عطاء أنه قال دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ فبكت وقالت وأى شأنه لم يكن عجبا أتانى ليلة فدخل معى فى فراشى أو قالت فى لحافى حتى مس جلدى جلده ثم قال يا ابنة أبى بكر ذرينى أتعبد لربى ، قالت قلت انى أحب قربك لكنى أوثر هواك فأذنت له فقال الى قربة ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك يبكى حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة ، فقلت يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم لا افعل ذلك وقد انزل الله تعالى على : « **ان فى خلق السموات والأرض** »(٧) الآية .. وهذا يدل على أن البكاء ينبغى أن لا ينقطع أبدا . والى هذا السر يشير ما روى أنه مر بعض الأنبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فأنطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى : « **وقودها الناس والحجارة** »(٨) فانا أبكى من خوفه فسأل الله له أن يجيره من النار فأجاره ، ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكى الآن فقال ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة أو أشد قسوة ولاتزول قسوته الا بالبكاء فى حال الخوف والشكر جميعا . وروى عنه ﷺ أنه قال : « ينادى يوم القيامة ليقم الحمادون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة ، قيل ومن الحمادون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال » وفى لفظ آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء » . وقال ﷺ :

---

(١) سورة البقرة : آية ٢١٢ .
(٢) سورة النساء : آية ٤٨ و ١١٦ .
(٣) سورة التوبة : آية ١٥ .
(٤) سورة التغابن : آية ١٧ .
(٥) سورة الزمر : آية ٧٤ .
(٦) سورة يونس : آية ١٠ .
(٧) سورة البقرة : آية ١٦٤ .
(٨) سورة البقرة : آية ٢٤ .

«الحمد رداء الرحمن» . وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام أني رضيت بالشكر مكافأة من أوليائي .. في كلام طويل ، وأوحى الله تعالى إليه أيضا في صفة الصابرين أن دارهم دار السلام اذا دخلوها ألهمهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر أستزيدهم وبالنظر الى أزيدهم . ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر رضى الله عنه أي المال نتخذ ، فقال عليه السلام «ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا» فأمر ، باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال . وقال ابن مسعود الشكر نصف الايمان .

واعلم أن الشكر يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصد الخير وإضماره لكافة الخلق ، وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى وبالتحميدات الدالة عليه ، وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته ، حتى إن شكر العينين أن تستر بكل عيب تراه لمسلم وشكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء ، والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به . فقد قال ﷺ لرجل : « كيف أصبحت قال بخير فأعاد ﷺ السؤال حتى قال في الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال ﷺ هذا الذي أردت منك » .

وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت ، فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شيء الى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالأحرى بالعبد ان لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأفضى به الضعف الى الشكوى أن تكون شكواه الى الله تعالى فهو المبلي والقادر على ازالة البلاء وذل العبد لمولاه عز والشكوى الى غيره ذل واظهار الذل للعبد مع كونه عبدا مثله ذل قبيح . قال الله تعالى : « **ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له** »(١) وقال تعالى : « **ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم** »(٢) فالشكر باللسان من جملة الشكر .

وقد روى أن وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقام

---

(١) سورة العنكبوت : آية ١٧ . (٢) سورة الأعراف : آية ١٩٤

شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر ، فقال يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن لكان فى المسلمين من هو أسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة أما الرغبة فقد أوصلها الينا فضلك وأما الرهبة فقد آمننا منها عدلك وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف .

الباب الثانى والأربعون
فى بيان ذم الكبر

قد ذم الله الكبر فى مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى : ((**ساصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق**))(١) وقال عز وجل : ((**كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار**))(٢) وقال تعالى : ((**واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد**))(٣) وقال تعالى : ((**انه لا يحب المستكبرين**))(٤) وقال تعالى : ((**لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا**))(٥) وقال تعالى : ((**ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين**))(٦) وذم الكبر فى القرآن كثير . وقد قال رسول الله ﷺ : لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ، ولا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان . وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى : ((**الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما القيته فى جهنم ولا ابالى**))(٧) وعن ابى سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فتوافقا فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يبكى فقالوا ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعنى عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله فى النار على وجهه . وقال رسول الله ﷺ : لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب . وقال سليمان بن داود عليهما السلام

---

(١) سورة الاعراف : آية ١٤٦ . (٢) سورة غافر : آية ٣٥ .
(٣) سورة ابراهيم : آية ١٥ . (٤) سورة النحل : آية ٢٣ .
(٥) سورة الفرقان : آية ٢١ . (٦) سورة غافر : آية ٦٠ .
(٧) وهذا هو الحديث القدسى الذى لفظه ومعناه منه جل جلاله ويفارق القرآن فى أشياء أنظرها فى مقدمتى لكتاب المنار المنيف لابن قيم الجوزية .

يوما للطير والانس والجن والبهائم اخرجوا فخرجوا فى مائتى ألف من الانس ومائتى ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح فى السموات ثم خفض حتى مست أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان فى قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته ، وقال ﷺ يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله الها آخر ، وبالمصورين . وقال ﷺ « لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا سيء الملكة » . وقال ﷺ « تحاجت الجنة والنار ، فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة مالى لا يدخلنى الا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزهم ، فقال الله للجنة انما أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى ، وقال للنار انما أنت عذابى أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها » . وقال ﷺ : « بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الأعلى ، بئس العبد عبد تجبر واختال ونسى الكبير المتعال ، بئس العبد عبد عتى وبغى ونسى المبدأ والمنتهى » . وعن ثابت أنه قال بلغنا أنه قيل « يارسول الله ما أعظم كبر فلان فقال : أليس بعده الموت » .

وقال عبد الله بن عمرو إن رسول الله ﷺ قال : « إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا إليه بنيه ، وقال إنى آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر ، وآمركما بلا اله الا الله فان السموت والأرضين وما فيهن لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله فى الكفة الأخرى كانت أرجح منها ، ولو أن السموت والأرضين وما فيهن كانت حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء . وقال المسيح عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا .

وقال ﷺ : « أهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المقلون » . وقال ﷺ : « إن أحبكم إلينا وأقربكم منا فى الآخرة أحاسنكم أخلاقا ، وان أبغضكم الينا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون » . وقال ﷺ : « يحشر المتكبرون يوم القيامة فى مثل صور الذر تطأهم الناس فى مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون الى

سجن فى جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من طين الخبال عصار أهل النار » • وقال أبو هريرة قال النبى ﷺ : « يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة فى صور تطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى » • وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبى بردة فقلت له يا بلال ان أباك حدثنى عن أبيه عن النبى ﷺ أنه قال : ان فى جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله أن يسكنه كل جبار فاياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه • وقال ﷺ : « ان فى النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم » • وقال ﷺ : « إنى أعوذ بك من نفخة الكبرياء » • وقال « من فارق روحه جسده وهو برىء من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلول » • وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير • وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر إليها فقال أنت حرام على كل متكبر •وقال محمد بن الحسين بن على مادخل قلب امرىء شىء من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر ، وسئل سليمان عن السيئة التى لا تنفع معها حسنة فقال الكبر •

وقال النعمان بن بشير على المنبر إن للشيطان مصائد وفخوخا وإن من مصائد الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله والفخر باعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى فى غير ذات الله ، نسأل الله تعالى العفو والعافية فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه • وقال رسول الله ﷺ : « لا ينظر الله إلى رجل يجر ازاره بطرا » • وقال ﷺ : « بينما رجل يتبختر فى برديه إذ أعجبته نفسه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة » • وقال ﷺ : « من جر ثوبه خيلاء لاينظر الله اليه يوم القيامة »• وقال زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول أى بنى ارفع ازارك فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء » •

وقال ﷺ : « اذا مشت أمتى المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض » • قال ابن الأعرابى هى مشية فيها اختيال ، وقال ﷺ : من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته لقى الله وهو عليه غضبان • وعن أبى بكر الهذلى قال بينما نحن مع الحسن اذ مر علينا ابن الأهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشى يتبختر اذ نظر اليه

الحسن نظرة ، فقال أف أف شامخ بأنفه ثانى عطفه مصعر خده ينظر فى عطفيه أى حميق، أنت تنظر فى عطفيك فى نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير مأخوذ بأمر الله فيها ولا مؤدى حق الله منها فى كل عضو من أعضائه لله نعمة وللشيطان به لفتة والله لأن يمشى أحد طبيعته أو يتخلج تخلج المجنون خير له من هذا • فسمع ابن الأهتم فرجع يعتذر اليه ، فقال لا تعتذر الى وتب الى ربك ، أما سمعت قول الله تعالى : ((**ولا تمش فى الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا**))(١) . مر بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدعاه ، فقال له ابن آدم معجب بشبابك محب لشمائلك كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لاقيت عملك ، ويحك داو قلبك فإن حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم • ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه ، وقال أتدرى من أنت أما أمك فاشتريتها بمائة درهم وأما أبوك فلا أكثر الله فى المسلمين مثله ، ورأى ابن عمر رجلا يجر ازاره فقال ان للشيطان اخوانا •• كررها مرتين أو ثلاثا •

ويروى أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب وهو يتبختر فى جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله ، فقال له المهلب أما تعرفنى فقال بلى أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك •

وأنشدوا فى هذا المعنى :

عجبت من معجب بصورته ... وكان بالأمس نطفة مذره
وفى غد بعد حسن هيئته ... يصير فى القبر جيفة قذره

وأنشد خلف الأحمر :

لنا صاحب مولع بالخلاف ... كثير الخطا قليل الصواب
أشد لجاجا من الخنفساء ... وأزهى اذا ما مشى من غراب

وقال آخر :

قلت للمعجب لما ... قال مثلى لا يراجع
يا قريب العهد بالمخر ... ج لم لا تتواضع

ومثله لذى النون المصرى :

أيها الشامخ الذى لا يرام ... نحن من طينة عليك السلام
انما هذه الحياة متاع ... ومع الموت تستوى الأقدام

وقال مجاهد فى قوله تعالى : ((**ثم ذهب الى اهله يتمطى**))(٢) أى يتبختر والله تعالى أعلم •

(١) سورة الاسراء : آية ٣٧ .
(٢) سورة القيامة : آية ٣٣ .

الباب الثالث والأربعون
فى التفكر فى الأيام وغيرها

قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر فى كتابه العزيز فى مواضع لا تحصى فقال تعالى : ((**ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار**))(١) الآية . . أى تعاقبهما فى المجىء والذهاب يخلف أحدهما صاحبه اذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه أى بعده . قال تعالى : ((**وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه**))(٢) قال عطاء اراد اختلافهما فى النور والظلمة والزيادة والنقصان وما أحسن قول القائل :

يا راقد الليل مسرورا باوله ان الحوادث قد تطرقن اسحارا
لا تفرحن بليل طاب اوله فرب آخر ليل أجج النارا

وقول آخر :

ان الليالى للانام مناهل تطوى وتنشر إنها الأعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار

وأثنى الله على المتفكرين فقال تعالى : ((**الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا**))(٣) وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما أن قوما تفكروا فى الله عز وجل ، وقال النبى ﷺ : تفكروا فى خلق الله ولا تنفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره . وعن النبى ﷺ أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال : « مالكم لا تتكلمون فقالوا تتفكر فى خلق الله عز وجل ، قال فكذلك فافعلوا تفكروا فى خلقه ولا تفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين قالوا يا رسول الله فأين الشيطان منهم ، قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم قال لا يدرون خلق آدم أم لا » . وعن عطاء قال انطلقت يوما أنا وعبيد بن عمير الى عائشة رضى الله عنهما فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد : ما يمنعك من زيارتنا ، قال قول رسول الله ﷺ زر غبا تزدد حبا ، قال ابن عمير فأخبرينا بأعجب شىء رأيته من رسول الله ﷺ : قال : فبكت وقالت كل من أمره كان عجبا أتانى مرة فى ليلتى حتى مس جلده جلدى ثم قال ذرينى أتعبد لربى عز وجل فقام الى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلى فبكى حتى

(١) سورة البقرة : آية ١٦٤ . (٢) سورة الفرقان : آية ٦٢ .

بل لحيته ثم سجد حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح ، فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال ويحك يا بلال وما يمنعنى أن أبكى ، وقد انزل الله تعالى على هذه الليلة ((**ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب**))(١) ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ، فقيل للأوزاعى ما غاية التفكر فيهن ، قال : يقرؤهن ويعقلهن • وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب الى أم ذر بعد موت أبى ذر فسألها عن عبادة أبى ذر ، فقالت كان نهاره أجمع فى ناحية البيت يتفكر • وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة • وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك ، وقيل لابراهيم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل ، وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يتمثل بقول القائل :

اذا المرء كانت له فكرة ... ففى كل شىء له عبرة

وعن طاوس : قال قال الحواريون لعيسى ابن مريم يا روح الله هل على الأرض اليوم مثلك فقال : نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلى • وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ، ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ، ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو ، وفى قوله تعالى : ((**ساصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق**))(٢) قال أمنع قلوبهم التفكر فى أمرى . وعن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ : أعطوا أعينكم حظها من العبادة ، فقالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر فى المصحف والتفكر فيه ، والاعتبار عند عجائبه • وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة أنها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها الى ما قد ادخر لها فى حجب الغيب من خير الآخرة لم يصف لهم فى الدنيا عيش ولم تقر لهم فى الدنيا عين • وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يا لقمان انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان ان طول الوحدة أدوم للفكرة وطول الفكر دليل على طريق الجنة • وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرىء قط الا علم وما علم امرؤ قط الا عمل • وقال عمر ابن عبد العزيز الفكرة فى نعم الله عز وجل من أفضل العبادة • وقال

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٩٠ . (٢) سورة الأعراف : آية ١٤٦

عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن على ورآه ساكنا متفكرا أين أنت قال الصراط . وقال بشر لو تفكر الناس فى عظمة الله ما عصوا الله عز وجل . وعن ابن عباس ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب . وبينما أبو شريح يمشى اذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكى فقيل له ما يبكيك قال تفكرت فى ذهاب عمرى وقلة عملى واقتراب أجلى وقال أبو سليمان عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر ، وقال أبو سليمان أيضا الفكر فى الدنيا حجاب عن الآخرة يورث الحكمة ويحيى القلوب وقال حاتم من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف ، وقال ابن عباس التفكر فى الخير يدعو الى العمل به ، والندم على الشر يدعو الى تركه . وقال الحسن ان أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة . وقال اسحق بن خلف كان داود الطائى رحمه الله تعالى على سطح فى ليلة قمراء فتفكر فى ملكوت السموات والأرض وهو ينظر الى السماء ويبكى حتى وقع فى دار جار له ، قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وظن أنه لص فلما نظر الى داود رجع ووضع السيف ، وقال من ذا الذى طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك . وقال الجنيد أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة فى ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل ، ثم قال يالها من مجالس ما أجلها ومن شراب ما ألذه طوبى لمن رزقه . وقال الشافعى رحمه الله تعالى استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر ، وقال أيضا صحة النظر فى الأمور نجاة من الغرور ، والعزم فى الرأى سلامة من التفريط والندم ، والرؤية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ، ومشاورة الحكماء ثبات فى النفس وقوة فى البصيرة ، ففكر قبل أن تعزم وتدبر قبل أن تهجم وشاور قبل أن تقدم . وقال أيضا الفضائل أربع : إحداها الحكمة ، وقوامها الفكرة ، والثانية العفة وقوامها فى الشهوة ، والثالثة القوة وقوامها فى الغضب ، والرابعة العدل وقوامه فى اعتدال قوى النفس .

* * *

البـاب الرابع والأربعـون
فى بيـان شـدة المـوت

عن الحسن أن رسول الله ﷺ ذكر الموت وغصته وألمه فقال : هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف ، وسئل ﷺ عن الموت وشدته فقال ان أهون الموت بمنزلة حسكة لأ صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف . ودخل ﷺ على مريض ثم قال : انى أعلم ما يلقى ما منه عرق الا ويألم للموت على حدته . وكان على كرم الله وجهه يحض على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذى نفسى بيده لألف ضربة بالسيف أهون على من موتى على فراش . وقال الأوزاعى بلغنا أن الميت يجد ألم الموت ما لم يبعث من قبره . وقال شداد بن أوس الموت أفظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم . وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال اذا بقى على المؤمن من درجاته شىء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته فى الجنة ، واذا كان للكافر معروف لم يجز به هون عليه فى الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار . وعن بعضهم أنه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له فأنت كيف تجده فقال كأن السموات مطبقة على الأرض وكأن نفسى يخرج من ثقب ابرة . وقال ﷺ : موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر .

وروى عن مكحول عن النبى ﷺ أنه قال : لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لماتوا باذن الله تعالى لأن فى كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشىء الا مات .

ويروى لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت .

وروى أن ابراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا خليلى ؟ قال كسفود جعل فى صوف رطب ثم جذب فقال أما أنا قد هونا عليك .

وروى عن موسى عليه السلام أنه لما صارت روحه الى الله تعالى

قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت ، قال وجدت نفسى كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير •

وروى عنه أنه قال وجدت نفسى كشاة حية تسلخ بيد القصاب •

وروى عن النبى ﷺ أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده فى الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون على سكرات الموت ، وفاطمة رضى الله عنها تقول واكرباه لكربك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أبيك بعد اليوم • وقال عمر رضى الله عنه لكعب الأحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين ان الموت كغصن كثير الشوك أدخل فى جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى • وقال النبى ﷺ : ان العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقنى وأفارقك الى يوم القيامة فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه فما حالنا ونحن المنهمكون فى المعاصى وتتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهى فان دواهى الموت ثلاث الأولى شدة النزع كما ذكرناه ، الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو رأى صورته التى يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته •

فقد روى عن ابراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لملك الموت هل تستطيع أن ترينى صورتك التى تقبض عليها روح الفاجر ، قال لا تطيق ذلك ، قال بلى قال فأعرض عنى فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان فغشى على ابراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الأولى • فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت الا صورة وجهك لكان حسبه •

وروى أبو هريرة عن النبى ﷺ أن داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان اذا خرج غلق الأبواب فغلقها ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فاذا هى برجل فى الدار ، فقالت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عناء فجاء داود فرآه فقال من أنت فقال أنا الذى لا أهاب الملوك ولا يمنعهم منى الحجاب ، فقال فأنت والله اذا ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه •

وروى أن عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله فقال. تكلمي باذن الله فقالت يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس فى ملكى على تاجي وحولى جنودي وحشمى على سرير ملكى اذ بدا لى ملك الموت فزال منى كل عضو على حياله ثم خرجت نفسى اليه . فياليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ويا ليت ما كان من ذلك الانس كان وحشة فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون .

فقد حكى الأنبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التى يدركها من شاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها فى منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف برؤيته فى مثل تلك الحال ، وأما المطيع فإنه يراه فى أحسن صورة وأجملها .فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن ابراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فاذا برجل فى جوف البيت فقال من أدخلك دارى فقال أدخلنيها ربها ، فقال أنا ربها ، فقال أدخلنيها من هو أملك بها منى ومنك ، فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت ، قال هل تستطيع أن ترينى الصورة التى تقبض فيها روح المؤمن ، قال نعم فأعرض عنى فأعرض ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه ، فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا ، وان كان فاجرا قالا له لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح أحضرتنا وكلام قبيح أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شخوص بصر الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا أبدا .

الداهية الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم تلك المشاهدة فانهم فى حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت باحدى البشريين اما أبشر يا عدو الله بالنار أو أبشر يا ولى الله بالجنة ومن هذا كان خوف أرباب الألباب وقد قال النبى ﷺ : « لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار » .

الباب الخامس والأربعون
فى بيان القبر وسؤاله

قال رسول الله ﷺ : يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بى ألم تعلم أنى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بى اذ كنت تمر بى فذاذا ، فان كان مصلحا أجاب عنه مجيب للقبر أرأيت ان كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فيقول القبر انى اذا أتحول عليه خضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه الى الله تعالى والفذاذ هو الذى يقدم رجلا ويؤخر أخرى هكذا فسره الراوى ، وقال عبيد بن عمير الليثى ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التى يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت فى حياتك لله مطيعا كنت عليك اليوم رحمة ، وان كنت عاصيا فأنا اليوم عليك نقمة أنا الذى من دخلنى مطيعا خرج مسرورا ومن دخلنى عاصيا خرج مثبورا •

وقال محمد بن صبح بلغنا أن الرجل اذا وضع فى قبره فعذب أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى أيها المتخلف فى الدنيا بعد اخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبرا أما كان لك فى متقدمنا اياك فكرة أما رأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت فى المهلة فهلا استدركت ما فات اخوانك • وتناديه بقاع الأرض أيها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك فى باطن الأرض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به أجله الى القبر وأنت تراه محمولا تهاداه أحبته الى المنزل الذى لابد له منه •

وقال يزيد الرقاشى بلغنى أن الميت اذا وضع فى قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله فقالت أيها العبد المنفرد فى حفرته انقطع عنك الأخلاء والأهلون فلا أنيس لك اليوم عندنا ، وقال كعب اذا وضع العبد الصالح فى القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والزكاة والجهاد والصدقة ، قال فتجىء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال بى القيام لله عليهما ، فيأتونه من قبل رأسه يقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه لله فى دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه ، فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله

فلا سبيل لكم عليــه ، قال فيأتونه من قبل يديه فتقول الصــدقة كفوا عن صاحبى فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت فى يد الله تعالى ابتغاء وجهــه فلا ســبيل لكم عليــه قال فيقال له هنيئا طبت حيا وطبت ميتا ، قال وتأتيه ملائكة الرحمــــة فتفرش له فراشــــا من الجنة ودثارا من الجنــة ويفسح له فى قبــره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضىء بنوره الى يوم يبعثه الله من قبره .

وقال عبيد الله بن عمــير فى جنــازة بلغنى أن رســول الله ﷺ قال : ان الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شىء الا قبــره يقول ويحك ابن آدم أليس قــد حذرتنى وحذرت ضيقى وتنى وهولى ودودى فماذا أعددت لى .

قال البراء بن عازب خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله ﷺ على قبره منكسا رأســه ثم قال : اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال ان المؤمن اذا كان فى قبــل من الآخرة بعث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم حنــوطه وكفنــه فيجلسون مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين الســماء والأرض وكل ملك فى السماء وفتحت أبواب السماء فليس منها باب الا يحب أن يدخل بروحه منه فاذا صعد روحه قيل أى رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فأروه ما أعــددت له من الكــرامة فانى وعــدته « **منهــا خلقناكم وفيها نعيدكم** »(١) الآية ، وانه ليســــمع خفق نعالهم اذا ولــوا مدبرين حتى يقال يا هــذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد ﷺ . قال فينتهرانه انتهارا شــديدا وهى آخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى منــا مناد أن قــد صدقت وهــو معنى قــوله تعــالى : « **يثبت الله الذين آمنــوا بالقــول الثابت** »(٢) الآية .. ثم يأتيه آت حسن الوجــه طيب الريح حسن الثياب فيقــول أبشر برحمة ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وأنت فبشرك الله بخير من أنت فيقول أنا عملك الصالح والله علمت ان كنت لسريعا الى طــاعة الله تعالى بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خــيرا . قال ثم ينادى منــاد أن افرشوا له من فرش الجنـــة وافتحوا له بابا الى الجنـــة فيفرش

---

(١) سورة طه : آية ٥٥ . (٢) سورة ابراهيم : آية ٢٧ .

له من فرش الجنة ويفتح له باب الى الجنة ، فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع الى أهلى ومالى •

قال وأما الكافر فانه اذا كان فى قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك فى السماء ، وغلقت أبواب السماء فليس منها باب الا يكره أن يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل أى رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا أرض ، فيقول عز وجل ارجعوه فأروه ما أعددت له من الشر انى وعدته ((**منها خلقناكم وفيها نعيدكم**))(١) الآية .. وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدرى ، فيقال له لا دريت ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول أنا عملك الخبيث والله ان كنت لسريعا فى معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شرا فيقول وأنت فجزاك الله شرا ثم يقيض له أصم أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يقلوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه ضربة فيصير ترابا ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الأرضين • قال ثم ينادى مناد أن افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار •

وعن محمد بن كعب القرظى انه كان يقرأ قوله تعالى : ((**حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون * لعلى أعمل صالحا فيما تركت**))(٢) قال اى شىء تريد وفى اى شىء ترغب اتريد ان ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبنى البنيان وتشق الأنهار ، قال لا لعلى أعمل صالحا فيما تركت قال فيقول الجبار كلا انها كلمة هو قائلها اى ليقولنها عند الموت • وقال أبو هريرة قال النبى ﷺ : المؤمن فى قبره فى روضة خضراء ويرحب له فى قبره سبعون ذراعا ويضىء حتى يكون كالقمر ليلة البدر ، هل تدرون فيماذا انزلت ((**فان له معيشة ضنكا**)) قالوا الله ورسوله أعلم ، قال فى عذاب الكافر فى قبره يسلط عليه تسعة وتسعون

---

(١) سورة طه آية ٥٥ .

(٢) سورة المؤمنون : آية ٩٩ ، ١٠٠ .

تنيناً هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤوس يخدشونه ويلحسونه وينفخون فى جسمه الى يوم يبعثون ، ولا ينبغى أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان عدد هذه الحيات والعقارب بعدد الأخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات ، فان لها أصولا معدودة ثم تتشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها بأقسام وتلك الصفات بأعيانها هى المهلكات وهى بأعيانها تنقلب عقارب وحيات فالقوى منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤذى إيذاء الحية وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها الا أن مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور النبوة ، فأمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ولكنها عند أرباب البصائر واضحة فمن لم تتكشف له حقائقها فلا ينبغى أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الايمان التصديق والتسليم .

الباب السادس والأربعون

فى بيان علم اليقين وعين اليقين والسؤال يوم العرض

قال الله تعالى : ((**كلا لو تعلمون علم اليقين**))(١) يعنى لو تعلمون أمر القيامة باليقين لألهاكم عن ذلك أى عن التكاثر والتفاخر ولفعلتم ما ينفعكم من الخير ولتركتم ما لا ينفعكم ، ويقال حقا لو تعلمون علم اليقين كما يعلمه الرسل أن المال والحساب فى الفخر لا ينفعكم يوم القيامة ما افتخرتم بالمال وكثرة العدد لترون الجحيم . أقسم الرب إنكم لترون النار وشدتها يوم القيامة عيانا ثم لترونها عين اليقين يعنى لترون الجحيم ، الرؤية التى هى نفس اليقين وهى المشاهدة والمعاينة التى لا شك فيها ، فان قيل ما الفرق بين علم اليقين وعين اليقين قيل له علم اليقين كان للأنبياء بنبوتهم ، وعين اليقين للملائكة لأنهم يعاينون الجنة والنار واللوح والقلم والعرش والكرسى فتكون لهم عين اليقين . وان شئت قلت علم اليقين علم الموت والقبور وللأحياء لأنهم يعرفون بأن الأموات فى القبور ولكن لا يدرون كيف حالهم فيها وعين اليقين للأموات لأنهم عاينوا القبور ، أما روضة من رياض الجنة واما حفرة من حفر النار .

(١) سورة التكاثر : آية ٥ .

وان شئت قلت علم اليقين علم القيامة وعين اليقين معاينة القيامة وأهوالها وان شئت قلت علم اليقين علم الجنة والنار وعين اليقين الرؤية « **ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم** » يعنى لتسئلن يوم القيامة عن نعيم الدنيا من صحة الأبدان والأسماع والأبصار والمكاسب وملاذ المآكل والمشارب وغير ذلك هل أديتم شكرها لمولاها وعرفتموه بها أم كفرتم بها .

أخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن زيد بن أسلم عن أبيه قال قرأ رسول الله ﷺ : « **ألهاكم التكاثر** » يعنى عن الطاعات « **حتى زرتم المقابر** » يقول حتى يأتيكم الموت « **كلا سوف تعلمون** » يعنى لو قد دخلتم قبوركم « **ثم كلا سوف تعلمون** » يقول لو قد خرجتم من قبوركم الى محشركم « **كلا لو تعلمون علم اليقين** » قال لو قد وقفتم على اعمالكم بين يدى ربكم « **لترون الجحيم** » وذلك لأن الصراط يوضع وسط جهنم فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكدوش فى نار جهنم « **ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم** »(١) يعنى شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم . وعن على رضى الله عنه قال النعيم العافية . وعن أبى قلابة عن النبى ﷺ فى الآية قال : ناس من أمتى يعقدون السمن والعسل النقى فيأكلونه . وعن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية قالت الصحابة يا رسول الله أى نعيم نحن فيه وانما نأكل فى أنصاف بطوننا خبز الشعير فأوحى الله الى نبيه ﷺ قال لهم أليس تحتذون النعال وتشربون الماء البارد فهذا من النعيم . وروى الترمذى وغيره انه لما نزلت « **ألهاكم التكاثر** »(١) فقرأ حتى بلغ النعيم قالوا يا رسول الله أى نعيم نسئل عنه وانما هما الأسودان الماء والتمر وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر فعن أى نعيم نسأل . قال أما أن ذلك سيكون . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ان أول ما يسئل العبد عنه يوم القيامة من النعيم أن يقال له ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد ! وروى مسلم وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرج النبى ﷺ فاذا هو بأبى بكر وعمر فقال : ما أخرجكما من بيوتكما الساعة قالا الجوع يا رسول الله ، قال والذى نفسى بيده لأخرجنى الذى أخرجكما فقوما فقاما معه ، فأتى

---

(١) سورة التكاثر كلها .

رجـلا من الأنصار فاذا هو ليس فى بيته فلما رأته المـرأة قالت مرحبا فقـال النبى ﷺ أين فلان فقالت انطلق يستعذب لنـا المـاء اذ جـاء الأنصارى فنظر الى رسـول الله ﷺ وصاحبيه فقال الحمد لله ما أحـد اليوم أكرم اضيافا منى ، فانطلق فجـاء بعـذق فيه بسر وتمر فقـال كلوا من هذا وأخذ المدية ، فقال له رسول الله ﷺ اياك والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشـاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر رضى الله عنهمـا : والذى نفسى بيـده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيـامة .

البـاب السـابع والأربعون
فى فضـل ذكر الله تعـالى

قال الله تعالى : ((**فاذكرونى أذكركم**)) (*) قال ثابت البنانى رحمـه الله انى أعلم متى يذكرنى ربى عز وجل ففزعوا منه وقالوا كيف تعـلم ذلك فقال اذا ذكرته ذكرنى ، وقال تعـالى : ((**اذكروا الله ذكرا كثيرا**))(١) وقال تعالى : ((**فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشـعر الحرام واذكروه كمـا هداكم**))(٢) وقال عـز وجل : ((**فاذا قضـيتم مناسـككم فاذكروا الله كذكـركم آبـاءكم أو أشـد ذكـرا**))(٣) وقـال تعـالى : ((**الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم**))(٤) وقـال تعـالى : ((**فـاذا قضـيتم الصـلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم**))(٥) قال ابن عباس رضى الله عنهما أى بالليل والنهار والبـر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقـر والمرض والصـحة والسر والعلانية . وقـال تعالى فى ذم المنافقين : ((**ولا يذكرون الله الا قليلا**))(٦) وقال عـز وجل : ((**واذكر ربك فى نفسـك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القـول بالغـدو والآصال ولا تكن من الغافلين**))(٧) وقـال تعـالى : ((**ولذكر الله أكبر**))(٨) قال ابن عباس رضى الله عنهما لـه وجهان أحدهما أن ذكـر الله تعـالى لكم أعظـم من ذكركم ايـاه . والآخر أن ذكر الله أعظم من كل عبـادة

(*) سورة البقرة : آية ١٥٢ .
(١) سورة الأحزاب : آية ٤١ .
(٢) سورة البقرة : آية ١٩٨ .
(٣) سورة البقرة : آية ٢٠٠ .
(٤) سورة آل عمران : آية ١٩١
(٥) سورة النساء : آية ١٠٢ .
(٦) سورة النساء : آية ١٤٢ .
(٧) سورة الأعراف : آية ٢٠٥
(٨) سورة العنكبوت : آية ٤٥

سواه الى غير ذلك من الآيات • وقال رسول الله ﷺ ذاكر الله فى الغافلين كالشجرة الخضراء فى وسط الهشيم • وقال ﷺ : ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل بين الفارين • وقال ﷺ : يقول الله عز وجل أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت شفتاه بى • وقال ﷺ : ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل ، قالوا يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع • وقال ﷺ : من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل • وسئل رسول الله ﷺ أى الأعمال أفضل فقال : أن تموت ولسانك رطب بذكر الله تعالى عز وجل • وقال ﷺ : أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة • وقال ﷺ : لذكر الله عز وجل بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن اعطاء المال سحا • وقال ﷺ : يقول الله تبارك وتعالى **اذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى واذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملئه • واذا تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا واذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الى هرولت اليه**(١) . يعنى بالهرولة سرعة الاجابة . وقال ﷺ : سبعة يظلهم الله عز وجل فى ظله يوم لا ظل الا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله ، وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ : ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم • قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل دائما » ، وقال ﷺ قال الله عز وجل : **« من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته افضل ما أعطى السائلين »** وقال الفضيل بلغنا أن الله عز وجل قال : « يا عبدى اذكرنى بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما • وقال بعض العلماء ان الله عز وجل يقول : أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه » .

وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عندما حرم الله عز وجل •

---

(١) حديث قدسى اللفظ والمعنى من عند الله ويخالف القرآن فى أمور تراجع فى مقدمتى لكتاب المنار المنيف لابن قيم الجوزية .

ويروى أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر الله عز وجل ، وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ليس يتحسر أهل الجنة على شىء الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها.وقال رسول الله ﷺ : ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده . وقال ﷺ : ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم منـاد من السـماء قوموا مغفورا لكم قـد بدلت لكم سيآتكم حسـنات . وقال ﷺ : ما قعـد قوم مقعدا لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبى ﷺ الا كان عليهم حسرة يوم القيـامة . وقال داود عليه السـلام الهى اذا رأيتنى أجاوز مجالس الذاكرين الى مجالس الغافلين فاكسر رجلى دونهم فانها نعمة تنعم بهـا على ، وقال ﷺ المجلس الصـالح يكفر عن المؤمن ألفى ألف مجلس من مجالس السـوء .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه أن أهـل السـماء ليتراءون بيوت أهـل الأرض التى يذكر فيهـا اسـم الله تعالى كمـا تتراءى النجوم . وقال سـفيان بن عيينة رحمه الله اذا اجتمع قـوم يذكرون الله تعـالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا ألا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فانهم اذا تفرقوا أخذت بأعناقهم اليك .

وعن أبى هريرة رضى الله عنـه أنه دخـل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله ﷺ يقسم فى المسـجد فذهب الناس الى المسـجد وتركوا السـوق فلم يروا ميراثا فقـالوا يا أبا هريرة ما رأينـا ميراثا يقسم فى المسجد قال فماذا رأيتم قالوا رأينـا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرأون القرآن قال فذلك ميراث رسول الله ﷺ

وعن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة وأبى سـعيد الخدرى عنه ﷺ أنه قال « إن لله عز وجل ملائكة سياحين فى الأرض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عـز وجل تنادوا هلموا الى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهـم الى السـماء ، فيقول الله تبارك وتعالى أى شىء تركتم عبـادى يصـنعونه ؟ فيقولون تركنـاهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك ، فيقول تبارك وتعـالى وهـل رأونى فيقولون لا فيقول جـل جلاله كيف لو رأونى ؟ فيقولون لو رأوك لكانوا أشـد تسـبيحا وتمجيـدا فيقـول لهـم من أى شىء يتعوذون ، فيقولون من النـار فيقول تعالى وهـل رأوها ؛ فيقولون لا ، فيقـول الله عز وجل فكيف

لو رأوها ، فيقولون لو رأوها لكانوا أشـد هـربا منها وأشـد نفورا ، فيقول الله عز وجل وأى شيء يطلبون ، فيقولون الجنـة ، فيقول تعالى وهـل رأوها ؟ فيقولون لا ، فيقول فكيف لو رأوها ، فيقولون لو رأوها لكانوا أشـد عليها حرصا ، فيقول جل جلاله انى أشهدكم أنى قد غفرت لهم ، فيقولون كان فيهم فـلان لم يردهم انما جـاء لحاجة ، فيقـول الله عز وجل هـم القوم لا يشقى جليسهم • وقال ﷺ : أفضل ما قلت أنا والنبيـون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك لـه ، وقال ﷺ : من قال لا اله الا الله وحـده لا شريك له لـه الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كلّ يوم مائة مـرة ، كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت لـه حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحـد بأفضـل مما جـاء بـه الا أحـد عمل أكثر من ذلك • وقال ﷺ : ما من عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفـع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الا فتحت لـه أبواب الجنـة يدخل من أيهـا شـاء •

البـاب الثـامن والأربعون
فى فضـائل الصـلوات

قال الله تعـالى : ((**ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا**))(١) وقال ﷺ : خمس صـلوات كتبهن الله على العباد فمن جـاء بهن ولم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهـد ان شاء عذبه وان شاء أدخله الجنة • وقال ﷺ مثل الصـلوات الخمس كمثل نهـر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقى من درنه ؟ قالوا لا شيء ، قال ﷺ فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما تذهب المـاء الدرن ، وقال ﷺ : ان الصـلوات كفارة لمـا بينهن ما اجتنبت الكبائر . كما قال الله تعالى ((**ان الحسنات يذهبن السيئات**)) ومعنى يذهبنها يكفرنها حتى كأنها لم تكن • وأخرج البخارى ومسـلم وأهـل السنن وغيرهم عن ابن مسـعود أن رجـلا أصـاب من امرأة قبلة فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك لـه كانه يسأل عن كفارتها فأنزلت عليـه ((**واقم الصـلاة طرفى النهار**))(٢) الآية .. فقال الرجل يا رسـول الله الى هـذا قـال هى لمن عمل بهـا من أمتى • وأخرج أحمد ومسـلم وغيرهما عن أبى أمامة

(١) سورة النساء : آية ١٠٣ . (٢) سورة هود : آية ١١٤ .

أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال يا رسول الله أقم فى حد الله مرة أو مرتين فأعرض عنه ثم أقيمت الصلاة فلما فرغ قال أين الرجل قال أنا ذا قال أتممت الوضوء وصليت معنا آنفا ؟ قال نعم قال فانك من خطيئتك كيوم ولدتك أمك فلا تعد . وأنزل الله حينئذ على رسوله : ((**وأقم الصلاة طرفى النهار**)) الآية .. وقال ﷺ : ((بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما)).وقال ﷺ : من لقى الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشىء من حسناته . وقال ﷺ : الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين . وسئل ﷺ : أى الأعمال أفضل ، فقال الصلاة لمواقيتها . وقال ﷺ : من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة ، ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان . وقال ﷺ : مفتاح الجنة الصلاة . وقال ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب اليه من الصلاة ولو كان شىء أحب اليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد . وقال النبى ﷺ : من ترك صلاة متعمدا فقد كفر . أى قارب أن ينخلع عن الايمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة أنه بلغها ودخلها . وقال ﷺ : ((من ترك الصلاة متعمدا فقد برىء من ذمة محمد عليه السلام)) .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا الى الصلاة فانه فى صلاة ما كان يعمد الى الصلاة وانه يكتب له باحدى خطوتيه حسنة وتمحى عنه بالأخرى سيئة ، فاذا سمع أحدكم الاقامة فلا ينبغى له أن يتأخر فان أعظمكم أجرا أبعدكم دارا قالوا لم يا أبا هريرة ؟ قال من أجل كثرة الخطا . وقال رسول الله ﷺ : ما تقرب العبد الى الله بشىء أفضل من سجود خفى . وقال رسول الله ﷺ : ما من مسلم يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة .

وروى أن رجلا قال لرسول الله ﷺ ادع الله أن يجعلنى من أهل شفاعتك وأن يرزقنى مرافقتك فى الجنة.فقال ﷺ أعنى بكثرة السجود . وقيل أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجدا وهو معنى قوله عز وجل : ((**واسجد واقترب**))(١) وقال عز وجل : ((**سيماهم فى وجوههم من اثر السجود**))(٢) فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من

---

(١) سورة العلق : آية ١٩ . (٢) سورة الفتح : آية ٢٩ .

الأرض عند السـجود ، وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصـح ، وقيـل هى الغـرر التى تكون فى وجوههم يوم القيامة من أثـر الوضوء • وقال ﷺ اذا قـرأ ابن آدم السـجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول يا ويلاه أمـر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فعصيت فلى النـار •

ويروى عن على بن عبد الله بن عبـاس أنه كان يسجد فى كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجاد •

ويروى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان لا يسجد الا على التراب ، وكان يوسف بن أسباط يقول يا معشر الشباب بادروا بالصحة قبـل المرض فما بقى أحـد أحسده الا رجـل يتم ركوعـه وسـجوده وقـد حيـل بينى وبين ذلك • وقال سعيد بن جبير ما آسى على شىء من الدنيا ما آسى على السجود•وقال عقبة بن مسلم ما من خصلة فى العبد أحب الى الله عز وجل من رجل يحب لقـاء الله عز وجل وما من سـاعة العبد فيها أقرب الى الله عز وجل منه حيث يخر سـاجدا • وقال أبـو هريرة رضى الله عنـه أقرب ما يكون العبد الى الله عز وجل اذا سجد ، فأكثروا الدعاء عند ذلك •

البـاب التاسـع والأربعون
فى بيـان عقـوبة تارك الصـلاة

قال تعالى مخبرا عن أصـحاب الجحيم « **ما سلككم فى سـقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسـكين * وكنا نخـوض مـع الخائضين** »[1] •

وأخرج أحمد : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » ومسلم « بين الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة » وأبو داود النسائى : « ليس بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة » ، والترمذى « بين الكفر والايمان ترك الصلاة » ، وابن ماجه « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » ، وصح كما رواه الترمذى وغيره أنه ﷺ قال : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » • والطبرانى بإسناد لا بأس به « من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا » وفى رواية : بين العبد والكفر أو الشرك ترك

---

(١) سورة المدثر : آية ٤٢ — ٤٥ •

الصلاة فاذا ترك الصلاة فقد كفر وفى أخرى « ليس بين العبد والشرك إلا ترك الصلاة فإذا تركها فقد أشرك » .

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أوصانى خليلى ﷺ بسبع خلال : قال لا تشركوا بالله شيئا وإن قطعتم أو حرقتم أو صلبتم ، ولا تتركوا الصلاة تعمدا فمن تركها متعمدا فقد خرج من الملة ، ولا تركبوا المعصية فإنها سخط الله ، ولا تشربوا الخمر فإنها رأس الخطايا كلها .. » الحديث . والترمذى كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة . وصح خبر « بين العبد وبين الكفر والإيمان الصلاة فاذا تركها فقد أشرك » . والبزار : « لا سهم فى الإسلام لمن لا صلاة له ، ولا صلاة لمن لا وضوء له » . والطبرانى لا ايمان لمن لا أمانة له ، ولا صلاة لمن لا طهور له ، ولا دين لمن لا صلاة له ، انما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد .وابن ماجه والبيهقى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال « أوصانى خليلى ﷺ أن لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وإن حرقت ، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة ، ولا تشرب الخمر فإنها كل شر » .

والبزار وغيره بسند حسن عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما قام بصرى أى ذهب مع بقاء صحة الحدقة قيل نداويك وتدع الصلاة أياما قلت لا إن رسول الله ﷺ قال « من ترك الصلاة لقى الله وهو عليه غضبان » .

والطبرانى بسند لا بأس به فى المتابعات « أتى رسول الله ﷺ رجل فقال يا رسول الله علمنى عملا إذا أنا عملته دخلت الجنة قال لا تشرك بالله شيئا وإن عذبت وحرقت ، وأطع والديك وإن أخرجاك من مالك ومن كل شىء هو لك ، ولا تترك الصلاة متعمدا فإن من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله » ... الحديث .

وفى رواية سندها صحيح لكن فيه انقطاع : « لا تشرك بالله شيئا وإن قتلت وحرقت ، ولا تعقن والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك ، ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ، ولا تشربن خمرا فإنه أى شربها رأس كل فاحشة ، وإياك والمعصية فإن بالمعصية حل سخط الله ، وإياك والفرار

من الزحف وإن هلك الناس وإن أصاب الناس مـوت فاثبت وأنفق على أهلك من طولك ولا ترفع عصاك عنهم أدبا وأخفهم فى الله » .

وابن حبان فى صحيحه « بكروا بالصلاة فى يوم الغيم فإنه من ترك الصلاة فقد كفر » .

والطبرانى عن أميمة مولاة رسول الله ﷺ قالت « كنت أصب على رأس رسول الله ﷺ وضوءه فدخل رجـل فقال أوصنى فقال لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وحرقت بالنـار ، ولا تعص والديك وإن أمراك أن تخلى من أهلك ودنياك فتخله ، ولا تشربن خمرا فإنها مفتاح كل شـر ولا تتركن صـلاة متعمـدا ، فمن فعـل ذلك فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله » ... الحديث .

وأبو نعيم « من ترك الصلاة متعمدا كتب الله اسمه على باب النار ممن يدخلها »، والطبرانى والبيهقى «من ترك الصلاة فإنما وتر أهله وماله» والحاكم عن على أنه ﷺ قال « والله يا معشر قريش لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة أو لأبعثن عليكم رجـلا فيضرب أعناقكم على الدين »..الحديث.

والبزار « لا سهم فى الإسلام لمن لا صـلاة له ، ولا صـلاة لمن لا وضوء له » ، وأحمد مرسلا « أربع فرضهن الله فى الإسلام فمن أتى بثلاث لم يغنين عنه شيئا حتى يأتى بهن جميعا ، الصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت » .

والأصبهانى « من ترك صلاة متعمدا حبط الله عمله وبرئت منه ذمة الله حتى يرجع لله عز وجل توبة » . والطبرانى « من ترك الصلاة فقد كفر جهارا » . وأحمد بسند صحيح لكن فيه انقطاع : « لا تترك الصـلاة متعمدا فإنه من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ورسوله » . وابن أبى شيبة والبخارى فى تاريخـه موقوفا على على رضى الله عنـه قال « من لم يصل ، فهو كافر » ، ومحمد بن نصر وابن عبد البر موقوفا على ابن عباس « من ترك الصلاة فقد كفر » ، وابن نصر موقوفا على ابن مسعود قال « من ترك الصلاة فلا دين له » ، وابن عبد البر موقوفا على جابر « من لم يصل فهو كافر » ، وابن عبد البر وغيره موقوفا على أبى الدرداء قال « لا ايمان لمن لا صـلاة له ، ولا صلاة لمن لا وضوء له » .

وقال ابن أبى شيبة قال النبى ﷺ : « من ترك الصلاة فقد كفر » .

وقال محمد بن نصر سمعت اسحق يقول صح عن النبى ﷺ « أن تارك الصلاة كافر » وكذلك كان رأى أهل العلم من لدن النبى ﷺ أن تارك الصلاة عمدا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر . وقال أيوب ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه » ، وقال تعالى : ((**فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا * الا من تاب**)) (١) .

قال ابن مسعود ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية ولكن أخروها عن أوقاتها . وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين : هو أن لا يصلى الظهر حتى تأتى العصر ، ولا يصلى العصر إلى المغرب ، ولا يصلى المغرب إلى العشاء ، ولا يصلى العشاء إلى الفجر ، ولايصلى الفجر الى طلوع الشمس، فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب أوعده الله بغى وهو واد فى جهنم بعيد قعره ، شديد عقابه . وقال تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون**))(٢) .

قال جماعة من المفسرين المراد بذكر الله هنا الصلوات الخمس فمن أشتغل عن الصلاة فى وقتها بماله كبيعه أو صنعته أو ولده كان من الخاسرين ، ولهذا قال ﷺ : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن نقصت فقد خاب وخسر » . وقال تعالى : ((**فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون**))(١) . قال ﷺ : هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها .

وأخرج أحمد بسند جيد والطبرانى وابن حبان فى صحيحه « أنه ﷺ ذكر الصلاة يوما فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف ».

قال بعض العلماء وإنما حشر مع هؤلاء لأنه ان اشتغل عن الصلاة بماله أشبه قارون فيحشر معه ، أو بملكه أشبه فرعون فيحشر معه ، أو بوزارته أشبه هامان فيحشر معه ، أو بتجارته أشبه أبى بن خلف تاجر كفار مكة فيحشر معه .

والبزار عن سعد بن أبى وقاص قال « سألت النبى ﷺ عن قول

---

(١) سورة مريم : آية ٥٩ ، ٦٠ .
(٢) سورة المنافقون : آية ٩ .
(١) سورة الماعون : آية ٤ ، ٥ .

الله عز وجل : « **الذين هـــم عن صــلاتهم ســاهون** » قال هـــم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها » ، وأبو يعلى بسند حسن عن مصعب بن سعد قال قلت لأبى : يا أبتــاه أرأيت قــوله تعالى : « **والذين هــم عن صــلاتهم ساهون** » أينا لا يســهو أينا لا يحــدث نفســه ، قال ليس ذاك انمــا هو إضاعة الوقت • والويل شــدة العذاب وقيل واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حــره فهو مسكن من يتهاون بالصــلاة ويؤخرها عن وقتها الا أن يتوب الى الله تعالى ويندم على ما فرط •

وابن حبان فى صحيحه « من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله وماله »• والشيخان والأبعة « الذى تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهــله وماله » ، زاد ابن خزيمة فى صحيحه قال مالك تفسيره ذهاب الوقت، والنسائى «من الصلاة صلاة من فاتته فكأنما وتر أهله وماله يعنى العصر » ، ومســـلم والنسائى « إن هــذه الصــلاة يعنى العصر عرضت على من كان قبلكم فضيعوها فمن حافظ منكم اليوم عليها كان له أجــره مرتين ولا صــلاة بعدها حتى يطلع الشاهد » أى النجم • وأحمد والبخارى والنسائى «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله » ، وأحمد بإسناد صحيح وابن أبى شيبة « من ترك صلاة العصر متعمدا حتى تفوته فقد حبط عمله » ، وابن أبى شيبة مرسلا « من ترك العصر حتى تغيب الشمس من غير عــذر فقد حبط عمله » ، وعبد الرزاق « لأن يوتر أحدكم أهله وماله خــير له من أن يفوته وقت صلاة العصر » • والطبرانى وأحمد « من ترك صلاة العصر متعمدا حتى تغرب الشمس فكأنما وتر أهله وماله » ، والشافعى والبيهقى « من فاتته الصلاة فكأنما أوتر أهله وماله » •

والبخارى عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال « كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه هل رأى أحد منكم رؤيا فيقص عليــه ما شاء الله أن يقص وأنه قال لنا ذات غداة إنه أتانى الليلة آتيان وانهما انبعثا بى وأنهما قالا لى انطلق وإنى انطلقت معهما وأنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوى بالصخرة لرأســه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر ، أى فيتدحرج فيأخذه ، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعله فى المرة الأولى • قال قلت لهما سبحان الله ما هذا قالا لى انطلق انطلق •

فأتينا على رجل مستلق على قفاه وإذا آخر قائم عليه بكلوب من

حديد وإذا هـو يأتى أحد شقى وجهه فيشرشر أى يشق شدقه الى قفاه ومنخره إلى قفاه وعيناه إلى قفاه . قال وربما قال أبو رجاء فيشق ، قال ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعـل به مثل ما فعل بالجانب الأول ، قال فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعـود عليه فيفعل مثل ما فعل فى المرة الأولى ، قال قلت سبحان الله ما هـذا قالا لى انطلق انطلق .

فانطلقنا فأتينا على مثل التنور ، قال فأحسب أنه كان يقول فاذا فيه لغط وأصوات قال فاطلعنا عليـه فإذا فيه رجال ونسـاء عـراة ، وإذا هم يأتيهم لهب من أسـفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضووا أى بفتح المعجمتين وسكون الواوين صياح مع انضمام وفـزع . قات قلت ما هؤلاء قالا لى انطلق انطلق .

قال فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أحمـر مثل الدم وإذا هو فى النهر رجل سابح يسبح ، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة فيلقمه حجرا فينطلق فيسبح ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغر أى بفاء فمعجمه مفتوحتين فتح فاه فألقمه حجرا . قلت لهما ما هذه قالا لى انطلق انطلق .

فانطلقا فأتينا على رجل كريه المرآه كأكره ما أنت راء رجلا مرئيا واذا عنده نار يحشها (أى بمهملة مضـمومة فمعجمة) يوقدها ويسـعى حولها ، قال قلت لهما ما هذا قالا لى انطلق انطلق .

فانطلقنا على روضة معتمة أى طويلة النبات من أعتم إذا طال فيهـا من كل نور الربيع وإذا بين ظهرانى الروضة رجل طوال لا أكاد أرى رأسه طولا فى السماء وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم ، قال قلت ما هذا ما هؤلاء قالا لى انطلق انطلق .

فانطلقا فأتينا على دوحـة عظيمة لم أر دوحة قط أعظم ولا أحسن منها قالا لى أرق فيها فارتقينا فيهـا إلى مدينة مبنيـة بلبن ذهب ولبن فضة ، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فتلقانا رجال ، شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشـطر منهم كأقبح ما أنت راء قـالا لهم اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر، قال وإذا النهر معترض يجرى كأن ماءه المحض أى الخالص فى البياض ، فذهبوا فوقعوا ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك

السوء عنهم فصاروا فى أحسن صورة ، قالا لى هذه جنـة عدن وهـذا منزلك ، فسما أى ارتفع بصرى صعدا بضمتين إلى فوق فاذا قصر مثـل الربابة أى السحابة البيضاء قال قالا لى هذا منزلك ، قال قلت لهما بارك الله فيكما فذرانى فأدخله قالا أما الآن فلا وأنت داخله ، قال قلت لهما فانى رأيت منذ الليلة عجبـا فما هذا الذى رأيت ، قالا إنا سنخبرك .

أما الرجل الأول الذى أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينـام عن الصلاة المكتوبة .

وأما الرجل الذى أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعيناه إلى قفاه فانه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق .

وأما الرجال والنساء العراة الذين هم فى مثل بناء التنور فانهم الزناة والزوانى .

وأما الرجل الذى أتيت عليه يسبح فى النهر ويلقم الحجر فانه آكل الربـا .

وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يحشها ويسعى حولها فانه مالك خازن النـار .

وأما الرجل الطوال الذى فى الروضـة فانه ابراهيم ، أما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة .

فقال بعض المسلمين يارسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله ﷺ وأولاد المشركين .

وأما القـوم الذين كانوا شـطر منهم حسن وشـطر منهم قبيح فانهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم .

وفى حديث البزار قال ، ثم أتى النبى ﷺ على قوم ترضخ رؤوسهم بالصـخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء . قال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين تثاقلت رؤوسهم عن الصلاة .

وأخرج الخطيب وابن النجار علم الاسلام الصلاة فمن فرغ لها قلبه وحافظ عليها بحدها ووقتها وسننها فهو مؤمن . وابن ماجه قال : قال الله تعالى « افترضت على أمتك خمس صلوات وعهدت عندى عهدا أن من حافظ عليهن لوقتهن أدخلته الجنـة ومن لم يحافظ عليهن فلا عهـد له عنـدى » .

وأحمد والحاكم « من علم أن الصلاة عليه حق واجب وأداها دخل الجنــة » ، والترمــذى وقال حسن غريب والنســائى وابن ماجه « أول ما يحاسب به العبد يوم القيــامة من عمله الصلاة فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقــد خاب وخسر وان انتقص من فريضته قال الرب انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك » . والنسائى « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة وأول ما يقضى به بين الناس فى الدماء » .

وأحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيــامة صلاته فان كان أتمهــا كتبت له تامة وان لم يكن أتمها قال لملائكته انظروا هل تجدون لعبــدى من تطوع فيكملون بهــا فريضته ، ثم الزكاة كذلك ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك » . والطبرانى « أول ما يسئل عنه العبد يوم القيامة ينظر فى صلاته فإن صلحت فقــد أفلح وإن فسدت فقد خاب وخسر » .

وأحمد وأبو داود والنسائى والحاكم : « أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة فيقول ربنا عز وجل لملائكتــه وهو أعلم انظروا فى صلاة عبدى أتمها أم نقصها ، فإن كانت تامة كتبت تامة وإن كان انتقص منها شيئا قال انظروا هل لعبدى من تطوع فإن كان له تطوع أتموا لعبدى فريضته من تطوعه ، ثم يأخذ الأعمال على ذلكم » .

والطيالسى والطبرانى . والضياء فى المختارة : « أتانى جبريل من عند الله تبارك وتعالى فقال يا محمد إن الله عز وجل يقول إنى افترضت على أمتك خمس صــلوات فمن أوفى بهن على وضــــوئهن ومواقيتهن وركوعهن وسجودهن كان له بهن عهد أن أدخله الجنة ، ومن لقينى قد انتقص من ذلك شــيئا فليس له عندى عهــد إن شئت عذبته وإن شئت رحمتــه » .

والبيهقى « للصلاة ميزان فمن أوفى استوفى » . والديلمى « الصلاة تسود وجه الشيطان والصدقة تكسر ظهره ، والتحابب فى الله والتودد فى العلم يقطع دابــره ، فإذا فعلتم ذلك تبــاعد منكم كمطلع الشــمس من مغربها » . والترمذى وابن حبــان والحاكم « اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا ذوى أمركم تدخلوا جنة ربكم » .

وأحمد والشيخان وأبو داود والنسائى : « أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها ، ثم بر الوالدين ، ثم الجهاد فى سبيل الله » . والبيهقى عن عمر رضى الله عنه قال « جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله أى الأعمال أحب إلى الله فى الإسلام فقال الصلاة لوقتها ومن ترك الصلاة فلا دين له والصلاة عماد الدين » . ولذلك لما طعن عمر رضى الله عنه قيل له الصلاة يا أمير المؤمنين قال نعمت أما إنه لاحظ لأحد فى الإسلام أضاع الصلاة ، وصلى رضى الله عنه وجرحه يجرى دمه .

وروى الذهبى أنه ﷺ قال : « إذا صلى العبد الصلاة فى أول الوقت صعدت إلى السماء ولها نور حتى تنتهى الى العرش فتستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة وتقول له حفظك الله كما حفظتنى ، وإذا صلى العبد الصلاة فى غير وقتها صعدت إلى السماء وعليها ظلمة فإذا انتهت الى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها » .

وأخرج أبو داود أنه ﷺ قال « ثلاث لا يقبل الله منهم صلاتهم وذكر منهم من أتى الصلاة دبارا أى بعد أن تفوته » .

قال بعضهم وورد فى الحديث « أن من حافظ على الصلاة أكرمه الله بخمس خصال ، يرفع عنه ضيق العيش ، وعذاب القبر ، ويعطيه الله كتابه بيمينه ، ويمر على الصراط كالبرق ، ويدخل الجنة بغير حساب . ومن تهاون عن الصلاة عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة خمس فى الدنيا ، وثلاث عند الموت ، وثلاث فى قبره ، وثلاث عند خروجه من القبر .

فأما اللواتى فى الدنيا فالأولى تنزع البركة من عمره ، والثانية تمحو سيما الصالحين من وجهه ، والثالثة كل عمل يعمله لا يأجره الله عليه ، والرابعة لا يرفع له دعاء الى السماء ، والخامسة ليس له حظ فى دعاء الصالحين .

وأما التى تصيبه عند الموت فإنه يموت ذليلا ، والثانية يموت جائعا ، والثالثة يموت عطشانا ولو سقى بحار الدنيا ما روى من عطشه .

وأما التى تصيبه فى قبره فالأولى يضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه ، والثانية يوقد عليه القبر نارا فيتقلب على الجمر ليلا ونهارا ، والثالثة يسلط عليه فى قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع عيناه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم ، يكلم الميت فيقول أنا الشجاع الأقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول أمرنى ربى أن أضربك على تضييع

صلاة الصبح إلى طلوع الشمس ، وأضربك على تضيع صلاة الظهر إلى العصر ، وأضربك على تضييع العصر إلى المغرب ، وأضربك على تضييع صلاة المغرب إلى العشاء ، وأضربك على تضييع صلاة العشاء إلى الفجر ، فكلما ضربه ضربة يغوص فى الأرض سبعين ذراعا ، فلا يزال فى القبر معذبا الى يوم القيامة .

وأما التى تصيبه عند خروجه من القبر فى موقف القيامة فشدة الحساب ، وسخط الرب ، ودخول النار » .

وفى رواية فإنه يأتى يوم القيامة وعلى وجهه ثلاث أسطر مكتوبات ، السطر الأول يا مضيع حق الله ، السطر الثانى يا مخصوصا بغضب الله ، السطر الثالث كما ضيعت فى الدنيا حق الله فآيس اليوم أنت من رحمة الله .

وما ذكر فى هذا الحديث من تفصيل العدد لا يطابق جملة الخمس عشرة لأن المفصل أربع عشرة فقط . فلعل الراوى نسى الخامس عشر .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال إذا كان يوم القيامة يؤتى برجل فيوقف بين يدى الله عز وجل فيأمر الله به إلى النار ، فيقول يارب بماذا ، فيقول تعالى بتأخيرك الصلاة عن أوقاتها وحلفك بى كاذبا .

قال بعضهم أيضا وعن رسول الله ﷺ أنه قال يوما لأصحابه : « قولوا اللهم لا تدع فينا شقيا ولا محروما ، ثم قال ﷺ : أتدرون من الشقى المحروم قالوا ومن هو يارسول الله قال تارك الصلاة » .

قال أيضا يروى أنه أول ما تسود يوم القيامة وجوه تاركى الصلاة وإن فى جهنم واديا يقال له لملم فيه حيات كل حية بثخن رقبة البعير طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها فى جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه .

قال وروى أيضا أن امرأة من بنى إسرائيل جاءت إلى موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر النبيين ، فقالت يانبى الله أذنبت ذنبا عظيما وقد تبت إلى الله تعالى فادع الله أن يغفر لى ذنبى ويتوب على ، فقال لها موسى وماذنبك ، قالت يانبى الله زنيت وولدت ولدا فقتلته ، فقال لها موسى صلى الله على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام أخرجى يافاجرة لا تنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك فخرجت من عنده منكسرة القلب فنزل جبريل عليه السلام وقال يا موسى الرب تعالى يقول لك لم رددت

التائبة يا موسى أما وجدت شرا منها قال موسى يا جبريل ومن شر منها قال من ترك الصلاة عامدا متعمدا •

وقال أيضا روى عن بعض السلف أنه دفن أختا له ماتت فسقط منه كيس فيه مال فى قبرها ولم يشعر به حتى انصرف عن قبرها ثم تذكره فرجع الى قبرها فنبشه بعد ما انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها نارا فرد التراب عليها ورجع الى أمه باكيا حزينا فقال يا أماه أخبرينى عن أختى وما كانت تعمل قالت وما سؤالك عنها قال يا أماه رأيت قبرها يشتعل عليها نارا قال فبكت وقالت يا ولدى كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها فكيف حال من لا يصلى فنسأل الله تعالى أن يعيننا على المحافظة عليها بكمالاتها فى أوقاتها انه جواد كريم رؤوف رحيم •

الباب الخمسون

فى بيان عرصات جهنم وعذابها

قال الله تعالى : ((**لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم**)) والمراد بالجزء هنا الحزب والطائفة والفريق ، وقيل المراد بالأبواب الأطباق طبق فوق طبق • قال ابن جريج النار سبع دركات وهى جهنم ، ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم السعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية • وأعلاها للموحدين ، والثانية لليهود ، والثالثة للنصارى ، والرابعة للصابئين ، والخامسة للمجوس ، والسادسة للمشركين ، والسابعة للمنافقين ، فجهنم أعلى الطبقات ثم ما بعدها تحتها • ثم كذلك •

قيل والمعنى أن الله تعالى يجزىء أتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل جزء وقسم دركة من النار والسبب فيه أن مراتب الكفر والمعاصى مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم فى النار ، وقيل جعلت سبعة على وفق الأعضاء السبعة من العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لأنها مصادر السيئات فكانت مواردها الأبواب السبعة •

وعن على رضى الله عنه قال أطباق جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيملأ الأول ثم الثانى ثم الثالث حتى تملأ كلها •

---

(١) سورة الحجر ، آية : ٤٤ •

وأخرج البخارى فى تاريخه والترمذى عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : « لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمتى » .
وروى الطبرانى فى الأوسط أن جبريل جاء الى النبى ﷺ فى حين غير حينه الذى كان يأتيه فيه ، فقام إليه رسول الله ﷺ فقال يا جبريل مالى أراك متغير اللون فقال ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بمنافخ النار ، فقال رسول الله ﷺ يا جبريل صف لى النار أو انعت جهنم ، فقال جبريل إن الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ، ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ، ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت ، فهى سوداء مظلمة لا يهدأ شررها ولا يطفأ لهبها والذى بعثك بالحق نبيا لو أن قدر ثقب إبرة فتح من جهنم لمات من فى الأرض كلهم جميعا ، والذى بعثك بالحق لو أن خازنا من خزنة جهنم برز الى أهل الدنيا لمات من فى الأرض كلهم جميعا . من قبح وجهه ونتن ريحه ، والذى بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التى نعت الله فى كتابه وضعت على جبال الدنيا لارفضت وماتقارت حتى تنتهى الى الأرض السفلى . فقال رسول الله ﷺ حسبى ياجبريل لا ينصدع قلبى فأموت ، قال فنظر رسول الله ﷺ الى جبريل وهو يبكى فقال تبكى يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذى أنت به ، فقال ومالى لا أبكى وأنا أحق بالبكاء لعلى أكون فى علم الله على غير الحالة التى أنا عليها وما أدرى لعلى أبتلى بما ابتلى به ابليس ، فقد كان من الملائكة وما أدرى لعلى أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت ، قال فبكى رسول الله ﷺ وبكى جبريل ، فمازالا يبكيان حتى نودى أن ياجبريل ويامحمد ان الله تعالى قد آمنكما أن تعصياه فارتفع جبريل وخرج رسول الله ﷺ فمر بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون فقال أتضحكون ووراءكم جهنم ، فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا وبكيتم كثيرا ولما أسغتم الطعام والشراب ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون الى الله عز وجل . فنودى يا محمد لا تقنط عبادى انما بعثتك مبشرا ولم أبعثك معسرا . فقال ﷺ سددوا وقاربوا » .

وروى الإمام أحمد أنه ﷺ قال لجبريل : « مالى لا أرى ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار » . وروى مسلم « أن رسول الله ﷺ قال : يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » .

الباب الواحد والخمسون
في بيـــان عـــذاب جهنم ايضـــا

روى أبو داود والنسائي والترمذي وصححه وما معناه : « لما خلق الله تعالى الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة ، فقال انظر اليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فجاء ونظر إليها والى ما أعد الله لأهلها فيها فرجع اليه فقال وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فأمر بها فحفت بالمكاره فقال : انى خشيت ألا يدخلها أحد فقال ارجع إلى النار فانظر الى ما أعددت لأهلها فيها فاذا هي يركب بعضها بعضا فرجع إليه ، فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها ، فأمر بها فحفت بالشهوات ، فقال ارجع إليها فرجع اليها ، فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها .

والبيهقي بسند لا بأس به عن ابن مسعود رضى الله عنه فى قوله تعالى « **انها ترمي بشرر كالقصر** »(١) اما انى لست اقول كالشجر ولكن كالحصون والمدائر » وأحمد وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه : « ويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره » . والترمذي « ويل واد بين جبلين يهوى فيه الكافر سبعين خريفا قبل أن يبلغ قعره . وابن ماجه واللفظ له والترمذي تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة ، قيل يا رسول الله من يدخله قال أعد للقراء المرائين بأعمالهم وان من أبغض القراء الى الله الذين يزورون الأمراء ، الجورة . والطبرانى أن فى جهنم لواديا تستعيذ جهنم من ذلك الوادى كل يوم أربعمائة مرة أعد للمرائين من أمة محمد ﷺ . وابن أبى الدنيا ان فى النار سبعين ألف واد فى كل واد سبعون ألف شعب فى كل شعب سبعون ألف حجر فى كل حجر حية تأكل وجوه أهل النار . والبخارى فى تاريخه بسند فيه نكارة ان فى جهنم سبعين ألف واد فى كل واد سبعون ألف شعب ، فى كل شعب سبعون ألف دار ، فى كل دار سبعون ألف بيت فى كل بيت سبعون ألف بئر فى كل بئر سبعون ألف ثعبان فى شدق كل ثعبان سبعون ألف عقرب لا ينتهى الكافر أو المنافق

---

(١) سورة المرسلات : آية ٣٢ .

حتى يواقع ذلك كله . والترمذى بسند فيه انقطاع أن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوى فيها سبعين خريفا وما تفضى الى قرارها .

وكان عمر رضى الله عنه يقول أكثروا ذكر النار فان حرها شديد وان قعرها بعيد وان مقامعها حديد . والبزار وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه والبيهقى لو أن حجرا قذف به فى جهنم لهوى بها سبعين خريفا قبل أن يبلغ قعرها . ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنا عند النبى ﷺ فسمعنا وجبة فقال النبى ﷺ أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسله الله فى جهنم منذ سبعين خريفا فالآن حين انتهى الى قعرها . والطبرانى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمع رسول الله ﷺ صوتا هاله فأتاه جبريل عليه السلام فقال رسول الله ﷺ : ما هذا الصوت يا جبريل ، فقال هذه صخرة هوت من شفير جهنم من سبعين عاما فهذا حين بلغت قعرها فأحب الله تعالى أن يسمعك صوتها . فما رؤى رسول الله ﷺ ضاحكا ملء فيه حتى قبضه الله عز وجل . وأحمد والترمذى وحسنه لو أن رصاصة مثل هذه وأشار الى الجمجمة أرسلت من السماء الى الأرض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها . وأحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه لو أن مقمعا من حديد جهنم وضع فى الأرض فاجتمع الثقلان ما أقلوه من الأرض ، والحاكم وصححه لو ضرب الجبل بمقمع من حديد من جهنم لتفتت فصار رمادا ، (المقمع المطراق وقيل السوط) وابن أبى الدنيا أن الحجر الواحد منها لو وضع على جبال الدنيا لذابت منه وأن مع كل انسان منهم حجرا وشيطانا . والحاكم وصححه أن الأرضين السبع بين كل أرض ، والتى تليها مسيرة خمسمائة عام فالعليا منها على ظهر حوت قد التقى عرفاه فى السماء والحوت على صخرة والصخرة بيد ملك والثانية سجن الريح فلما أراد الله تعالى أن يهلك عاد أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلكهم قال يارب أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور ، قال له الجبار تبارك وتعالى اذن تكفأ الأرض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهى التى قال الله فى كتابه العزيز

« **ما تذر من شيء أتت عليـــه الا جعلته كالرميم** »(١) ، والثالثة فيهـــا حجارة جهنم ، والرابعة فيها كبريت جهنم ، قالوا يا رســول الله ألِلنار كبريت قال : نعم والذى نفسى بيـــده إن فيهـا لأودية من كبريت لو أرسل فيها الجبال الرواسى لماعت ، والخامســة فيها حيـــات جهنم ان أفواهها كالأودية تلسع الكافر اللســعة فلا يبقى منه لحـم على وضم ، والسادسة فيه عقارب جهنم ان أدنى عقــرب منها كالبغال الموكفة تضرب الكافر ضربة تنسيه ضربتها حــر جهنم ، والسابعة فيها ابليس مصــفد بالحديد يد أمامه ويد خلفــه فاذا أراد الله أن يطلقــه لمن شـــاء من عباده أطلقه .

وأحمد والطبرانى وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه ان فى النار حيات كأمثال أعناق البخت(٢) تلسع إحداهن اللسعة فيجــد حرها سبعين خريفا ، وان فى النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموها أربعين سنة . والترمذى وابن حبان فى صـحيحه والحاكم وصــححه عنه ﷺ فى قــوله تبارك وتعالى : « **كالمهــل** » (٣) قال كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه والترمذى وقال حسن غـريب صـحيح أن الحميـم ليصـب على رأس الكافـر فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهــو الصهر ثم يعــاد كما كــان والحميم الماء الحــار الذى يحرق . وقال الضحاك الحميم يغلى منــذ خلق الله السموات والأرض الى يوم يسقونه ويصب على رؤوسهم ، وقيل هــو ما يجتمع من دموع أعينهم فى حياض النــار فيسقونه ، وقيل غــير ذلك وهــو المذكور فى قوله تبارك وتعــالى : « **وســـقوا مــاء حميما فقطــع امعـــاءهم** » (٤) وأحمد والترمذى وقال غريب والحاكم وقال صحيح على شرط مســلم عنه ﷺ فى قوله تعالى : « **ويســقى من ماء صديد * يتجرعه ولا يكــاد يسيغه** »(٥) قال يقــرب الى فيــه فيكرهه فاذا دنا منــه شــوى وجهــه

---

(١) سورة الذاريات : آية ٤٢ .

(٢) الابل الخرسانية والتى تشتهر بالضخامة .

(٣) سورة الكهف : آية ٢٩ .

(٤) سورة محمد : آية ١٥ .   (٥) سورة ابراهيم : آية ١٦،١٧ .

ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره . وقال الله عز وجل : ((**وسقوا مـاء حميما فقطع امعاءهم**)) وقال جـل ذكره : ((**وإن يسـتغيثوا يغـاثوا بماء كالمهل يشوى الوجـوه بئس الشراب**))(١) وأحمد والحاكم وصححه لو أن داوا من غسـاق يهراق فى الدنيا لأنتن أهل الدنيـا والغسـاق وهو المذكور فى قوله تعالى : ((**فليذوقوه حميم غساق**))(٢) وقوله تعـالى : ((**الا حميما وغسـاقا**))(٣) واختلف فيـه فعند ابن عباس رضى الله عنهما هو ما يسيل من جلد الكافر ونحوه وعند آخرين هـو صديدهم ، وقال كعب هـو عين فى جهنم يسيل اليها حمة كل ذات حمة من حيـة أو عقرب أو غـير ذلك فيستنقع فيؤتى بالآدمى فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج وقد سـقط جلده ولحمه عن العظـام ويتعلق جلده ولحمه فى عقبيه وكعبيه فيجر لحمه كما يجر المـرء ثوبه . والترمذى وقال حسن صـحيح انه ﷺ قـرأ هذه الآية : ((**اتقـوا الله حـق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسـلمون**))(٤) فقال ﷺ لو ان قطـرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيـا لأفسدت على أهـل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ، وفى رواية فكيف بمن ليس له طعام غيره ، وصح عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قـوله تعـالى : ((**وطعاما ذا غصـة**))(٥) شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج ، والشيخان ما بين منكبى الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع ، والمنكب مجمع رأس الكتف والعضد ، وأحمد ضرس الكافر مثل أحـد ، وفخذه مثل البيضاء أى وهـو جبل ومقعده من النار كما بين قديد ومكة أى نحو ثلاثة أيام وكثافة جـلده اثنان وأربعون ذراعا بذراع الجبـار أى ملك باليمن له ذراع معروف المقدار . كذا قال ابن حبان وغـيره . وقيل ملك بالعجم . ومسـلم ضرس أو قال ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث . والترمذى ولفظه قال رسول الله ﷺ : ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار مسـيرة ثلاث من الربذة أى كمـا بين المدينة والربذة . وأحمد بسند جيد : ضرس الكافر يوم القيـامة مثـل أحد وعرض جلده سبعون ذراعا وعضـده مثل البيضاء وفخذه مثـل

---

(١) سورة الكهف : آية ٢٩ . (٢) سورة ص : آية ٥٧ .
(٣) سورة النبـأ :آية ٢٥ . (٤) سورة آل عمران : اية ١٠٢ .
(٥) سورة المزمل : آية ١٣ .

ورقان ومقعده من النار ما بيني وبين الربذة • وفي رواية ومقعـده من النار مسيرة ثلاث مثـل الربذة • وأحمد والطبراني واسناده قريب من الحسن كما قاله الحافظ المنذري • والترمذي عن الفضـيل بن يزيد أن الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطأه الناس ، والفضـيل ابن يزيد عن أبي العجلان أن الكافر ليجـر لسانه فرسخين يوم القيـامة يتوطأه الناس • أخرجه البيهقي وغيره وهو الصواب • قال النبي ﷺ : بعظم أهل النار في النـار حتى أن بين شـحمة أذن أحـدهم الى عاتقه مسيرة سبعمائة عـام وان غلظ جلده سبعون ذراعا وان ضرسه مثـل أحـد • وأحمد بسند صحيح والحاكم وصححه • عن مجاهد قال ابن عباس أتدري ما سـعة جهنم قلت لا قال أجـل والله ما تدري أن بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسـيرة سبعين خريفا تجـري فيه أودية القيح والدم قلت أنهار قال لا بل أودية •

البـاب الثـاني والخمسوون
في بيـان فضـل الخـوف من الذنب

اعلم أن أعظـم زاجـر عن الذنوب هو خوف الله تعالى وخشية انتقامه وسـطوته وحذر عقابه وغضبه وبطشه : ((**فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم**))(١) •

جاء أنه ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله يارسول الله وأخاف ذنوبي • فقال رسول الله ﷺ لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو وآمنـه مما يخاف • وعن وهب بن الورد قال كان عيسى صـلى الله على نبينا وعليـه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وسلم يقول حب الفردوس وخشية جهنم يورثان الصبر عن المصيبة ويبعدان العبد عن لذات الدنيا وشهواتها ومعاصيها • وعن الحسن قال والله لقـد مضى بين أيديكم أقوام لو أنفق أحدهم عدد الحصى ذهبـا يخشى أن لا ينجو لعظم الذنب في نفسه • وقال رسول الله ﷺ هل تسمعون ما أسمع أطت السماء وحـق لها أن تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصـابع الا وملك سـاجد لله تعالى أو قائم أو راكع ، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم أو لصعدتم الى الصعدات أي الجبال تجأرون الى الله تعالى خـوفا من

(١) سورة النور : آية ٦٣ •

عظيم سطوته وشدة انتقامه . وفى رواية لا تدرون تنجون أو لا تنجون . وقال بكر بن عبد الله المزنى من أتى الخطيئة وهو يضحك دخل النار وهو يبكى . وفى الحديث لو يعلم المؤمن بكل الذى عند الله من العذاب لم يأمن النار . وفى الصحيحين قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه « **وأنذر عشيرتك الأقربين** »(١) فقال يا معشر قريش اشتروا انفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس عم رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا ، يافاطمة بنت محمد سلينى من مالى ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئا . وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت يارسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون ، يارسول الله هو الذى يزنى ويسرق ويشرب الخمر وهو يخاف الله . قال لا يا بنت أبى بكر يا بنت الصديق ولكنه الرجل يصلى ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يتقبل منه . رواه أحمد . وقيل للحسن البصرى يا أبا سعيد كيف نصنع بمجالسة قوم يحوثوننا عن الرجاء حتى تكاد قلوبنا تطير ، فقال له انك والله ان تصحب قوما يخوفونك حتى تدرك أمنا خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف . ولما طعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقربت وفاته قال لابنه ويلك ضع خدى على الأرض لا أم لك ، وويلى وأى ويلى ان لم يرحمنى . وقال له ابن عباس ما هذا الخوف يا أمير المؤمنين وقد فتح الله بك الفتوح ومصر بك الأمصار وفعل بك وفعل ، قال وددت أن أنجو لا على ولا لى . وفى رواية لا أجرا ولا وزرا . وكان زين العابدين بن على ابن الحسين رضى الله عنهم اذا توضأ وفرغ من وضوئه أخذته رعدة فقيل له فى ذلك ، فقال ويحكم أتدرون الى من أقوم ولمن أريد أن أناجى .

وقال أحمد بن حنبل الخوف يمنعنى من أكل الطعام والشراب فما أشتهيه . وفى الصحيحين أنه ﷺ ذكر من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله ، رجلا ذكر الله أى وعيده وعقابه خاليا ففاضت عيناه أى خوفا مما جناه واقترفه من المخالفات والذنوب . وفى حديث ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال عينان لا تمسهما النار عين بكت فى جوف الليل من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله

(١) سورة الشعراء : آية ٢١٤ .

تعالى وفى حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال كل عين باكية يوم القيامة الا عينا غضت عن محارم الله وعينا سهرت فى سبيل الله وعينا يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى • وأخرج الترمذى وقال حسن صحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه،وقال : قال رسول الله ﷺ لا يلج أى لا يدخل النار رجل بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن فى الضرع ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم • وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب الى من أن أتصدق بألف دينار • وقال عون بن عبد الله بلغنى أنه لا تصيب دموع الانسان من خشية الله مكانا من جسده الا حرم الله ذلك المكان على النار ، وكان لصدر رسول الله ﷺ أزيز كأزيز المرجل من البكاء أى فوران وغليان كغليان القدر على النار • وقال الكندى البكاء من خشية الله تطفىء الدمعة منه أمثال البحار من النار • وكان ابن السماك يعاتب نفسه ويقول لها تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين ومع ذلك الجنة تطلبين أن تدخليها هيهات هيهات للجنة قوم آخرون ولهم أعمال غير ما نحن عاملون •

وعن سفيان الثورى قال دخلت على جعفر الصادق فقلت له يا ابن رسول الله أوصنى ، قال يا سفيان لا مروءة لكذوب ، ولا راحة لحسود ، ولا أخاء لملول ، ولا سؤدد لسىء الخلق ، يا ابن رسول الله زدنى ، قال يا سفيان كف عن محارم الله تكن عابدا وارض بما قسم الله لك تكن مسلما ، واصحب الناس بما تحب أن يصحبوك به تكن مؤمنا ، ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره أى لحديث المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وشاور فى أمرك الذين يخشون الله ، قلت يا ابن رسول الله زدنى ، قال يا سفيان من أراد عزا بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذلك معصية الله الى طاعة الله • قلت يا ابن رسول الله زدنى ، قال أدبنى أبى بثلاث قال لى أى بنى ان من يصحب صاحب السوء لا يسلم ، ومن يدخل مدخل السوء يتهم ، ومن لا يملك لسانه يندم • وقال ابن المبارك سألت وهيب بن الورد أيجد طعم العبادة من يعصى الله تعالى ، قال لا ولا من يهم بمعصية الله تعالى • وقال الامام أبو الفرج بن الجوزى الخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذا فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعصية ويحث على الطاعة • وكيف لا يكون الخوف اذا

فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة والأعمال الفاضلة التى يتقرب بها الى الله سبحانه وتعالى كما علم من الآيات والاخبار كقوله تعالى : ((**هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون**))(١) وقوله تعالى : ((**رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه**))(٢) وقوله تعالى : ((**وخافون ان كنتم مؤمنين**))(٣) وقال تعالى : ((**ولمن خاف مقام ربه جنتان**))(٤) وقال تعالى : ((**سيذكر من يخشى**))(٥) وقال تعالى : ((**انما يخشى الله من عباده العلماء**)) (٦) وكل ما دل من الآيات والأحاديث على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لأن الخوف ثمرة العلم • وأخرج ابن أبى الدنيا أنه ﷺ قال : اذا اقشعر جسد العبد من مخافة الله عز وجل تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها •

وقال ﷺ قال الله سبحانه وتعالى : ((**وعزتى لا اجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين أن امننى فى الدنيا اخفته يوم القيامة وان خافنى فى الدنيا امنته يوم القيامة**)) ، وقال ابو سليمان الدارانى كل قلب ليس فيه خوف الله فهو خراب وقد قال الله تعالى : ((**فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون**))(٧) •

الباب الثالث والخمسون
فى بيان فضل التوبة

جاء فى فضل التوبة آيات كثيرة كقوله تعالى : ((**وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**)) (٨) وقوله : ((**والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا * الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما * ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا**))(٩) •

والأحاديث فى ذلك كثيرة أخرج مسلم أن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع

(١) سورة الأعراف : آية ١٥٤ .　(٢) سورة البينة : آية ٨ .
(٣) آل عمران : آية ١٧٥ .　(٤) سورة الرحمن : آية ٤٦ .
(٥) سورة الاعلى : آية ١٠ .　(٦) سورة فاطر : آية ٢٨ .
(٧) سورة الأعراف : آية ٩٩ .　(٨) سورة النور : آية ٣١ .
(٩) سورة الفرقان : آية ٦٨ — ٧١ .

الشمس من مغربها • والترمذي وصححه ان من قبــل المغرب البابا مسيرة عرضه أربعون عاما أو سبعون سنة فتحه الله عز وجل للتوبة يوم خلق السموات والأرض فلا يغلقه حتى تطلع الشمس منه • وصــحح أيضــا ان الله تعالى جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبـــله . وذلك قـــوله تعالى : ((**يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها**))(١) الآية . قيــل وليس فى هــذه الرواية ولا الأولى تصريح برفعه كما صرح به البيهقى •• انتهى • ويجاب بأن مثل هذا لا يقال من قبل الرأى فله حكم المرفوع ، والطبرانى بسند جيد للجنة ثمانية أبواب سبعة مغلقة وباب مفتوح للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه ، وابن ماجه بسند جيد لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتــاب الله عليكم ، والحاكم وصححــه : من ســعادة المــرء أن يطول عمره ويرزقه الله الانابة • والترمذى وابن ماجه والحاكم وصححه : كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ، والشيخان أن عبدا أصــاب ذنبا فقال يارب انى أذنبت ذنبا فاغفره لى فقال له ربــه علم عبدى أن له ربــا يغفــر الذنب ويأخــذ به فغفر له ، ثم مكث ما شاء الله ثم أصــاب ذنبــا آخر وربمــا قال أذنب آخــر فقال يارب انى أذنبت ذنبا آخــر فاغفره لى فقــال ربــه علم عبــدى أن له ربــا يغفــر الذنب ويأخذ به فغفر له ، ثم مكث ما شاء الله تعالى ثم أصــاب ذنبــا آخــر وربما قال أذنبت ذنبا آخر فقال يارب انى أذنبت ذنبــا آخــر فاغفــره لى فقال ربه علم عبدى أن له ربا يغفــر الذنب ويأخــذ به ، فقال ربه غفرت لعبدى فليعمل ما شاء • قال المنذرى قوله فليعمل ما شــاء معناه والله أعلم أنه ما دام كلما أذنب ذنبــا اســتغفر وتاب منه ولم يعد اليــه بدليل قوله ثم أصاب ذنبا آخــر فليعمل اذا كان هــذا دأبه ما شــاء لأنه كلما أذنب كانت توبته واستغفاره كفــارة لذنبه فلا يضره لا أن المعنى أنه يــذنب الذنب فيســتغفر منــه بلســانه من غير اقــلاع ثم يعــاوده فان هذه توبة الكذابين •

وروى جماعة وصححوه أن المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبــه فان تاب ونزع واستغفر صقل منها وان زاد زادت حتى يغلق بها قلبه فذلك الران الذى ذكــر الله فى كتابه : ((**كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**))(٢) والترمذى وحســنه ان الله يقبل توبة العبد ما لم

---

(١) سورة الانعام : آية ١٥٨ . (٢) سورة المطففين : آية ١٤ .

يغرغر أى تبلغ روحه حلقومه • والطبرانى بسند حسن لكن فيه انقطاع • والبيهقى بسند فيه مجهول عن معاذ قال أخذ بيدى رسول الله ﷺ فمشى ميلا ثم قال يا معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة ورحم اليتيم وحفظ الجوار وكظم الغيظ ولين الكلام وبذل السلام ولزوم الامام والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وقصر الأمل وحسن العمل ، وأنهاك أن تشتم مسلما أو تصدق كاذبا أو تكذب صادقا أو تعصى اماما عادلا وأن تفسد فى الأرض يا معاذ اذكر الله عند كل شجر وحجر وأحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية • والأصفهانى اذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب •

والأصفهانى أيضا النادم ينتظر من الله الرحمة والمعجب ينتظر المقت واعلموا عباد الله أن كل عامل سيقدم على عمله ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسن عمله وسوء عمله وانما الأعمال بخواتيمها والليل والنهار مطيتان فأحسنوا السير عليهما الى الآخرة واحذروا التسويف فان الموت يأتى بغتة ولا يغترن أحدكم بحكم الله عز وجل فان النار أقرب الى احدكم من شراك نعله . ثم قرا رسول الله ﷺ : ((**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره**[1])) ((**ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**))[2] والطبرانى بسند صحيح لكن فيه انقطاع : التائب من الذنب كمن لا ذنب له • ورواه البيهقى من طريق آخر وزاد : والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزىء بربه • وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه : الندم توبة أى أنه معظم أركانها كخبر الحج عرفة •

ولابد فى الندم أن يكون من حيث المعصية وقبحها وخوف عقابها بخلافه لنحو هتك أو ضياع مال على المعصية أو نحو ذلك • والحاكم وصححه لكن فيه ساقط • علم الله من عبد ندامة على ذنب الا غفر له قبل أن يستغفره منه •ومسلم وغيره والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم ولجاء بقوم غيركم يذنبون ويستغفرون الله فيغفر لهم • ومسلم ليس أحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه ، وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ، وليس أحد

---

(١) سورة الزلزلة : آية ٧ .　　(٢) سورة الزلزلة : آية ٨ .

أحب اليه العذر من الله ، من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل ومسلم أن امرأة من جهينة أتت رسول الله ﷺ وهي حبلى من الزنا . فقالت يا رسول الله أصبت حدا فأقمه علي . فدعا نبي الله ﷺ وليها ، فقال أحسن اليها فاذا وضعت فأتني بها ففعل فأمر بها نبي الله ﷺ فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها . فقال عمر تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت ، قال ﷺ لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل مما جادت بنفسها لله عز وجل . والترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يحدث حديثا لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين حتى عد سبع مرات ولكن سمعته أكثر ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : كان الكفل من بني اسرائيل لايتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارا على أن يطأها ، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت ، فقال ما يبكيك أكرهتك قالت لا ولكنه عمل ما عملته قط وما حملني عليه الا الحاجة ، فقال تفعلين أنت هذا وما فعليته قط اذهبي فهي لك وقال لا والله لا أعصى بعدها أبدا فمات من ليلته فأصبح مكتوبا بأعلى بابه ان الله قد غفر للكفل .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كانت قريتان احداهما صالحة والأخرى طالحة فخرج رجل من القرية الطالحة يريد القرية الصالحة فأتاه الموت حيث شاء الله ، فاختصم فيه الملك والشيطان ، فقال الشيطان والله ما عصاني قط ، وقال الملك انه قد خرج يريد التوبة . فقضى الله بينهما أن ينظر الى أيهما أقرب فوجدوه أقرب الى القرية الصالحة بشبر فغفر له . قال معمر وسمعت من يقول قرب الله اليه القرية الصالحة .

والشيخان[1] كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه ، فقال له انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء ، فانطلق حتى اذا بلغ نصف الطريق أتاه

---

(١) أي البخاري ومسلم — رحمهما الله .

الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العــذاب • فقالت ملائكــة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعــالى ، وقالت ملائكة العــذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهــم ملك فى صــورة آدمى فجعلوه بينهم ، فقال قيسوا ما بين الأرضين فالى أيتهما هو أدنى كان له فقاسوا فوجدوه أدنى الى الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة •

وفى رواية فكان الى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلهــا • وفى رواية فأوحى الله تعالى الى هذه أن تباعدى والى هذه أن تقربى وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه الى هــذه أقرب بشــبر فغفر له • والطبرانى بسند جيد أن رجــلا أسرف على نفســه فلقى رجــلا فقال ان الآخــر قتــل تسعة وتسعين نفســا كلهم ظلما فهل تجد لى من توبة • قال لا فقتله وأتى آخر فقال ان الآخر قتــل مائة نفس كلهم ظلما فهل تجــد لى من توبة ؟ فقال ان حدثتك أن الله لا يتوب على من تاب كذبتك ههنا قــوم يتعبدون فأتهم تعبد الله معهم ، فتوجه اليهم فمات على ذلك فاختصمت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب : فبعث الله اليهم ملكا فقال قيسوا ما بين المكانين فأيهم كان أقرب فهو منهم فوجدوه أقرب الى قرية التوابــين بأنملة فغفــر له وفى رواية ثم أتى رجــلا آخــر فقال انى قتلت مائة نفس فهــل تجد لى من توبة فقال أسرفت ما أدرى ولكن هنا قريتــان قرية يقال لهــا نصرة والأخــرى يقال لهــا كفرة ، فأما أهــل نصرة فيعملون عمل أهل الجنة لا يثبت فيها غيرهم ، وأما أهــل كفرة فيعملون عمل أهل النار لا يثبت فيها غيرهم ، فانطلق الى نصرة فان ثبت فيهــا وعملت عمل أهلها فلا شك فى توبتك ، فانطلق يريدها حتى اذا كان بــين القريتين أدركه الموت ، فســألت الملائكــة ربها عنه فقال انظــروا الى أى القريتين كان أقرب فاكتبوه من أهلها فوجدوه أقرب الى نصرة بقيد أنملة فكتب من أهلهــا •

البــاب الرابــع والخمســون
فى بيان النهى عن الظلم

قال الله تعــالى : ((**وســيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون**))(١) وقال ﷺ : الظلم ظلمات يوم القيامة • وقال ﷺ : من ظلم شبرا من أرض طوقه الله من سبع أرضين يوم القيامة • وفى بعض الكتب يقــول الله تعالى : **اشتد غضبى على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيرى** .

(١) سورة الشعراء : آية ٢٢٧ .

وما أحسن قول بعضهم :

لا تظلمن اذا مـــا كنت مقتـــدرا فالظلم يرجــع عقبــاه الى الندم
تنــام عينــاك والمظـلوم منتبـــه يدعـــو عليــك وعين الله لم تنم

وقــول الآخــر :

اذا ما الظلوم استوطأ الارض مركبا ولج غلــوا فى قبيـــح اكتســـابه
فكله الى صرف الزمــــان فــانه سير له ما لم يكن فى حســـابه

وقال بعض السلف لا تظلم الضعفاء فتكون من شرار الأقوياء • وقال أبو هريرة رضى الله عنه أن الحبارى لتموت هولا فى وكرها من ظلم ظالم • وقيل مكتوب فى التوراة ينادى مناد من وراء الحشر يعنى الصراط ، يا معشر الجبابرة الطغــاة ويا معشر المترفين الأشــقياء ان الله سيحلف بعزته أن لا يجاوز هذا الجسر اليوم ظلم ظالم • وعن جــابر رضى الله عنه قال لمــا رجعت مهاجرة الحبشة الى رسول الله ﷺ قال ألا تخبرونى بأعجب ما رأيتم فى أرض الحبشة • فقال قتيبة وكان منهم على يارسول الله بينما نحن يوما جلوس اذ مرت بنــا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلة من ماء ، فمرت بفتى منهم ، فجعــل احــدى يديه بين كتفيهــا ثم دفعهــا فخرت المرأة على ركبتيهــا وانكسرت قلتهــا ، فلما قامت التفتت اليه ثم قالت سوف تعلم يا غدر اذا وضع الله الكرسى فجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدى والأرجل بما كانوا يكســبون سوف تعلم ما أمرى وأمرك عنده غــدا • قال فقال رسول الله ﷺ انه قال : خمسة غضب الله عليهم ان شاء أمضى غضــبه عليهم فى الدنيــا والا ثوى بهم فى الآخرة الى النــار : أمير قوم يأخذ حقه من رعيتــه ولا ينصفهم من نفســه ولا يدفع الظلم عنهم ، وزعيم قــوم يطيعونه ولا يسوى بين القوى والضعيف ويتكلم بالهوى ، ورجــل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم ، ورجل استأجر أجــيرا فاستعمله ولم يوفه أجــره ، ورجل ظلم امرأة فى صــداقها • وعن عبد الله بن سلام رضى الله عنه أنه قال ان الله تعالى لمــا خلق الخلق واستووا على أقدامهم رفعــوا رؤوســهم الى الله وقالوا يارب مع من أنت ، قال مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقــه •

وعن وهب بن منبه رضى الله عنه : بنى جبــار من الجبابرة قصرا وشــيده فجاءت عجوز فقيرة فبنت الى جانبه شــيئا تأوى اليه فركب الجبار يوما وطاف حول القصر فرأى بناءها ، فقال لمن هــذا فقيــل

لامرأة فقيرة تأوى اليه فأمر بهدمه فهدم ، فجاءت العجوز فرأته مهدوما فقالت من هدمه فقيل لها الملك رآه فهدمه ، فرفعت العجوز رأسها الى السماء وقالت يارب أنا لم أكن حاضرة فأنت أين كنت . قال فأمر الله عز وجل جبريل أن يقلب القصر على من فيه فقلبه .

وقيل لما حبس بعض البرامكة وولده قال يا أبت بعد العز صرنا فى القيد والحبس ، قال يابنى دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عز وجل عنها . وكان يزيد بن حكيم يقول ما هبت أحدا قط هيبتى رجلا ظلمته وأنا أعلم أنه لا ناصر له الا الله يقول لى حسبى الله ، الله بينى وبينك .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال يجىء الظالم يوم القيامة حتى اذا كان على جسر جهنم فلقيه المظلوم وعرف ما فى ظلمه فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات فان لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا الدرك الأسفل من النار . وعن عبد الله بن أنيس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، أنا الملك الديان لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك أحدا ! قلنا يا رسول الله كيف وانما نأتى حفاة عراة غرلا بهما ؟ قال بالحسنات والسيآت جزاء وفاقا ولا يظلم ربك أحدا . وعنه ﷺ أنه قال : من ضرب سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة .

ومما ذكر أن كسرى اتخذ مؤدبا لولده يعلمه ويؤدبه فلما بلغ الولد الغاية فى الفضل والأدب استحضره المؤدب يوما وضربه ضربا وجيعا من غير جرم ولا سبب ، فحقد الولد على المعلم الى أن كبر ومات أبوه فتولى الملك بعده ، فاستحضر المعلم وقال له ما حملك على أن ضربتنى فى يوم كذا ضربا وجيعا من غير جرم ولا سبب ، فقال له المعلم اعلم أيها الملك أنك لما بلغت الغاية فى الفضل والأدب علمت أنك تنال الملك بعد أبيك فأردت أن أذيقك طعم الضرب وألم الظلم حتى لا تظلم أحدا بعد فقال له جزاك الله خيرا ثم أمر له بجائزة وصرفه .

الباب الخامس والخمسون
فى النهى عن ظلم اليتيم

قال تعالى : ((**إن الذين ياكلون أموال اليتامى ظلما إنما ياكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا**))(١) قال قتادة نزلت فى رجل من غطفان ولى مال ابن أخيه وهو صغير يتيم فأكله وقوله ظلما أى لأجله أو حال كونهم ظالمين خرج به أكلها بحق كأكل الولى بشروطه المقررة فى كتب الفقه . قال تعالى : ((**ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف**))(٢) اى بمقدار الحاجة فحسب أو بأن يأخذ قرضا أو بقدر أجرة عمله أو ان اضطر فان أيسر قضاه والا فهو فى حل . وقد نبه تعالى على تأكد حق الأيتام ومزيد الاعتناء به بقوله قبل هذه الآية : ((**وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا**))(٣) اذ المراد بشهادة السياق خلافا لمن حمل الآية على أنها فى الوصية بأكثر من الثلث أو نحو ذلك الحمل لمن كان فى حجره يتيم على أنه يحسن اليه حتى فى الخطاب فلا يخاطبه الا بنحو : يابنى ، مما يخاطب به أولاده ، ويفعل معه من البر والمعروف والاحسان والقيام فى ماله ما يجب أن يفعل بماله وبذريته من بعده فان الجزاء من جنس العمل ((**مالك يوم الدين**))(٤) أى الجزاء كما تدين تدان أى كما تفعل يفعل معك بينما الانسان آمن متصرف فى مال الغير وعلى أولاد غيره واذا بالموت قد حل به فيجزيه الله تعالى فى ماله وذريته وعياله وسائر تعلقاته بنظير ما فعله مع غيره ان خيرا فخير وان شرا فشر فليخش العاقل ربه ويتصرف على الأيتام الذين فى حجره بما يجب أن يتصرف ولى أولاده لو كانوا أيتاما عليهم فى ماله .

وجاء أن الله تعالى أوحى الى داود صلى الله على نبينا وعليه وسلم يا داود كن لليتيم كالأب الرحيم ، وكن للأرملة كالزوج الشفيق

---

(١) سورة النساء : آية ١٠ .   (٢) سورة النساء : آية ٦ .
(٣) سورة النساء : آية ٩ .   (٤) سورة الفاتحة : آية ٤ .

واعلم أنك كما تزرع كذا تحصد أى كما تفعل يفعل معك اذ لابد أن تموت ويبقى لك ولد يتيم وامرأة أرملة • وجاء فى التشديد فى أموال اليتامى والظلم فيها أحاديث كثيرة موافقة لما فى الآية من ذلك الوعيد الشديد تحذيرا للناس عن هذه الفاحشة الوخيمة المهلكة ، أخرج مسلم وغيره يا أبا ذر أراك ضعيفا وانى أحب لك ما أحب لنفسى لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم • والشيخان وغيرهما : اجتنبوا السبع الموبقات أى المهلكات قالوا يا رسول الله وما هن ، قال الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم •• الحديث ، والبزار : الكبائر سبع الاشراك بالله ، وقتل النفس بغير حق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم •• الحديث والحاكم وصححه أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن خمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لوالديه • وابن حبان فى صحيحه أن من جملة كتابه ﷺ الذى أرسله مع عمرو بن حزم الى أهل اليمن وأن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الاشراك بالله ، وقتل النفس المؤمنة بغير حق ، والفرار فى سبيل الله يوم الزحف ، وعقوق الوالدين ، ورمى المحصنة ، وتعلم السحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم •

وأبو يعلى يبعث يوم القيامة قوم من قبورهم تأجج أفواههم نارا ، فقيل من هم يا رسول الله قال : ألم تروا ان الله يقول : ((ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا))(١) وفى حديث المعراج عند مسلم فاذا أنا برجال قد وكل بهم رجال يفكون لحاهم ، وآخرون يجيئون بالصخور من النار فيقذفونها فى أفواههم فتخرج من أدبارهم ، فقلت يا جبريل من هؤلاء ، قال الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا ، وفى تفسير القرطبى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ أنه قال : رأيت ليلة أسرى بى قوما لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ مشافرهم ثم يجعل فى أفواههم صخرا من نار تخرج من أسافلهم ، فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما •

---

(١) سورة النساء : آية ١٠ .

الباب السادس والخمسون
فى بيـــان ذم الكبـــر

نذكر مما ورد فى ذم الكبر زيادة على ما تقدم لشؤمه وسوء عاقبته فهو أول معصية وقعت من ابليس فلعنه الله وطرده من جنـة عرضها السموات والأرض الى عذاب السعير . ففى الحديث القدسى : الكبرياء ردائى ، والعظمة ازارى ، فمن نازعنى فى واحد منهما قصمته ولا أبالى . وورد يحشر المتكبرون أمثال الذر فى صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان ويسقون من طينة الخبال وهى عصارة أهـل النار . وقال ﷺ : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم ، شيخ زان وملك جائر ، وعائل مستكبر . وعن عمر رضى الله عنه أنـه قـرأ قوله تعـالى : « واذا قيـــل له اتق الله اخــذته العـــزة بالاثم »(١) فقال انا لله وانا اليه راجعون . قام رجل يأمر بالمعروف فقتـل فقـام آخـر فقال تقتلون الذين يأمرون بالمعروف فقتل المتكبر الذى خالفـه والذى أمره كبرا . وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثمـا اذا قيـل له اتق الله ، قال عليك نفسك ، وقال ﷺ لرجل كل بيمينك قال لا أستطيع، فقال النبى ﷺ لا استطعت فما منعه ألا كبره قال فما رفعها بعد ذلك الى فيه أى اعتلت يده . وروى أن ثابت ان قيس بن شماس قال يا رسول الله انى امرؤ حبب الى من الجمال ما ترى أفمن الكبـر هـو ؟ فقال ﷺ : لا ولكن الكبر بطـر الحـق وغمص الناس أى ازدرأهم واسـتحقرهم وهم عباد الله أمثاله أو خير منه .

قال وهب بن منبه لما قال موسى عليـه السـلام لفرعون آمن ولك ملكك ، قال حتى أشاور هامان فشـاور هامان ، فقال هامان بينما أنت رب تعبد اذ أنت عبد تعبـد فاستنكف عن عبوديته وعن اتبـاع موسى فأغرقه الله .

وقالت قريش فيما أخبـر الله عنهم : « وقالوا لولا نزل هـذا القرآن على رجـل من القريتين عظيم »(١) قال قتادة عظيم القريتين هـو الوليد ابن المغيرة وأبو مسـعود الثقفى طلبوا من هـو أعظم رياسة من النبى ﷺ اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال تعالى : « أهم يقســمون رحمة ربك »(٢) ثم أخبرهـم الله عن تعجبهم حين دخلوا النـار اذ لم يروا

(١) سورة البقرة : آية ٢٠٦ .
(٢) سورة الزخرف : آية ٣١ .   (٢) سورة الزخرف : آية ٣٢ .

فيها الذين ازدروهم كأهل الصــــفة ، فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنـا نعدهم من الأشرار ، قيــل يعنون عمــارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضى الله عنهم ، قال وهب رضى الله عنه العلم كالغيث ينزل من الســماء حــلوا صافيا فتشربه الأشجار بعروقها فتحوله على قــدر طعومها فيزداد المــر مرارة والحلو حلاوة ، فكذلك العلم يحفظه الرجال على قــدر هممهــا وأهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا ، وذلك لأن من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجــد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا مع جهله فازداد علما علم أن الحجــة قــد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وتواضــعا ولذلك قال ﷺ فيما رواه العباس رضى الله عنه يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قــد قرأنا القرآن فمن أقرأ منــا ، ومن أعلم منا ، ثم التفت الى أصــحابه وقال أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم وقــود النــار •

روى أن رجلا ذكر بخير للنبى ﷺ فأقبل ذات يوم فقالوا يارسول الله هذا الذى ذكرناه لك • فقال إنى أرى فى وجهه ســفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ : أســألك بالله حدثتك نفسك أن ليس فى القوم أفضل منك ، قال اللهم نعم فرأى رســول الله ﷺ بنور النبوة ما استكن فى قلبه ســفعة فى وجهه • قال الحارث بن جزء الزبيدى صاحب رســول الله ﷺ يعجبنى من القراء كل مضحاك فأما الذى تلقاه ببشر ويلقــاك بعبوس يمن عليك بعلمه فلا أكثر الله فى المسلمين مثله •

روى عن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال قابلت رجلا عند النبى ﷺ فقلت له يا ابن السوداء • فقال النبى ﷺ : يا أبا ذر طف الصــاع طف الصاع[1] ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل • فقال أبو ذر رحمه الله فاضطجعت وقلت للرجــل قــم فطأ على خــدى • وقال كــرم الله وجهه من أراد أن ينظــر إلى رجــل من أهــل النار فلينظر الى رجــل قاعد وبين يديه قوم قيام • وقال أنس لم يكن شــخص أحب الى أصحابه من رسول الله ﷺ وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لمــا يعلمون من كراهته لذلك • وكان رسول الله ﷺ فى بعض الأوقات يمشى مع بعض الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشى فى غمارهم ، إمــا لتعليم غــيره أو لينفى عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب •

---

(١) أى ناقص الكيل •

الباب السابع والخمسون
فى فضل التواضع والقناعة

قال رسول الله ﷺ : ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه . وقال ﷺ : طوبى لمن تواضع فى غير مسكنة ، وأنفق مالا جمعه فى غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة ، وخالطوا أهل الفقه والحكمة . وروى أن النبى ﷺ كان فى نفر من أصحابه فى بيته يأكلون ، فقال سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها:(١) فأذن له فلما دخل أجلسه رسول الله ﷺ على فخذه ثم قال له أطعم فكان رجلا من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة . وقال ﷺ : خيرنى ربى بين أمرين أن أكون عبدا رسولا أو ملكا نبيا فلم أدر أيهما أختار وكان صفيى من الملائكة جبريل فرفعت رأسى اليه ، فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا . وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انما أقبل صلاة من تواضع لعظمتى ولم يتعظم على خلقى وألزم خوفى . وقال ﷺ : الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى .

وقال المسيح عليه السلام : طوبى للمتواضعين فى الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة ، طوبى للمصلحين بين الناس فى الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة ، طوبى للمطهرة قلوبهم فى الدنا هم الذين ينظرون الى الله تعالى يوم القيامة . وقال بعضهم بلغنى أن النبى ﷺ قال إذا هدى الله عبداً للاسلام وحسن صورته وجعله فى موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله . وقال ﷺ أربع لا يعطيهن الله إلا من أحب ، الصمت وهو أول العبادة ، والتوكل على الله ، والتواضع ، والزهد فى الدنيا .

ويروى أن رسول الله ﷺ كان يطعم فجاء رجل أسود به جدرى قد تقشر فجعل لا يجلس الى أحد الا قام من جنبه ، فأجلسه النبى ﷺ الى جنبه ، وقال ﷺ : أنه ليعجبنى أن يحمل الرجل الشىء فى يده يكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه . وقال ﷺ لأصحابه يوما : ما لى لا أرى عليكم حلاوة العبادة ، قالوا ما حلاوة العبادة ، قال التواضع وقال ﷺ :ذا رأيتم المتواضعين من أمتى فتواضعوا

(١) أى مرض شديد يستنكف منه .

لهم ، واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار .
ومن أحسن ما قيل شعرا :

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر — على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه — على طبقات الجو وهو وضيع

ومما جاء في فضل القناعة زيادة على ما تقدم

قال ﷺ عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففى القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج الى ما شئت تكن أسيره ، وأحسن الى من شئت تكن أميره ، قليل يكفيك خير من كثير يطغيك . وقال بعضهم ما رأيت غنى أفضل من القناعة ولا فقرا أشد من الرغبة وأنشد :

افادتنى القناعة ثوب عز — وأى غنى أعز من القناعة
فصيرها لنفسك راس مال — وصير بعدها التقوى بضاعة
تجد ربحين تغنى عن خليل — وتنعم فى الجنان بصبر ساعة

وقال آخر :

قنع النفس بالكفاف والا — طلبت منك فوق ما يكفيها
انما أنت طول عمرك ما — عمرت فى الساعة التى أنت فيها

وقال آخر :

اذا الرزق عنك ناى فاصطبر — ومنه اقتنع بالذى قد حصل
ولا تتعب النفس فى تحصيله — فان كان ثم نصيب وصل

وقال آخر :

اذا اعطشتك أكف اللئام — كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله فى الثرى — وهامة همته فى الثريا

وقال آخر :

يا طالب الرزق الهنى بقوة — هيهات أنت بباطل مشغوف
رعت الأسود بقوة جيف الفلا — ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

كان رسول الله ﷺ اذا أصابته خصاصة قال لأهله : قوموا الى الصلاة . ويقول : امرت بهذا ويقرا : « **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها** »[1] الآية .

---

(١) سورة طه : آية ١٣٢ .

وأنشــدوا :

دع التهـافت فى الدنيـــا وزينتها ... ولا يغـــرنك الاكثار والجشـــع
واقنع بما قســم الرحمن وارض به ... ان القنـاعة مــال ليس ينقطـــع
وخل ويك فضـــول العيش أجمعها ... فليس فيهـا اذا حققت منتفـــع

ومن كلام الحكماء ليست العـــزة فى حسن البزة فإن التنعـم يلبس الثياب والتجمل بحسن الزى يشـغل العبد حتى لا يعبـأ بشيء من أمر دينـه ميلا لدنياه وقلما يخلو صاحبه من العجب • وأنشد بعضهم :

رضيت من الدنيـــا بلقمة بائس ... ولبس عبـاء لا أريد ســـواهما
لأنى رأيت الدهـــر ليس بدائم ... فدهـرى وعمرى فانيـان كلاهما

البـاب الثـامن والخمســون
فى بيـــان غـــرور الدنيـــا

جميع أحوال الدنيا مصروفة الى ما يسوء ويسر فليست مسـاعدة لجميع أهلها وانما هى متلونة على ما اقتضـته حكمـة الحكيم • قال سـبحانه : ((**ولا يزالون مختلفين الا من رحـــم ربك**)) (١) قال بعض المفسرين مختلفين فى الرزق يريد اختلافهم فى الغنى والفقـر فمن الواجب على من ساعدته دنيـاه وأخدمها له مولاه أن يتلقى ذلك بشكره ويتوجه إليه بصنائع المعروف فإنها تقى مصارع السـوء ولا يغتر بدنياه وكفى بقوله تعـالى : ((**فلا تغـرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغـرور**))(٢) وقوله تعـالى : ((**ولكنكم فتنتم أنفسـكم وتربصــتم وارتبتم وغـــرتكم الأمانى**))(٣) الآية . تنفيرا عن الغـرور بهـا . وقال ﷺ : حبـــذا نــوم الأكياس وفطرهم كيف يغبطون ســـهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الأرض من المغترين • وقال ﷺ الكيس من دان نفســه وعمل لمـا بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى •

وقال الشـاعر :

ومن يحمـد الدنيـــا لشيء يسره ... فسوف لعمـرى عن قليـل يلومها
اذا أدبرت كانت على المـرء حسرة ... وان اقبلت كانت كثيرا همـــومها

---

(١) سورة هود : آية ١١٩ . (٢) سورة لقمان : آية ٣٣ .
(٣) سورة الحديد : آية ١٤ .

وقال آخـر :

تالله لو كانت الدنيـا باجمعهـا تبقى علينـا ويأتى رزقها رغـدا
ما كان فى حـق حـر ان يذل لهـا فكيف وهى متـاع يضمحل غـدا

وأنشـد ابن بسـام :

اف لدنيـا ولأيامهـا فانهـا للحـزن مخـلوقة
غمـومها لا تنقضى سـاعة عن ملك فيهـا ولا سـوقة
يا عجبـا منهـا ومن شـانها عـدوة للنـاس معشـوقة

وأنشـد آخـر :

وقـائلة ارى الأيـام تعطـى لئـام النـاس من رزق حثيث
وتمنـع من له شرف وفضـل فقلت لها خذى أصـل الحـديث
رأت جـل المكاسب من حـرام فجـادت بالخبيث عـلى الخبيث

وأنشد آخر أيضا :

سـل الأيام ما فعـلت بكسـرى وقيصـر والقصـور وسـاكنيها
امـا استدعتهم للبـين طـرا فلم تـدع الحـليم ولا السـفيها

وحكى أعرابيا نزل بقوم فقدموا اليه طعاما فأكل ثم نام فى ظـل خيمتهم فاقتلعوا الخيمة فأصابه حـر الشمس فانتبه فارتحل وهو يقول :

الا انمـا الدنيـا كظـل بنيتـه ولابد يومـا ان ظـلك زائـل

وقال أيضـا :

الا انما الدنيـا مقبـل لراكب قضى وطـرا من منزل ثم هجـرا

وقال بعض الحكماء لصاحب له : قد أسمعك الداعى ، وأعذر اليك الطالب ولا أحد أعظم رزية ممن ضيع اليقين وأخطأه العمل ، وقال ابن الطالب ولا أحد أعظم رزية ممن ضيع اليقين وأخطأه العمل ، وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا ، وقال رسول الله ﷺ : من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه ، وقال بعضهم أن العبد يحاسب على التحـزن على ما فاته من الدنيا ويحاسب بفـرحه فى الدنيا اذا قدر عليها ولقـد كان السـلف الصالح فيما أحـل لهـم أزهد منكم فيما حـرم عليكم ان الذى لا بأس به عندكم كان من الموبقات عندهم ، وكان عمر بن عبد العـزيز كثيرا ما يتمثل بهـذه الأبيات وهى لمسعر بن كدام :

نهارك يا مغـرور نـوم وغفـلة وليلك نـوم والـردى لك لازم
يغـرك ما يفنى وتفـرح بالمنى كما غـر باللذات فى النـوم حالم
وشـغلك فيهـا سـوف تكره غبه كذلك فى الدنيـا تعيش البهـائم

الباب التاسع والخمسون
فى بيـــان ذم الدنيـا والتحذير منها

روى عن أبى امامة الباهلى أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مـالا . قال يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خـير من كثير لا تطيقه . قال يارسول الله ادع أن يرزقنى مالا ، قال يا ثعلبـة أما لك فى أسوة أما ترضى أن تكون مثل نبى الله تعالى أما والذى نفسى بيده لو شئت أن تسير معى الجبال ذهبـا وفضة لسارت . قال والذى بعثك بالحق نبيـا لئن دعوت الله أن يرزقنى مـالا لأعطين كل ذى حق حقه ولأفعلن ولأفعلن .

قال رسول الله ﷺ : اللهم ارزق ثعلبـة مالا فاتخذ غنمـا فنمت كما ينمو الدود ، فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتهـا كما ينمو الدود ، فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فتنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى الجمـاعة ويدع سواهما ، ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الجماعة الا الجمعة وهى تنمو كمـا ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبـار فى المدينة . وسأل رسول الله ﷺ عنـه فقال : ما فعل ثعلبة بن حاطب ؟ فقيل يارسول الله اتخـذ غنما فضاقت عليـه المدينة وأخبر بأمره كله ، فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبـة قال وأنزل الله تعـالى : ((**خذ من أموالهم صـدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صـلاتك سكن لهم**))(١) وأنزل الله تعـالى فرائض الصـدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلا من جهينـة ورجلا من بنى سليم على الصـدقة وكتب لهمـا كتابا بأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجا فيأخذا الصدقة من المسلمين . وقال : مرا بثعلبة بن حاطب وبفـلان رجـل من بنى سليم وخـذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصـدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ . فقال ما هذه الا جزية ما هـذه الا جزية ما هذه الا أخت الجـزية انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الى ، فأنطلقا نحو السليمى فسمع بهمـا فقـام الى خيار أسنان ابله فعزلها للصـدقة ثم اسـتقبلهما بهما فلما رأياهـا قالا لا يجب عليك ذلك وما نريد أن نأخـذ هـذا منك . قال بلى خذاها نفسى بها طيبة وانما هى لتأخذاها فلما فرغـا من صـدقاتهما رجعـا حتى مرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال أريانى كتابكما فنظر فيه ، فقـال

(١) سورة التوبة : آية ١٠٣

هذه أخت الجـزية انطلقا حتى أرى رأيى ، فأنطلقا حتى أتيـا النبى ﷺ فلما رآهما قال يا ويح ثعلبـة قبـل أن يكلمـاه ودعا للسليمى فأخبراه بالذى صنع ثعلبة وبالذى صـنع السليمى . فأنزل الله تعالى فى ثعلبة : **((ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصلحين ، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون * فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقـونه بما اخلفوا الله ما وعـدوه وبما كانوا يكذبون))(١)** وعند رسول الله ﷺ رجـل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيـه فخرج حتى أتى ثعلبة ، فقال لا أم لك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبى ﷺ فسـأله أن يقبل منه صـدقته . فقال ان الله منعنى أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال له رسول الله ﷺ : هذا عملك أمـرتك فلم تطعنى فلما أبى أن يقبـل منه شيئا رجع الى منزله فلما قبض رسول الله ﷺ جاء بها الى أبى بكـر الصديق رضى الله عنه فأبى أن يقبلها منه ، وجاء بها الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأبى أن يقبلها منه ، وتوفى ثعلبة بعد خلافة عثمان .

وقد روى عن جرير عن ليث قال صحب رجـل عيسى ابن مـريم عليه السلام فقال أكون معك وأصحبك ، فانطلقا فاتتهيا الى شـط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفـة فأكـلا رغيفين وبقى رغيف ثالث ، فقـام عيسى عليـه السلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجـد الرغيف فقال للرل من أخذ الرغيف فقال لا أدرى ، قال فأنطلق ومعه صـاحبه فرأى ظبية ومعها خشفان لها ، قال فدعا أحدهما فأتاه فذبحه فاشـتوى منه فأكل هـو وذاك الرجـل ، ثم قال للخشـف قم باذن الله فقـام فذهب ، فقال للرجل أسألك بالذى أراك هـذه الآية من أخـذ الرغيف فقال لا أدرى ثم انتهيا الى وادى مـاء فأخـذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزاه ، قال له أسـألك بالذى أراك هـذه الآية من أخذ الرغيف ، فقال لا أدرى فاتتهيا الى مفـازة فجلسا فأخـذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا وكثيبا ثم قال كان ذهبـا باذن الله تعالى فصار ذهبا فقسمه ثلاثة أثلاث ، ثم قال ثلث لى وثلث لك وثلث لمن أخـذ الرغيف ، فقال أنا الذى أخـذت الرغيف ، فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام ، فانتهى اليـه رجـلان فى المفازة ومعه المال فأردا أن يأخذاه منه ويقتلاه ، فقال هو بيننا أثلاثا فابعثوا أحدكم الى القـرية حتى يشترى

---

(١) سورة التوبة : آيات ٧٥ — ٧٧ .

لنا طعاما نأكله ، قال فبعثوا أحدهم ، فقال الذى بعث لأى شىء أقاسم هؤلاء هـذا المال لكنى أضع فى هذا الطعام سما فأقتلهما وآخذ المال وحدى ، قال ففعل وقال ذاك الرجلان لأى شىء نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا ، قال فلما رجع اليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا فبقى ذلك المال فى المفازة وأولئك الثلاثة عنده قتلى ، فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لأصحابه هذه الدنيا فاحذروها •

وحكى ان ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأيديهم شىء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم فى ذلك معايش من نبات الأرض ، وأرسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالى اليه حاجة فان كان له حاجة فليأتنى ، فقال ذو القرنين صدق فأقبل اليه ذو القرنين وقال له أرسلت اليك لتأتينى فأبيت فها أنا قد جئت ، فقال لو كان لى اليك حاجة لأتيتك فقال له ذو القرنين مالى أراكم على حالة لم أر أحدا من الأمم عليها ، قال وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شىء أفلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما ، قال انما كرهناهما لأن أحدا لم يعط منهما شيئا الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو أفضل منه ، فقال ما بالكم قد احتفرتم قبورا فاذا أصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها ، قال أردنا اذا نظرنا اليها وأملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الأمل ، قال وأراكم لا طعام لكم الا البقل من الأرض أفلا اتخذتم البهائم من الأنعام فاحتلبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها ، قال كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا فى نبات الأرض بلاغا وانما يكفى ابن آدم أدنى العيش من الطعام وأى ما جاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ، ثم بسط ملك تلك الأرض يده خلف ذى القرنين فتناول جمجمة فقال ياذا القرنين أتدرى من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطانا على أهل الأرض فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله سبحانه ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه فى آخرته ، ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال ياذا القرنين

هل تدرى من هـذا قال لا أدرى ومن هـو قال هذا ملك ملكه الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذى قبله بالناس من الغشـم والظـلم والتجبر فتواضع وخشع لله عـز وجل وأمـر بالعدل فى أهـل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخـرته ، ثم أهوى الى جمجمة ذى القرنين فقال هـذه الجمجمة قـد كانت كهذين فانظر ياذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو القـرنين هـل لك فى صحبتى فأتخذك أخا ووزيرا وشريكا فيما آتانى الله من هـذا المال ، قال ما أصـلح أنا وأنت فى مكان ولا أن نكون جميعا ، قال ذو القرنين ، ولم • قال من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولى صديق ، قال ولم • قال يعادونك لـما فى يديك من الملك والمال والدنيـا ولا أجـد أحـدا يعادينى لرفضى لذلك ولما عندى من الحاجة وقلة الشىء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبـا منه ومتعظا به •

وما أحسن قـول القائل :

يا من تمتـع بالدنيا وزينتهـا ... ولا تنـام عن اللـذات عينـاه
شـغلت نفسـك فيما ليس تدركه ... تقـول لله مـاذا حـين تلقـاه

وقـول آخـر :

عتبت على الدنيـا لرفعة جـاهل ... وتاخير ذى فضل فقالت خذ العذرا
بنو الجهل ابنـائى لهذا رفعتهم ... واهل التقى ابنـاء ضرتى الاخرى

وقول محمود الباهلى :

الا انما الدنيـا على المـرء فتنـة ... على كـل حـال اقبلت أو تولت
فان اقبلت فاستقبل الشكر دائما ... ومهمـا تولت فاصـطبر وتثبت

البـاب السـتون
فى فضـل الصدقة

قال ﷺ : من تصدق بعـدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا فان الله يقبلها بيمينه أى متلبسة بيمينه وبركته ثم يربيها لصـاحبها كما يربى أحـدكم مهـره ، حتى أن اللقمة لتصير مثـل أحـد وتصديق ذلك فى كتاب الله تعالى : ((**ألم يعلموا ان لله هـو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات**))(١) ((**يمحق الله الربا ويربى الصدقات**))(٢) •

ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله عز وجل • وفى رواية للطبرانى ما نقصت صدقة من

(١) سورة التوبة : آية ١٠٤ . (٢) سورة البقرة : آية ٢٧٦ .

مال وما مد عبد يده لصـــدقة الا ألقيت فى يد الله أى الا قبلهـا الله تعالى ورضى بهـا قبـل أن تقع فى يد السائل ، وما فتح عبد باب مسئلة له عنها غنى الا فتح الله له باب فقـر يقول العبد مالى مالى وانمـا له من ماله ثلاث ما أكـل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو أعطى فاقتنى ، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس •

وفى الخبر ما منكم من أحـد الا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى الا ما قـدم ، وينظر أشـأم منه فـلا يرى الا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى الا النـار تلقـاء وجهه فاتقوا النـار ولو بشـق تمرة • وفى الخبـر أيضا ليق أحـدكم وجهه من النار ولو بشق تمرة • وقال ﷺ : الصـدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء المـاء النـار •

يا كعب بن عجرة أنه لا يدخل الجنة لحـم ودم نبتـا على سـحت النار أولى به • يا كعب بن عجرة الناس غاديان فغـاد فى فكاك نفسـه فمعتقها وغـاد موبقها يا كعب بن عجـرة الصلاة قربات والصوم جنـة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يذهب الجليـد على الصـفا • وفى رواية كما يطفىء الماء النار •

ان الصدقة لتطفىء غضب الرب وتدفع ميتة السـوء • وفى رواية ان الله ليدرأ أى يدفع بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء • وفى الحديث كل امرىء فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس • وقيل يا رسـول الله أى الصدقة أفضل ، قال جهد المقل وابـدأ بمن تعول ، وقال ﷺ سبق درهم مائة ألف درهم فقال كيف ذاك يا رسـول الله فقـال رجل له مال كثير أخذ من عرضه أى جانبه مائة ألف درهم وتصدق بها ورجل ليس له الا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به ، وقال ﷺ لا ترد سـائلك ولو بظلف هو للبقر والغنم بمنزلة الحافر للفرس •

سبعة يظلهم الله يوم لا ظـل الا ظلـه الى ان قال ورجـل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعـلم شماله ما تنفق يمينه •

صنائع المعروف تقى مصارع السوء وصـدقة السر تطفىء غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمـر • وفى رواية للطبـرانى : صـنائع المعروف تقى مصارع السـوء والصدقة خفيـا تطفىء غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمر وكل معروف صـدقة وأهـل المعروف فى الدنيـا هم أهـل المعروف فى الآخـرة ، وأهل المنكر فى الدنيـا هم أهـل

المنكر فى الآخرة وأول من يدخل الجنة أهل المعروف . وفى أخرى له ولأحمد ما فى الصدقة يا رسول الله قال أضعاف مضاعفة وعند الله المزيد ثم قرأ : ((**من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة**))(١) .

قيل يارسول الله أى الصدقة أفضل قال : سرا الى فقير أو جهدا من مقل ثم قرا : ((**ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم**))(٢) الآية ..

أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عرى كساه الله تعالى من خضر الجنة ، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم .

الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم اثنتان صدقة وصلة .

أى الصدقة أفضل قال على ذى الرحم الكاشح أى المضمر لعداوتك فى كشحه أى خصره كناية عن باطنه .

من منح منيحة لبن أى بأن أعطى لبونا لمن يأكل لبنها ثم يردها أو ورق أى بأن أقرض دراهم أو هدى رفاقا أى الى الطريق كان له مثل عتق رقبة .

كل قرض صدقة وفى رواية عند جماعة رأيت ليلة أسرى بن على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر . من يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة . أى الاسلام خير ؟ قال تطعم الطعام وتقرىء السلام على من عرفت ومن لم تعرف . أنبئنى عن كل شىء قال كل شىء خلق من الماء ، فقلت أخبرنى بشىء اذا عملته دخلت الجنة ، قال أطعم الطعام وافش السلام وصل الأرحام وصل بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام . اعبدوا الرحمن وأطعموا الطعام وأفشوا السلام تدخلوا الجنة بسلام . من موجبات الرحمة اطعام المسلم المسكين . من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه باعده الله من النار بسبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام . إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى قال كيف أعودك وأنت رب العالمين ، قال علمت أن عبدى فلان مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده يا ابن

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٤٥ . (٢) سورة البقرة : آية ٢٧١ .

آدم استطعمتك فلم تطعمنى ، قال يارب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين قال اما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى ، قال يارب وكيف أسقيك وأنت رب العالمين ، قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى •

الباب الحادى والستون

فى قضاء حاجة أخيه المسلم

قال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى »(١) وقال ﷺ من مشى فى عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين فى سبيل الله • وقال رسول الله ﷺ : ان لله خلقا خلقهم لقضاء حوائج الناس آلى على نفسه أن لا يعذبهم بالنار فاذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله تعالى والناس فى الحساب • وقال رسول الله ﷺ من سعى لأخيه المسلم فى حاجة فقضيت له أو لم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان : براءة من النار وبراءة من النفاق •

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : من مشى فى حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فان قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فان مات فى خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب • وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : من مشى مع أخيه المسلم فى حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والأرض • وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : ان لله عند أقوام نعما يقرها عندهم ما داموا فى حوائج الناس ما لم يملوا فاذا ملوا نقلها الى غيرهم • وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : أتدرون ما يقول الأسد فى زئيره ، قالوا الله ورسوله أعلم ، قال يقول اللهم لا تسلطنى على أحد من أهل المعروف •

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه يرفعه : اذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر لها يوم الخميس ، وليقرأ اذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران ، وآية الكرسى ، وانا أنزلناه فى ليلة القدر ، وأم الكتاب

---

(١) سورة المائدة : آية ٢ .

فان فيها حوائج الدنيـا والآخـرة • وعن عبد الله بن الحسن رضى الله تعـالى عنهم قال : أتيت باب عمـر بن عبد العزيز فى حاجة ، فقال اذا كانت لك حاجة الى فارسل رسولا أو اكتب لى كتابا فانى لأستحى من الله أن يراك ببابى • وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال والذى وسـع سمعه الأصـوات ما من أحـد أودع قلبـا سرورا الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفـا ، فاذا نزلت به نائبة جـرى اليهـا كالمـاء فى انحداره حتى يطردها عنه كمـا تطرد غريبـة الإبل • وقال أيضـا فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها ، وعنه أيضـا قال لا تكثر على أخيك الحوائج فإن العجـل إذا أفرط فى مص ثدى أمه نطحتـه • وما أحسن قول الشاعر :

لا تقطعن عادة الاحسان عن احـد ... ما دمت تقـدر والايـام تـارات
واذكر فضيلة صنع الله اذ جعلت ... اليك لا لك عند النـاس حاجات

وقول آخـر :

اقض الحـوائج مـا اسـتطعـ ... ـت وكن لهـم اخيـك فـارج
فلخـير ايـام الفتـى ... يـوم قضى فيـه الحـوائج

وقال ﷺ : طوبى لمن أجريت الخير على يديه وويل لمن أجـريت الشر على يديه •

البـاب الثـانى والسـتون
فى فضـل الوضـوء

قال رسول الله ﷺ : من توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشىء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه • وفى لفظ آخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقـدم من ذنبه • وقال ﷺ أيضا : ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع الدرجات اسباغ الوضـوء على المكاره ، ونقل الأقدام الى المساجد ، وانتظـار الصلاة بعـد الصلاة ، فذلكم الرباط ثلاث مرات • وتوضأ ﷺ مرة مرة وقال هـذا وضـوء لا يقبل الله الصلاة الا به ، وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين آتاه الله أجره مرتين ، وتوضأ ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضـوئى ووضـوء الأنبياء من قبلى ووضوء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام •

وقال ﷺ من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسـده كله ، ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما أصاب المـاء : وقال ﷺ : من توضـأ على

طهر كتب الله له بـه عشر حسـنات • وقال ﷺ الوضوء على الوضـوء نور على نور وهـذا كله حث على تجديد الوضوء • وقال عليه الصلاة والسلام : اذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فمـه ، فاذا استنثر خرجت الخطايا من أنفـه ، فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه ، فاذا غسل يديـه خرجت الخطـايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفـاره ، فاذا مسح برأسـه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه ، واذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليـه ، ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة له •

ويروى أن الطاهر كالصائم وقال عليه الصلاة والسلام من توضـأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشـهد أن لا اله الا الله وحـده لا شريك له وأشـهد أن محمدا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء • وقال عمر رضى الله عنه ان الوضـوء الصالح يطرد عنك الشيطان • وقال مجاهد من استطاع أن لا يبيت الا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل فان الأرواح تبعث على ما قبضت عليه •

ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنـه وجه رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ الى مصر لكسوة الكعبة ، فنزل الرجـل بعض أرض الشام الى جانب صومعـة حبر من الأحبـار ولم يكن حبر أعلم منه فأحب رسول عمر أن يلقـاه فيسمع منه علمـه فأتاه واستفتح باب داره فلم يفتح له طويلا ، ثم دخـل على الحبر فسـأله ليسـمع منـه فأعجبه علمـه فشكى اليه حبسـه على بابه ، فقـال له الحبر اذا كنـا رأيناك حين عدلت الينـا على هيئـة السلطان فتخوفناك ، وانما حبسناك على الباب لأن الله تعالى قال لموسى : يا موسى اذا تخوفت سلطانا فتوضأ وأمر أهلك بالوضوء فان من توضأ كان فى أمـان مما يتخوف فأغلقنا دونك الباب حتى توضأت وتوضأ جميع من فى الدار وصلينـا فأمنـاك لذلك ثم فتحنا لك الباب •

الباب الثالث والستون

فى فضل الصلوات

لما كانت الصلاة أفضل العبادات كررنا الحث عليها اقتداء بكتاب الله العزيز •فمما ورد فى فضلها زيادة على ما تقـدم قوله ﷺ ما أعطى عبد عطاء خيرا من أن يؤذن له فى ركعتين يصليهما •

قال محمد بن سيرين رحمه الله تعالى لو خيرت بين ركعتين وبين الجنة لاخترت الركعتين على الجنة لأن فى الركعتين رضا الله تعالى وفى الجنة رضائى ، ويقال ان الله تعالى لما خلق سبع سموات حشاها بالملائكة وتعبدهم بالصلاة لا يفترون ساعة فجعل لكل أهل سماء نوعا من العبادة ، فأهل سماء قيام على أرجلهم الى نفخة الصور ، وأهل سماء ركع ، وأهل سماء سجد ، وأهل سماء مرخية الأجنحة من هيبته تعالى ، وأهل عليين وأهل العرش وقوف يطوفون حول العرش يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ، فجمع الله كله فى صلاة واحدة كرامة للمؤمنين حتى يكون لهم حظ من عبادة أهل كل سماء . وزادهم القرآن يتلونه فيها فطلب منهم شكرها ، وشكرها اقامتها بشرائطها وحدودها ، قال الله تعالى : « **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** »(١) وقال : « **واقيموا الصلاة** »(٢) وقال : « **واقم الصلاة** »(٣) وقال : « **والمقيمين الصلاة** »(٤) فلم تجد ذكر الصلاة فى موضع من التنزيل الا مع ذكر اقامتها فلما بلغ ذكر المنافقين قال : « **فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون** »(٥) فسماهم المصلين وسمى المؤمنين المقيمين الصلاة وذلك ليعلم أن المصلين كثير ، والمقيمين للصلوات قليل ، فأهل الغفلة يعملون الأعمال على الترويج ولا يذكرون يوم تعرض على الله فتقبل أم ترد .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : ان منكم من يصلى الصلاة فلا يكتب له من صلاته الا ثلثها أو ربعها أو خمسها أو سدسها حتى ذكر عشرها يعنى أنه لا يكتب له من صلاته الا ما عقل منها . وروى عن النبى ﷺ أنه قال من صلى ركعتين مقبلا على الله بقلبه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وانما عظم شأن صلاة العبد باقبال العبد على الله فاذا لم يقبل على صلاته ولها(٦) بحديث النفس كان بمنزلة من وقف الى باب ملك معتذرا من خطيئته وزلته ، فلما وصل الى باب الملك قام بين يديه وأقبل عليه الملك فجعل الواقف يلتفت يمينا وشمالا فلم يقض الملك حاجته وانما يقبل الملك عليه على قدر عنايته ، فكذلك الصلاة اذا دخل العبد فيها ولها عنها لا تقبل منه .

---

(١) سورة البقرة : آية ٣ . (٢) سورة المزمل : آية ٢٠ .
(٣) سورة هودة : آية ١١٤ . (٤) سورة النساء : آية ١٦٢ .
(٥) سورة الماعون : آية ٤،٥ . (٦) أى انشغل .

واعلم أن مثل الصلاة كمثل وليمـة اتخذها ملك وهيأ فيها ألوانا من الأطعمة والأشربة لكل لون لذة وفى كل لون منفعة ودعا الناس اليهـا ، فكذلك الصلاة دعاهم الرب اليها وهيأ لهم فيهـا أفعالا مختلفـة وأذكارا متنوعة فتعبدهم بها ليلذذهم بكل لون من العبودية فالأفعال كالأطعمـة والاذكار كالأشربة .

وقد قيل ان فى الصلاة اثنتى عشرة ألف خصلة ، ثم جمعت هـذه الاثنتا عشر ألفـا فى اثنتى عشرة خصلة ، فمن أراد أن يصـلى فلابد أن يتعاهد هذه الاثنتى عشرة خصلة لتتم صلاته فسـتة قبـل الدخول فى الصلاة وستة فيها : أولها العلم لأن النبى ﷺ قال : عمل قليـل فى علم خير من عمـل كثير فى جهل ، والثانى الوضوء لقوله ﷺ : لا صلاة الا بطهور ، والثالث اللباس لقوله تعالى : خذوا زينتكم عند كل مسجد يعنى البسوا ثيابكم عند كل صلاة ، والرابع حفظ الوقت لقوله عز وجل : ((**ان الصلاة كانت على المؤمنين كتـابا موقوتا**))(١) يعنى فرضـا مؤقتـا ، والخامس استقبال القبلة لقوله عز وجل : ((**فول وجهك شـطر المسـجد الحـرام وحيث ما كنتم فولوا وجـوهكم شـطره**))(٢) يعنى نحـوه ، والسادس النية لقوله ﷺ : انما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى ، والسابع التكبير لقوله ﷺ : تحريمها التكبير وتحليلها التسليم ، والثامن القيـام لقوله عز وجـل : ((**وقـوموا لله قانتين**))(٣) يعنى صلوا قائمين ، والتاسـع الفاتحة لقوله تعالى : ((**فاقـرءوا ما تيسر من القـرآن**))(٤) ، والعـاشر الركـوع لقوله عـز وجـل : ((**واركعـوا**))(٥) والحـادى عشر السجود لقوله عز وجـل : ((**واسجدوا**))(٦) والثـانى عشر القعود لقوله ﷺ : اذا رفع الرجـل رأسه من آخر السجدة وقعد قـدر التشـهد فقد تمت الصلاة . فاذا وجدت هذه الاثنتا عشرة يحتـاج الى الختـم وهـو الاخلاص لتتم هـذه الأشـياء لأن الله تعالى قال ((**فاعبد الله مخلصا له الدين**))(٧) .

فأما العلم فعلى ثلاثة أوجه ، أولها أن يعرف الفريضة من السنة ، والثانى أن يعرف ما فى الوضوء من الفريضة والسنة أيضا فان ذلك من تمام الصلاة ، والثالث أن يعرف كيد الشـيطان فيأخـذ فى محاربتـه

---

(١) سورة النسـاء : آية ١٠٣ .
(٢) سورة البقرة : آية ١٤٤ .
(٣) سورة البقرة : آية ٢٣٨ .
(٤) سورة المزمل : آية ٢٠ .
(٥) سورة البقرة : آية ٤٣ .
(٦) سورة فصلت : آية ٣٧ .
(٧) سورة الزمر : آية ٢ .

بالجهد ، وأما الوضوء فتمامه فى ثلاثة أشياء ، أولها أن تطهر قلبك من الغل والحسد والغش ، والثانى أن تطهر البدن من الذنوب ، والثالث أن تغسل الأعضاء غسلا سابغا بغير اسراف فى الماء • وأما اللباس فتمامه بثلاثة أشياء ، أولها أن يكون أصله من الحلال ، والثانى أن يكون طاهرا من النجاسات ، والثالث أن يكون موافقا للسنة ولا يكون لبسه على وجه الفخر والخيلاء • وأما حفظ الوقت ففى ثلاثة أشياء ، أولها أن يكون بصرك الى الشمس والقمر والنجوم تتعاهد به حضور الوقت ، والثانى أن يكون سمعك مع الأذان ، والثالث أن يكون قلبك متفكرا متعاهدا للوقت ، وأما استقبال القبلة فتمامه فى ثلاثة أشياء ، أولها أن تستقبل القبلة بوجهك ، والثانى أن تقبل على الله بقلبك ، والثالث أن تكون خاشعا ذليلا • وأما النية فتمامها فى ثلاثة أشياء ، أولها أن تعلم أى صلاة تصلى ، والثانى أن تعلم أنك تقوم بين يدى الله تعالى وهو يراك فتقوم بالهيبة ، والثالث أن تعلم أنه يعلم ما فى قلبك فتفرغ قلبك من أشغال الدنيا • وأما التكبير فتمامه فى ثلاثة أشياء ، أولها أن تكبر تكبيرا صحيحا جزما ، والثانى أن ترفع يديك حذاء أذنيك ، والثالث أن يكون قلبك حاضرا فتكبر مع التعظيم • وأما تمام القيام ففى ثلاثة أشياء ، أولها أن تجعل بصرك فى موضع سجودك ، والثانى أن تجعل قلبك الى الله ، والثالث أن لا تلتفت يمينا ولا شمالا • وأما تمام القراءة ففى ثلاثة أشياء ، أولها أن تقرأ فاتحة الكتاب قراءة صحيحة بالترتيل بغير لحن ، والثانى أن تقرأ بالتفكر وتتعاهد معانيها ، والثالث أن تعمل بما تقرأ • وأما تمام الركوع ففى ثلاثة أشياء ، أولها أن تبسط ظهرك ولا تنكسه ولا ترفعه ، والثانى أن تضع يديك على ركبتيك وتفرج بين أصابعك ، والثالث أن تطمئن راكعا وتسبح التسبيحات مع التعظيم والوقار • وأما تمام السجود ففى ثلاثة أشياء ، أولها أن تضع يديك بحذاء أذنيك ، والثانى أن لا تبسط ذراعيك ، والثالث أن تطمئن فيه وتسبح مع التعظيم • وأما تمام الجلوس ففى ثلاثة أشياء ، أولها أن تقعد على رجلك اليسرى وتنصب اليمنى نصبا ، والثانى أن تتشهد بالتعظيم وتدعو لنفسك وللمؤمنين ، والثالث أن تسلم على التمام • وأما التمام السلام فأن يكون مع النية الصادقة من قلبك أن سلامك على من كان عن يمينك من الحفظة والرجال والنساء ، وكذلك عن يسارك ولا تجاوز بصرك عن منكبيك • وأما تمام الاخلاص ففى ثلاثة

أشياء ، أولها أن تطلب بصلاتك رضا الله تعالى ولا تطلب رضا الناس ، والثانى أن ترى التوفيق من الله تعالى ، والثالث أن تحفظها حتى تذهب بها يوم القيامة لأن الله تعالى قال : ((**من جاء بالحسنة**))(١) ولم يقل من عمل بالحسنة .

الباب الرابع والستون

فى بيان أهوال القيامة

روى أن عائشة رضى الله عنها قالت : قالت يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة ؟ قال أما عند ثلاث مواضع فلا عند الميزان حتى يعلم إما أن يخف وإما أن يثقل ، وعند تطاير الصحف إما أن يعطى كتابه بيمينه وإما أن يعطاه بشماله ، وحين يخرج عنق من النار فينطوى عليهم ، ويقول وكلت بثلاثة : وكلت بمن دعا مع الله إلها آخر وبكل جبار عنيد وبكل من لا يؤمن بيوم الحساب فينطوى عليهم السيف عليه كلاليب وحسك والناس يمرون عليه كالبرق الخاطف وكالريح العاصف ... الحديث .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما فرغ الله من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصا ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر قال : قلت يا رسول الله وما الصور ؟ قال قرن من نور ، قلت يا رسول الله كيف هو ، قال عظيم الدارة والذى بعثنى بالحق نبيا لعظم دارته كعرض السماء والأرض ينفخ فيه ثلاث نفخات : نفخة للفزع ، ونفخة للصعق ، ونفخة للبعث فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فتدخل فى الأجساد من الخياشيم . ثم قال النبى ﷺ : أنا أول من تنشق عنه الأرض ، وفى خبر آخر إذا أحيا الله تعالى جبريل وميكائيل وإسرافيل فينزلون إلى قبر النبى ﷺ ومعهم البراق وحلل من الجنة فتنشق عنه الأرض فينظر النبى ﷺ إلى جبريل فيقول يا جبريل ما هذا اليوم فيقول له هذا يوم القيامة هذا يوم الحاقة هذا يوم القارعة : فيقول يا جبريل ما فعل الله بأمتى فيقول له جبريل أبشر فانك أول من تنشق عنه الأرض .

---

(١) سورة القصص : آية ٨٤ .

وروى أبو هريرة أنه ﷺ قال ان الله تعالى يقول يا معشر الجن والإنس انى نصحت لكم فإنما هى أعمالكم فى صحفكم فمن وجد خيرا فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه .

وذكر عن يحيى بن معاذ الرازى انه قرئ فى مجلسه « **يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا** »(١) أى ركبانا « **ونسوق المجرمين الى جهنم وردا** »(٢) يعنى مشاة عطاشا : فقال ايها الناس مهلا مهلا غدا تحشرون الى الموقف حشرا وتأتون من الأطراف فوجا فوجا ، وتقفون بين يدى الله فردا فردا ، وتسئلون عما فعلتم حرفا حرفا ، وتقاد الأولياء الى الرحمن وفدا وفدا ، ويرد العاصون الى عذاب الله وردا وردا ، ويدخلون جهنم حزبا حزبا : أخوانى أمامكم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون يوم الراجفة يوم الآزفة يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم الحسرة والندامة يوم المناقشة يوم المحاسبة يوم المساءلة يوم الصيحة يوم الحاقة يوم القارعة يوم النشور يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يوم التغابن يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار . وقال مقاتل ابن سليمان تقف الخلائق يوم القيامة مائة سنة لا يتكلمون ، ومائة سنة فى الظلمة متحيرون ، ومائة سنة يموج بعضهم فى بعض عند ربهم يختصمون ، وان يوم القيامة على طوله خمسين ألف سنة مما تعدون ليمضى على المؤمن المخلص كأخف صلاة مكتوبة . وقال ﷺ : لا تزول قدما عبد حتى يسئل عن أربعة أشياء ، عن عمره فيم أفناه ، وعن جسده فيم أبلاه ، وعن علمه فيم عمل به ، وعن ماله من أين أكتسبه وفيم أنفقه . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : لم يكن نبى قط الا كانت له دعوة مستجابة فجعلها فى الدنيا وانى خبأت دعوتى شفاعتى لأمتى يوم القيامة : اللهم شفعه فينا بجاهه عندك صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

الباب الخامس والستون
فى صفة جهنم والميزان

لا بأس بذكر ذلك وان تقدم التنبيه على بعضه تتميما للفائدة لعل تكرر المواعظ وتوقظ القلوب الغافلة الفاسدة لاسيما وقد عظم الله

(١) سورة مريم : آية ٨٥ . (٢) سورة مريم : آية ٨٦ .

سبحانه وتعالى هول جهنم وأحوال القيامة فى كتابه فى غير موضع، بما يقع فى قلوب العاقلين أعظم موقع تنبيها على أن ما سوى ذلك هين والآخرة خير وأبقى ، أما صفة جهنم أعاذنا الله منها بمنه وكرمه فقد روى فى الحديث أن جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولا لهب ، لها سبعة أبواب على كل باب سبعون ألف جبل ، فى كل جبل سبعون ألف شعبة من نار ، فى كل شعبة سبعون ألف شق من نار ، فى كل شق سبعون ألف واد من نار ، فى كل واد سبعون ألف قصر من نار ، فى كل قصر سبعون ألف بيت من نار ، فى كل بيت سبعون ألف حية وسبعون ألف عقرب ، لكل عقرب سبعون ألف ذنب ، لكل ذنب سبعون ألف فقار ، فى كل فقار سبعون ألف قلة من سم فاذا كان يوم القيامة كشف عنها الغطاء فيطير منها سرادق عن يمين الثقلين وسرادق آخر على يسارهم وسرادق أمامهم وسرادق من فوقهم وآخر من ورائهم فاذا نظر الثقلان الى ذلك جثوا على الركب وصاروا ينادون كلهم رب سلم .

وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال : يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها . وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال : فى عظم خزنة جهنم المشار اليهم بقوله تعالى : ((**غلاظ شداد**))(١) كل ملك ما بين منكبيه مسيرة سنة ولكل واحد منهم قوة لو أنه ضرب بالمقمع الذى فى يده جبلا لصار دكا فيدفع بكل ضربة سبعين ألفا فى قعر جهنم . وأما قوله تعالى : ((**عليها تسعة عشر**))(٢) فالمراد بهم رؤساء الزبانية والا فملائكة النار لا يعلم عددهم الا الله تعالى : ((**وما يعلم جنود ربك الا هو**))(٣)

وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن سعة جهنم فقال والله ما أدرى ما سعتها ولكن بلغنا أن بين شحمة أذن كل واحد من الزبانية وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفا يعنى سبعين سنة وأنها تجرى فيها أودية القيح والدم . وفى حديث الترمذى ان كثافة كبر سرادق من سرادقات النار أى كثافة جداره مسيرة أربعين سنة . وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال ان ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من حر جهنم قالوا يارسول الله ان كانت لكافية فقال انها فضلت عليها بتسعة

---

(١) سورة التحريم : آية ٦ . (٢) سورة المدثر : آية ٣٠ .
(٣) سورة المدثر : آية ٣٠ .

وستين جزءا كلها مثل حرها . وقال ﷺ لو أن جهنميا من أهل جهنم أخرج كفه الى أهل الدنيا لاحترقت الدنيا من حرها ، ولو أن خازنا من خزنة جهنم أخرج الى أهل الدنيا حتى يبصروه لمات أهل الدنيا حين يبصرونه من غضب الله تعالى الذى عليه .

وروى مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ كان جالسا مع أصحابه اذ سمع وجبة فقال النبى ﷺ : أتدرون ما هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم : قال هذا حجر رمى به فى نار جهنم منذ سبعين خريفا فهو يهوى فى النار الآن حين انتهى الى قعرها . والوجبة هى الهدة وهى صوت وقع الشىء الثقيل .

وكان عمر بن الخطاب يقول أكثروا ذكر النار فان حرها شديد وقعرها بعيد وان مقامعها من حديد . وكان ابن عباس يقول ان النار تلتقط أهلها كما يلتقط الطائر الحب ، وسئل رضى الله عنه عن قوله تعالى : **« اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا »** فهل للنار عينان ؟ فقال نعم أما سمعتم قوله ﷺ : من كذب على متعمدا فليتبوأ بين عينى جهنم مقعدا ، قيل يا رسول الله ولها عينان ، أما سمعتم قوله تعالى **« اذا رأتهم من مكان بعيد »**(١) . الحديث . ويروى حديث يخرج عنق من النار له عينان يبصران ولسان ينطق به ، فيقول انى وكلت اليوم بمن جعل مع الله الها آخر فلهو أبصر بهم من الطير بحب السمسم فيلتقطه .

وأما صفة الميزان فقد ورد فى الحديث أن كفة الحسنات من نور وكفة السيئات من ظلام . وروى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال : ان الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يساره وكفة الحسنات عن يمينه وكفة السيئات عن يساره فتكون الجنة مقابلة الحسنات والنار مقابلة السيئات . وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول : توزن الحسنات والسيئات فى ميزان له كفتان ولسان وكان يقول اذا أراد الله وزن أعمال العباد قلبها أجساما فيزنها يوم القيامة .

الباب السادس والستون
فى بيان ذم الكبر والعجب

اعلم أرشدنى الله واياك لخير الدنيا والآخرة أن الكبر والاعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل ، وحسبك من رذيلة تمنع سماع

---

(١) سورة الفرقان : آية ١٢ .

النصح وقبول التأديب ، ولذلك قالوا العلم يضيع بين الحياء والكبر العلم حرب المتعالى كما أن السيل حرب للبناء العالى . قال ﷺ : لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر . قال ﷺ : من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه . وقال الحكماء لا يدوم الملك مع المتكبر وقد قرن الله سبحانه وتعالى الكبر بالفساد ، فقال تعالى : ((**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا**)) (١) ، وقال تعالى : ((**سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق**)) (٢) **قال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا الا تحول ما به بى** يعنى أتكبر عليه .

قال الجاحظ المشهورون بالكبر من قريش بنو مخزوم ، وبنو أمية ، ومن العرب ، بنو جعفر بن كلاب ، وبنو زرارة بن عدى ، وأما الأكاسرة فكانوا لا يعدون الناس الا عبيدا وأنفسهم الا أربابا . وقيل لرجل من بنى عبد الدار ألا تأتى الخليفة فقال أخاف أن لا يحمل الجسر شرفى . وقيل للحجاج بن أرطاة مالك لا تحضر الجماعة ؟ قال أخشى أن يزاحمنى البقالون . وقيل أتى وائل بن حجر الى النبى ﷺ فأقطعه أرضا . وقال لمعاوية اعرض هذه الأرض عليه واكتبها له فخرج معاوية فى هاجرة شديدة ومشى خلف ناقته فأحرقه حر الشمس ، فقال له أردفنى خلفك على ناقتك : قال لست من أرداف الملوك : قال فأعطنى نعليك قال ما بخل يمنعنى يا ابن أبى سفيان ولكن أكره أن يبلغ أقيال اليمن أنك لبست نعلى ولكن امش فى ظل ناقتى فحسبك بها شرفا . وقيل أنه لحق زمن معاوية ودخل عليه فأقعده معه على السرير وحدثه . وقال المسرور بن هند لرجل أتعرفنى ؟ قال لا قال أنا المسرور بن هند قال ما أعرفك قال فتعسا لمن لا يعرف القمر .

وفى مثله يقول الشاعر :

قولا لأحمق يلوى التيه أخدعه	**لو كنت تعلم ما فى التيه لم تته**
التيه مفسدة للدين منقصة	**للعقل مهلكة للعرض فانتبه**

وقيل لا يتكبر الا كل وضيع ولا يتواضع الا كل رفيع : وقال ﷺ ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه . وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : ان نوحا ﷺ لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال انى آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما

---

(١) سورة القصص : آية ٨٣ . (٢) سورة الاعراف : آية ١٤٦

عن الشرك والكبر . وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والأرض وما فيهن لو وضعت فى كفة الميزان ولا اله الا الله فى الكفة الأخرى كانت لا اله الا الله أرجح منهما ، ولو أن السموات والأرض كانتا فى حلقة فوضعت لا اله الا الله عليهما لقصتهما ، وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شىء وبها يرزق كل شىء . وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ولم يمت جبارا . وعن عبد الله ابن سلام رضى الله عنه أنه مر فى السوق وعليه حزمة من حطب فقيل له ما يحملك على هذا وقد أغناك الله عن هذا ، قال أردت أن أدفع الكبر عن نفسى . وفى تفسير القرطبى فى قوله تبارك وتعالى : ((**ولا يضربن بارجلهن**))(١) ان فعلته تبرجا وتعرضا للرجال حرم وكذا من ضرب بنعله من الرجال عجبا حرم لأن العجب كبيرة .

الباب السابع والستون
فى الاحسان الى اليتيم واجتناب الظلم

أخرج البخارى : أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهذين وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى وفرج بينهما ، ومسلم : كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين فى الجنة وأشار مالك بالسبابة والوسطى . والبزار : من كفل يتيما له ذو قرابة أو لا قرابة له فأنا وهو فى الجنة كهاتين وضم بأصبعيه . ومن سعى على ثلاث بنات فهو فى الجنة وكان له كأجر المجاهد فى سبيل الله صائما قائما . وابن ماجه : من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام ليله وصام نهاره وغدا أو راح شاهرا سيفه فى سبيل الله أنا وهو فى الجنة أخوين ، كما أن هاتين أختان وألصق أصبعيه السبابة والوسطى . والترمذى وصححه : من قبض يتيما من بين المسلمين الى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتة الا أن يعمل ذنبا لا يغفر له . وفى رواية سندها حسن حتى يستغنى عنه وجبت له الجنة البتة . وابن ماجه خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه ، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه . وأبو يعلى بسند حسن : أنا أول من يفتح باب الجنة الا أنى أرى امرأة تبادرنى : فأقول مالك ومن أنت : تقول أنا امرأة قعدت على أيتام لى . والطبرانى بسند رواته ثقات الا واحدا ، ومع

---

(١) سورة النور : آية ٣١ .

ذلك ليس بالمتروك : والذى بعثنى بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم ولان له فى الكلام ورحم يتمه وضعفه ولم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه الله • وأحمد وغيره من مسح على رأس يتيم لم يمسه الا لله كانت له فى كل شعرة مرت عليها يده حسنات ، ومن أحسن الى يتيم أو يتيمة عنده كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين •• الحديث • وأخرج جماعة وصححه الحاكم : أن الله تعالى قال ليعقوب ان سبب ذهاب بصره وانحناء ظهره وفعل اخوة يوسف به ما فعلوا أنه أتاه يتيم مسكين صائم جائع وقد ذبح هو وأهله شاة فأكلوها ولم يطعموه ثم أعلمه الله تعالى بأنه لم يحب شيئا من خلقه حبه لليتامى والمساكين ، وأمره أن يصنع طعاما ويدعو المساكين ففعل • والشيخان عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله تعالى وأحسبه قال وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر • وابن ماجه : الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله وكالذى يقوم الليل ويصوم النهار •

قال بعض السلف كنت فى بدء أمرى سكيرا مكبا على المعاصى فرأيت يوما يتيما فأكرمته كما يكرم الولد بل أكثر ثم نمت فرأيت الزبانية أخذونى أخذا مزعجا الى جهنم واذا باليتيم قد اعترضنى فقال : دعوه حتى اراجع ربى فيه فأبوا • فاذا النداء • خلوا عنه فقد وهبنا له ما كان منه باحسانه اليه ، فاستيقظت وبالغت فى اكرام اليتامى من يومئذ • وكان لبعض مياسير العلويين بنات من علوية فمات واشتد بهن الفقر الى أن رحلن عن وطنهن خوف الشماتة فدخلن مسجد بلد مهجورا فتركتهن أمهن فيه وخرجت تحتال لهن فى القوت فمرت بكثير البلد وهو مسلم فشرحت له حالها فلم يصدقها ، وقال لابد أن تقيمى عندى البينة بذلك فقالت أنا غريبة فأعرض عنها ، ثم مرت بمجوسى فشرحت له ذلك فصدق وأرسل بعض نسائه فأتت بها وبناتها الى داره فبالغ فى اكرامهن ، فلما مضى نصف الليل رأى ذلك المسلم القيامة قد قامت والنبى ﷺ معقودا على رأسه لواء الحمد وعنده قصر عظيم : فقال يا رسول الله لمن هذا القصر ، قال لرجل مسلم ، قال أنا مسلم موحد ، قال ﷺ أقم عندى البينة بذلك فتحير فقص له ﷺ خبر العلوية فانتبه الرجل فى غاية الحزن والكآبة اذ ردها ثم بالغ فى الفحص عنها حتى دل عليها بدار المجوسى فطلبها

منه فأبى ، وقال قد لحقني من بركاتهن ، فقال خذ ألف دينار وسلمهن الى فأبى : فأراد أن يكرهه ، فقال الذي تريده أنا أحق به والقصر الذي رأيته في النوم خلق لي أتفخر على باسلامك فوالله ما نمت أنا وأهل داري حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ورأيت مثل منامك ، وقال لي رسول الله ﷺ : العلوية وبناتها عندك قلت نعم يا رسول الله قال القصر لك ولأهل دارك ، فانصرف المسلم وبه من الكآبة والحزن ما لا يعلمه الا الله تعالى .

الباب الثامن والستون
في تحريم اكل الحرام

قال الله تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**))(١) ... الآية . واختلفوا في المراد به ، فقيل الربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال باليمين الكاذبة . وقال ابن عباس هو ما يؤخذ من الانسان بغير عوض ، وعليه قيل لما نزلت الآية تحرجوا من أن يأكلوا عند أحد شيئا حتى نزلت آية النور : ((**ولا على انفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم ...**))(٢) الى آخرها وقيل هو العقود الفاسدة والوجه قول ابن مسعود انها محكمة ما نسخت ولا تنسخ الى يوم القيامة انتهى . وذلك لأن الأكل بالباطل يشمل كل مأخوذ بغير حق سواء كان على جهة الظلم كالغصب والخيانة والسرقة أو الهزؤ واللعب كالمأخوذ بالقمار والملاهي ، وسيأتي ذلك كله أو على جهة المكر والخديعة كالمأخوذ بعقد فاسد ويؤيد ما ذكرته قول بعضهم الآية تشمل كل الانسان حتى مال نفسه بالباطل بأن ينفقه في محرم ، ومال غيره به كالأمثلة المذكورة وقوله تعالى : ((**الا أن تكون تجارة**))(٣) استثناء منقطع لأن التجارة ليست من جنس الباطل بأى معنى أريد به وتأويله بالسبب ليكون متصلا ليس في محله ، والتجارة وان اختصت بعقود المعاوضات الا أن نحو القرض والهبة ملحق بها بأدلة أخرى وقوله

---

(١) سورة النساء : آية ٢٩ . (٢) سورة النور : آية ٦١ .
(٣) سورة البقرة : آية ٢٨٢ .

تعالى : ((**عن تراض منكم**))(١) اى طيب نفس على الوجه المشروع وتخصيص الأكل فيها بالذكر ليس للتقييد به بل لكونه أغلب وجوه الانتفاعات على حد ((**ان الذين ياكلون أموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا**))(٢) وادلة هذا المبحث والتغليظات الواردة فيه من السنة كثيرة فلنقتصر على بعضها .

أخرج مسلم وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال تعالى : ((**يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا**))(٣) وقال تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم**))(٤) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك : والطبرانى باسناد حسن : طلب الحلال واجب على كل مسلم ، والطبرانى والبيهقى ، طلب الحلال فريضة بعد الفرائض والترمذى وقال حسن صحيح غريب والحاكم وصححه من أكل طيبا وعمل فى سنة وأمن الناس بوائقه دخل الجنة . قالوا يارسول الله ان هذا فى أمتك اليوم كثير ، قال وسيكون فى قرون بعدى . وأحمد وغيره باسناد حسن : أربع اذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا ، حفظ أمانة ، وصدق حديث ، وحسن خلق ، وعفة فى طعمة . والطبرانى : طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ، والطبرانى يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذى نفس محمد بيده ان العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما ، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به . والبزار وفيه نكارة أنه لا دين لمن لا أمانة له ، ولا صلاة ولا زكاة أنه من أصاب مالا من حرام فلبس جلبابا يعنى قميصا لم تقبل صلاته حتى ينحى ذلك الجلباب عنه ، ان الله تبارك وتعالى أكرم وأجل من أن يقبل عمل رجل أو صلاته وعليه جلباب من حرام . وأحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم من حرام لم يقبل الله عز وجل له صلاة مادام عليه ، ثم أدخل أصبعيه فى

---

(١) سورة النساء : آية ٢٩ . (٢) سورة النساء : آية ١٠ .
(٣) سورة المؤمنون : آية ٥١ . (٤) سورة البقرة : آية ١٧٢ .

أذنيه ثم قال صمتا ان لم يكن النبى ﷺ سمعته يقول : والبيهقى : من اشترى سرقة وهو يعلم أنها سرقة فقد اشترك فى عارها واثمها .
قال الحافظ المنذرى فى اسناده احتمال للتحسين ويشبه أن يكون موقوفا ، وأحمد بسند جيد : والذى نفسى بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب به الى الجبل فيحتطب ثم يأتى فيحمله على ظهره فيأكل خير له من أن يجعل فى فيه ما حرم الله عليه ، وابنا خزيمة وحبان فى صحيحيهما والحاكم : من جمع مالا حراما ثم تصدق به لم يكن فيه أجر وكان اصره عليه ، والطبرانى : من كسب مالا حراما فأعتق منه ووصل منه رحمه كان ذلك اصرا عليه ، وأحمد وغيره بسند حسنه بعضهم ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وان الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطى الدين الا لمن يحب من أعطاه الله الدين فقد أحبه والذى نفسى بيده لا يسلم أو لا يسلم عبد حتى سلم أو سلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يؤمن جاره بوائقه ، قالوا وما بوائقه يا رسول الله ، قال غشه وظلمه . ولا يكسب عبد مالا من حرام فيتصدق منه ولا ينفق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار . ان الله تعالى لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن ، ان الخبيث لا يمحو الخبيث . والترمذى وقال حسن صحيح غريب سئل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار ، قال الفم والفرج . وسئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ، قال تقوى الله وحسن الخلق . والترمذى وصححه : ما تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه .

والبيهقى : الدنيا خضرة حلوة من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه فى حقه أثابه الله عليه وأورده جنته ، ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفقه فى غير حقه أورده الله دار الهوان ، ورب متخوض فى مال الله ورسوله له النار يوم القيامة . يقول الله تعالى : ((**كلما خبت زدناهم سعيرا**))[1] وابن حبان فى صحيحه لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا من سحت والنار أولى به والترمذى لا يربو لحم نبت من سحت الا كانت النار أولى به ، والسحت بضم فسكون أو ضم

---

(١) سورة الاسراء : آية ١٧ .

الحرام وقيل الخبيث من المكاسب وفى رواية بسند حسن : لا يدخل الجنة جسد غذى بحرام .

الباب التاسع والستون

فى النهى عن الربا

الآيات فى النهى عن الربا كثيرة ومن الأحاديث ما رواه البخارى وأبو داود : لعن رسول الله ﷺ الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله والحاكم وصححه : أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها ، مدمن الخمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لوالديه . والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين : الربا ثلاثة وسبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه . والبزار بسند رواته رواة الصحيح ، الربا بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك ، والبيهقى الربا سبعون بابا أدناها مثل الذى يقع على أمه ، والطبرانى فى الكبير عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله من ثلاث وثلاثين زنية يزنيها فى الاسلام وفى سنده انقطاع ، وروى ابن أبى الدنيا والبغوى وغيرهما موقوفا على عبد الله وهو الصحيح وهذا الموقوف فى حكم المرفوع لأن كون الدرهم أعظم وزرا من هذا العدد المخصوص من الزنا لا يدرك الا بوحى فكأنه سمعه منه ﷺ ، ولفظ الموقوف فى أحد طرقه . قال عبد الله : الربا اثنان وسبعون حوبا أى بضم المهملة وبفتحها انما أصغرها حوبا كمن أتى أمه فى الاسلام ، ودرهم من الربا أشد من بضع وثلاثين زنية ، قال ويأذن الله للبر والفاجر بالقيام يوم القيامة الا آكل الربا فانه لا يقوم الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس .

وأحمد بسند صحيح والطبرانى أنه ﷺ قال : درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية ، وابن أبى الدنيا والبيهقى خطبنا رسول الله ﷺ فذكر أمر الربا وعظم شأنه وقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله فى الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل . والطبرانى فى الصغير والأوسط من أعان ظالما بباطل ليدحض به حقا فقد برىء من ذمة الله وذمة رسوله ﷺ ومن أكل درهما من ربا فهو مثل ثلاث وثلاثين زنية ومن نبت لحمه

من سحت فالنار أولى به • وابن ماجه والبيهقى عن أبى معشر وقد وثق عن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ الربا سبعون حوبا أيسرها أن ينكح الرجل أمه • والحاكم وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال نهى رسول الله ﷺ أن تشترى الثمرة حتى تعظم وقال اذا ظهر الزنا والربا فى قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله ، وأبو يعلى باسناد جيد عن ابن مسعود رضى الله عنه انه ذكر حديثا عن النبى ﷺ قال فيه ما ظهر فى قوم الزنا والربا الا أحلوا بأنفسهم عذاب الله • وأحمد باسناد فيه نظر : ما من قوم يظهر فيهم الربا الا أخذوا بالسنة وما من قوم يظهر فيهم الرشا الا أخذوا بالرعب والسنة العام المقحط نزل فيه غيث أم لا • وأحمد فى حديث طويل وابن ماجه مختصرا والأصبهانى رأيت ليلة أسرى بى لما انتهينا الى السماء السابعة فنظرت فاذا أنا برعد وبروق وقواصف قال فأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم قلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء أكلة الربا • والأصبهانى عن أبى سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لما عرج بى الى السماء نظرت فى سماء الدنيا فاذا رجال بطونهم كأمثال البيوت العظام قد مالت بطونهم وهم منضدين على سابلة آل فرعون موقوفون على النار كل غداة وعشى يقولون ربنا لا تقم الساعة أبدا قلت يا جبريل من هؤلاء ، قال هؤلاء أكلة الربا من أمتك لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، قال الأصبهانى قوله منضدون أى مطروحون أى طرح بعضهم على بعض والسابلة المارة أى يطؤهم آل فرعون الذين يعرضون على النار كل غداة وعشى ، والطبرانى بسند صحيح بين يدى الساعة يظهر الزنا والربا والخمر • والطبرانى بسند لا بأس به عن القاسم بن عبد الله الوراق قال رأيت عبد الله بى أبى أوفى رضى الله عنه فى سوق الصيارفة فقال يا معشر الصيارفة أبشروا قالوا بشرك الله بالجنة بم تبشرنا يا أبا محمد قال قال رسول الله ﷺ للصيارفة أبشروا بالنار • والطبرانى اياك والذنوب التى لا تغفر الغلول فمن غل شيئا أتى به يوم القيامة وأكل الربا فمن أكل الربا بعث يوم القيامة مجنونا يتخبط ثم قرأ ﷺ : ((**الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس**))(١) الأصبهانى يأتى آكل الربا يوم القيامة

(١) سورة البقرة : آية ٢٧٥ .

مخبلا مجنونا يجر شقيه ، ثم قرا : « **لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس** » وابن ماجه والحاكم وصححه ما احد أكثر من الربا الا كان عاقبة أمره الى قلة . والحاكم وصححه أيضا الربا وان كثر فان عاقبته الى قل وأبو داود وابن ماجه كلاهما عن الحسن عن أبى هريرة واختلف فى سماعه منه والجمهور على عدمه ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد الا آكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره ، وعبد الله بن أحمد فى زوائد المسند : والذى نفسى بيده ليبيتن أناس من أمتى على أشر وبطر ولهو ولعب فيصبحوا قردة وخنازير باستحلالهم المحارم واتخاذهم القينات وشربهم الخمر وبأكلهم الربا ولبسهم الحرير ، وأحمد مختصرا والبيهقى واللفظ له يبيت قوم من هذه الأمة على طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحون قد مسخوا قردة وخنازير وليصيبنهم خسف وقذف حتى يصبح الناس فيقولون خسف الليلة ببنى فلان وخسف الليلة بدار فلان ولترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل منها وعلى دور بشربهم الخمر ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطيعتهم الرحم . وخصلة نسيها راويه . القينات جمع قينة وهى المغنية .

الباب السبعون
فى حقوق العبد

هى أن تسلم عليه اذا لقيته ، وتجيبه اذا دعاك ، وتشمته اذا عطس ، وتعوده اذا مرض ، وتشهد جنازته اذا مات ، وتبر قسمه اذا أقسم عليك ، وتنصح له اذا استنصحك ، وتحفظه بظهر الغيب اذا غاب عنك ، وتحب له ما تحب لنفسك ، وتكره له ما تكره لنفسك ، ورد جميع ذلك فى أخبار وآثار .

وقد روى أنس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال أربع من حق المسلمين عليك : أن تعين محسنهم ، وأن تستغفر لمذنبهم ، وأن تدعو لمدبرهم وأن تحب تائبهم ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى معنى قوله تعالى : « **رحماء بينهم** »(١) قال يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم فاذا نظر الطالح الى الصالح من أمة محمد ﷺ قال اللهم بارك

---

(١) سورة الفتح : آية ٢٩ .

فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وأنفعنا به ، واذا نظر الصالح الى الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له عثرته ومنها أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه •

قال النعمان بن بشير سمعت رسول الله ﷺ يقول مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى والسهر •

وروى أبو موسى عنه ﷺ أنه قال : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ومنها أن لا يؤذى أحدا من المسلمين بفعل ولا قول • قال ﷺ : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده • وقال ﷺ فى حديث طويل يأمر فيه بالفضائل فان لم تقدر فدع الناس من الشر فانها صدقة تصدقت بها على نفسك ، وقال أيضا أفضل المسلمين من سلم المسلم من لسانه ويده ، وقال ﷺ أتدرون من المسلم فقالوا الله سلم المسلم من لسانه ويده ، وقال ﷺ أتدرون من المسلم فقالوا الله ورسوله أعلم ، قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، قالوا فمن المؤمن ، قال من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم ، قالوا فمن المهاجر ، قال من هجر السوء واجتنبه • وقال رجل يا رسول الله ما الاسلام قال أن يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك • وقال مجاهد يسلط على أهل النار الجرب فيحتكون حتى يبدو عظم أحدهم من جلده فينادى يا فلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقول هذا بما كنت تؤذى المؤمنين ، وقال ﷺ : لقد رأيت رجلا يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين ، وقال أبو هريرة رضى الله عنه يا رسول الله علمنى شيئا انتفع به ، قال اعزل الأذى عن طريق المسلمين وقال ﷺ : من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب الله له حسنة أوجب له الجنة • وقال ﷺ : لا يحل لمسلم أن يشير الى أخيه بنظرة تؤذيه ، وقال ﷺ : لا يحل لمسلم أن يروع مسلما • وقال ﷺ ان الله يكره أذى المؤمنين • وقال الربيع بن خيثم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجاهله ، ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فان الله لا يحب كل مختال فخور • قال رسول الله ﷺ : ان الله تعالى أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ثم ان تفاخر عليه غيره فليحتمل

قال الله تعـالى لنبيـه ﷺ : ((**خـذ العفـو وأمـر بالعـرف وأعرض عن الجاهلين**))(١) .

وعن ابن أبى أوفى كان رسـول الله ﷺ يتواضـع لكل مسلم ، ولا يأنف ، ولا يتكبر أن يمشى مع الأرملة والمسكين فيقضى حاجته ، ومنها أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ، ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض . قال ﷺ لا يدخل الجنة قتات . وقال الخليل بن أحمـد من نم لك نم عليك ، ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك ، ومنها أن لا يزيد فى الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهمـا غضب عليه .

قال أبو أيوب الأنصـارى قال رسول الله ﷺ : لا يحـل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هـذا ويعرض هـذا وخيرهمـا الذى يبـدأ بالسلام ، وقـد قال ﷺ من أقال مسلمـا عثرته أقاله الله يوم القيامة ، وقال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب بعفوك عن اخوتك رفعت ذكرك فى الدارين ، قالت عائشة رضى الله عنهـا ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسـه قط الا أن تنتهك حـرمة الله فينتقم لله . وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما عفـا رجـل عن مظلمة الا زاده الله بهـا عـزا ، وقال ﷺ ما نقص مال من صـدقة ، وما زاد الله رجـلا بعفـو الا عزا ، وما من أحد تواضع لله الا رفعه الله .

البـاب الواحـد والسبعون

فى ذم اتباع الهوى وفى بيـان الزهـد

قال الله تعـالى : ((**أفرأيت من اتخـذ الهـه هـواه وأضله الله على علم**))(٢) الآية ... قال ابن عباس ذلك الكـافر اتخـذ دينـه بغير هـدى من الله ولا برهـان والمعنى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعـوه اليه ولا يعمـل بكتـاب الله فكأنه يعبـد هواه . وقال تعـالى : ((**ولا تتبع أهواءهم**))(٣) وقال تعالى : ((**ولا تتبع الهوى فيضلك عن سـبيل الله**))(٤) ولذلك استعاذ ﷺ منه بقوله اللهم انى أعوذ بك من هوى مطـاع وشح متبع ، وقال : ثلاث مهلكات هوى مطاع وشح متبع واعجـاب المـرء بنفسه . وذلك لأن كل معصية سببها هوى النفس فهو يقود الى النـار أعاذنا الله منه . قال بعض العارفين اذا بدهك أمران لا تدرى فى أيهمـا

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٩٩ . (٢) سورة الجاثية : آية ٢٣ .
(٣) سورة المـائدة : آية ٤٨ . (٤) سورة ص : آية ٢٦ .

الصواب فانظر أيهما أقرب الى هواك فخالفه ، وفي هذا المعنى قال الشافعي رضي الله عنه :

اذا حال امرك في معنيين ولم تدر حيث الخطا والصواب
فخالف هواك فان الهوى يقود النفوس الى ما يعاب

وقال العباس اذا اشتبه عليك رأيان فدع أحبهما اليك وخذ أثقلهما عليك ، وأصله أن الأمر الخفيف يسهل عليك موقعه ويقرب موضعه وتخف مؤنته وتأتي معونته فيشره المرء اليه وتحرص النفس عليه ، والأمر الثقيل يصعب موقعه ويبعد موضعه وتبطىء معرتته فتكسل النفس عنه وتكره التعب به •

روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال اقدعوا هذه الأنفس فانها طليعة تنزع بكم الى شر غاية ، أن هذا الحق ثقيل مرىء • وان الباطل خفيف وبىء وترك الخطيئة أيسر من معالجة التوبة ، ورب نظرة زرعت شهوة ولذة ساعة أورثت حزنا طويلا • وقال لقمان لابنه أول ما أحذرك من نفسك فان لكل نفس هوى وشهوة فان أعطيتها شهوتها تمادت وطلبت سواها ، فان الشهوة كامنة في القلب كمون النار في الحجر ان قدح أورى وان ترك توارى •

قال بعضهم :

اذا ما أجبت النفس في كل دعوة دعتك الى الأمر القبيح المحرم

وقال آخر :

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى الى كل ما فيه عليك مقال

وقال غيره :

واعلم بانك لن تسود ولن ترى طرق الرشاد اذا اتبعت هواك

وقال :

اذا شئت اتيان المحامد كلها ونيل الذى ترجوه من رحمة الرب
فخالف هوى النفس المسيئة انه لأعدى وأردى من هوى الحب
هما سببا حتف الهوى غير ان في هوى الحب مهما عف بعد عن الذنب
وجل المعاصي في هوى النفس فاعتمد خلاف الذى تهواه ان كنت ذا لب

وقال :

أنارة العقل مكسوف بطوع هوى وعقل عاصي الهوى يزداد تنويرا

وقال الفضل بن العباس :

لقد ترفع الأيام من كان جاهلا ويردى الهوى ذا الرأى وهو لبيب
وقد تحمد الناس الفتى وهو مخطىء ويعذل في الاحسان وهو مصيب

وقال ﷺ : خلق الله العقل وقال له أقبل فأقبل وقال له أدبر

فأدبر فقال وعزتي وجلالي لا ركبتك الا في أحب الخلق الي ، وخلق الحمق فقال له أقبل فأقبل وقال له أدبر فأدبر فقال وعزتي وجلالي لا ركبتك الا في أبغض الخلق الي ... رواه الترمذي .

ولله در من قال :

وقد اصاب رأيه عين الصواب	**من استشار عقله في كل باب**
وقد راى ان الهوى مهما يجب	**يدعو الى سوء العواقب والعقاب**

وأنشد آخر :

اذا شئت ان تحظى وان تبلغ المنى	**فلا تسعد النفس المطيعة للهوى**
وخالف بها عن مقتضى شهواتها	**واياك ان تحفل بمن ضل أو غوى**
ودعها وما تدعو اليه فانها	**لأمارة بالسوء من هم أو مدى**
لعلك ان تنجو من النار انها	**لقاطعة الأمعاء نزاعة الشوى**

ومن منثورهم الهوى مركب ذميم يسير بك في ظلمات الفتن ومرتع وخيم يقعدك في مواطن المحن فلا تحملنك شهوة النفس على ركوب المذمات والقعود في مواطن الخطيئات ، قيل لبعضهم لو تزوجت قال لو قدرت أن أطلق نفسي لطلقتها وأنشد :

تجرد من الدنيا فانك انما	**سقطت الى الدنيا وانت مجرد**

الدنيا نوم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن في أضغاث أحلام من نظر بعين الهوى حار ومن حكم على الهوى جار ومن أطال النظر لم يدرك الغاية وليس لناظر نهاية .

وقال ﷺ : خير دينكم الورع وقال سيد العمل الورع وقال كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس ، وقال ﷺ : من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله اذا خلا لم يعبأ الله بشيء من علمه . قال ابراهيم بن أدهم الزهد ثلاثة مقامات فزهد فرض وهو الكف عن المحارم ، وزهد سلامة وهو ترك الشبهات ، وزهد فضل وهو الزهد في الجدل ، وهذا تفسير حسن . قال ابن المبارك الزهد اخفاء الزهد اذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه واذا طلب الناس فاهرب منه .

وما أحسن قول القائل :

انى وجدت فلا تظنن غيره	**أن التورع عند هذا الدرهم**
فاذا قدرت عليه ثم تركته	**فاعلم بان تقاك تقوى المسلم**

وليس الزاهد من زهد فى الدنيا وقد أعرضت عنه وانما الزاهد من أقبلت عليه فزوى عنها وجهه وآثر الفرار منهـا كمـا قال أبو تمـام :

اذا المرء لم يزهـد وقـد صبغت له **بعصـفرها الدنيـا فليس بزاهـد**

وقال بعض الحكماء :

تبـا لطـالب دنيـا لا بقـاء لهـا **كانمـا هى فى تصريفهـا حـلم**
صـفاؤها كـدر سراؤهـا ضرر **امانهـا غـرر أنوارهـا ظـلم**
شـبابها هـرم راحتهـا سـقم **لذاتهـا نـدم وجدانهـا عـدم**
لا يستفيق من الانكـاد صـاحبها **لو كان يملك ما قـد ضمنت ارم**
فخـل عنهـا ولا تركن لزهرتهـا **فانهـا نعـم فى طيهـا نقـم**
واعمـل لدار نعيم لا نفـاد لهـا **ولا يخـاف بهـا مـوت ولا هـرم**

ومن حكم يحيى بن معاذ ليكن نظرك الى الدنيا اعتبارا ، ورفضك لهـا اختيارا ، وسعيك فيها اضطرارا وطلبك الآخرة ابتدارا •

الباب الثانى والسبعون
فى صفـة الجنـة ومراتب أهلهـا

اعلم أن تلك الدار التى عرفت همومها وغمومها وهى النار تقابلهـا دار أخرى فتأمل نعيمها وسرورها فان من بعـد من احداهمـا اسـتقر لا محالة فى الأخرى فاسـتأثر الخوف من قلبك بطول الفكر فى أهوال الجحيم واسـتأثر الرجاء بطول الفكر فى النعيم المقيم الموعـود لأهـل الجنان ، وسق نفسك بسوط الخوف وقـدها بزمام الرجاء الى الصراط المستقيم فبذلك تنـال الملك العظيم وتسلم من العـذاب الأليم ، فتفكر فى أهـل الجنة وفى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختـوم جالسين على منابر الياقوت الأحمر فى خيـام من اللؤلؤ الرطب الأبيض فيها بسط من العبقرى الأخضر متكئين على الأرائك منصوبة على أطراف أنهاره مطردة بالخمر والعسـل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسـان كأنهن الياقوت والمرجان ، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ، يمشين فى درجات الجنـان إذا اختالت إحداهن فى مشيها حمل أعطافها سبعون ألفـا من الولدان ، عليها من طرائف الحرير الأبيض ما تتحير فيـه الأبصـار متوجات بالتيجـان المرصـعة باللؤلؤ والمرجان شكلات غنجات[1] عطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات فى الخيام

---

(١) الشكلات المتماثلات فى الهيئة والجمال والغنجات المتدللات على ازواجهن بلا خلاف ويقال امراة غنجة ومغناج .

فى قصور من الياقوت ، بنيت وسط روضات الجنان ، قاصرات الطرف عين ، ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين ، **ويطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون فى مقام أمين فى جنات وعيون فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .**

وينظرون فيها الى وجه الملك الكريم وقد أشرقت فى وجوههم نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبأنواع التحف من ربهم يتعاهدون ، فهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون ، لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من ريب المنون آمنون ، فهم فيها يتنعمون ويأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا وماء غير آسن ، أراضيها من فضة وحصباؤها مرجان وترابها مسك أذفر ونباتها زعفران ، ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور ويؤتون بأكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان ، كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب وكوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم يصنعه آدمى ، فيقصر فى تسوية صنعته وتحسين صناعته فى كف خادم يحكى ضياء وجهه الشمس فى اشراقها ، ولكن من أين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن أصداغه وملاحة أحداقه ، فيا عجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لا يموت أهلها ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنظر الأحداث بعين التغيير إلى أهلها ، كيف يأنس بدار قد أذن الله فى خرابها ويتهنأ بعيش دونها ، والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان لكان جديرا بأن يهجر الدنيا بسببها وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورته ، كيف وأهلها ملوك آمنون وفى أنواع السرور ممتعون لهم فى كل ما يشتهون وهم فى كل يوم بفناء العرش يحضرون وإلى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون ومن زوالها آمنون .

قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : ينادى مناد يا أهل الجنة آن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وآن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وآن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وآن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا ابدا فذلك قوله عز وجل : « **ونودوا ان تلكم الجنة أورثتموها**

بما كنتم تعملون ›)(١) ، ومهما أردت أن تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء بيان الله تعالى بيان واقرأ من قوله تعالى : ‹‹ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ››(٢) **الى آخر** سورة الرحمن ، واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور ، وان أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الأخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد أن اطلعت على جملتها وتأمل أولا (عدد الجنان) .

قال رسول الله ﷺ فى قوله تعالى : ‹‹ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ››(٢) قال جنتان من فضة ، آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن ، ثم انظر الى أبواب الجنة فانها كثيرة بحسب أصول الطاعات كما أن أبواب النار بحسب أصول المعاصى . قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : من أنفق زوجين من ماله فى سبيل الله دعى من أبواب الجنة كلها وللجنة ثمانية أبواب ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام ، ومن كان أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد . فقال أبو بكر رضى الله عنه : والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعى فهل يدعى أحد منها كلها قال نعم وأرجو أن تكون منهم .

وعن عاصم بن ضمرة عن على كرم الله وجهه أنه ذكر النار فعظم امرها ذكرا لا أحفظه ثم قال : ‹‹ **وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا** ››(١) حتى اذا انتهوا الى باب من ابوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احداهما كما أمروا به فشربوا منها فأذهبت ما فى بطونهم من أذى أو بأس ثم عمدوا الى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلا تتغير أشعارهم بعدها أبدا ولا تشعث رؤوسهم كانما دهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة ، فقال لهم خزنتها : ‹‹ **سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين** ››(١) ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من غيبة يقولون له أبشر أعد الله لك من الكرامة كذا ، قال فينطلق غلام من أولئك الولدان الى بعض أزواجه من الحور العين

---

(١) سورة الأعراف : آية ٤٣ . (٢) سورة الرحمن : آية ٤٦ .

(٢) سورة الزمر : آية ٧٣ .

فيقول قد جاء فلان باسمه الذى كان يدعى به فى الدنيا ، فتقول أنت رأيته فيقول أنا رأيته وهو بأثرى فيستخفها الفرح حتى تقوم الى أسكفة بابها فاذا انتهى الى منزلة نظر الى أساس بنيانه فاذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أحمر وأخضر وأصفر من كل لون ثم يرفع رأسه فينظر الى سقفه فاذا هو مثل البرق ولولا أن الله تعالى أقدره لألم بأن يذهب بصره ثم يطأطىء رأسه فاذا أزواجه وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة • ثم اتكأ فقال الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، ثم ينادى مناد تحيون فلا تموتون أبدا وتقيمون فلا تظعنون أبدا وتصحون فلا تمرضون أبدا •

وقال رسول الله ﷺ : آتى يوم القيامة باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا افتح لأحد قبلك •

ثم تأمل الآن فى غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فان الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ، وكما أن بين الناس فى الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر ، فان كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمر الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال تعالى : « **سابقوا الى مغفرة من ربكم** »(١) وقال تعالى : « **وفى ذلك فليتنافس المتنافسون** »(٢) والعجب انه لو تقدم عليك اقرانك او جيرانك بزيادة درهم أو بعلو بناء ثقل عليك ذلك أو ضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك ، وأحسن أحوالك ، أن تستقر فى الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها •

فقد قال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله ﷺ : ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الغائر فى الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم ، قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ، قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال أيضا أن أهل الدرجات العلا ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع فى أفق من آفاق السماء وان أبا بكر وعمر لمنهم ، وأنعما ، وقال جابر قال لنا رسول الله ﷺ : ألا أحدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليك بأبينا أنت وأمنا قال :

---

(١) سورة الحديد : آية ٢١ .
(٢) سورة المطففين : آية ٢٦ .
(٣) سور التوبة : آية ٧٢ .

ان فى الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيهـا من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يا رسول الله ولمن هذه الغرف قال لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والنـاس نيام قال قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال أمتى تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك . من لقى أخاه فسلم عليه فقد أفشى السـلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقـد أطعم الطعـام ومن صـام شـهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقـد أدام الصيام ومن صلى العشـاء الآخرة وصلى الغداة فى الجماعة فقد صلى بالليل والنـاس نيـام يعنى اليهود والنصارى والمجوس . وسئل رسول الله ﷺ عن قوله تعـالى : ((**ومساكن طيبة فى جنات عـدن**))(١) قال قصـور من لؤلؤ فى كـل قصر سبعون دارا من ياقوت أحمر فى كل دار سبعون بيتـا من زمرد أخضر ، فى كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشـا من كل لون ، على كل فراش زوجـة من الحور العين ، فى كل بيت سـبعون مائدة ، على كل مائدة سبعون لونا من الطعام ، فى كل بيت سـبعون وصيفة ، ويعطى المؤمن فى كل غداة يعنى من القوة ما يأتى على ذلك أجمع .

البـاب الثـالث والسبعون
فى الصـبر والرضـا والقنـاعة

أما فضـل الرضـا من الآيـات فقوله تعـالى : ((**رضى الله عنهم ورضـوا عنـه**))(٢) وقـد قال تعـالى : ((**هـل جـزاء الاحسـان الا الاحسان**))(٣) ومنتهى الاحسـان رضـا الله عن عبده وهو ثواب رضـا العبد عن الله تعـالى ، وقال تعـالى : ((**ومسـاكن طيبة فى جنـات عـدن ورضوان من الله أكبر**))(٤) فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال : ((**إن الصلاة تنهى عن الفحشـاء والمنكر ولذكـر الله أكبر**))(٥) فكما ان مشـاهدة المذكور فى الصـلاة اكبر من الصـلاة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب سـكان الجنان . وفى الحديث : ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين ، فيقول سلونى ، فيقولون رضـاك ، فسؤالهم الرضـا بعد النظـر نهاية التفضيل وأما رضد العبد

---

(١) سورة التوبة : آية ٧٢ .
(٢) سورة المـائدة : آية ١١٩ .
(٣) سورة الرحمن : آية ٦٠ .
(٤) سورة التوبة : آية ٧٢ .
(٥) سورة العنكبوت : آية ٤٥ .

فسنذكر حقيقته وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه فى حب الله للعبد . ولا يجوز أن يكشف عن حقيقته اذ تقصر أفهام الخلق عن دركه ، ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه فانما سألوا الرضا لأنه سبب دوام النظر فكأنهم رأوه غاية الغايات وأقصى الأمانى لما ظفروا بنعيم النظر ، فلما أمروا بالسؤال لم يسألوا الا دوامه وعلموا أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال الله تعالى « **ولدينا مزيد** »(١) قال بعض المفسرين فيه يأتى أهل الجنة فى وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين : احداها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم فى الجنان مثلها فذلك قوله تعالى : « **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين** »(٢) والثانية السلام عليهم من ربهم ، فيزيد ذلك على الهدية فضلا وهو قوله تعالى : « **سلام قولا من رب رحيم** »(٣) والثالثة يقول الله تعالى : « **رضوان من الله اكبر** »(٤) اى من النعيم الذى هم فيه فهذا فضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد .

وأما فضله من الأخبار فقد روى أن النبى ﷺ سأل طائفة من أصحابه ما أنتم ، فقالوا مؤمنون ، فقال ما علامة إيمانكم ، فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء ، فقال مؤمنون ورب الكعبة ، وفى خبر آخر انه قال : حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء . وفى الخبر : طوبى لمن هدى للاسلام وكان رزقه كفافا ورضى به . وقال ﷺ : من رضى من الله تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل . وقال تعالى : اذا أحب الله تعالى عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضى اصطفاه . وقال أيضا اذا كان يوم القيامة أنبت الله تعالى لطائفة من أمتى أجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاءوا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب ، فيقولون ما رأينا حسابا فتقول لهم هل جزتم الصراط ، فيقولون ما رأينا صراطا فتقول لهم هل رأيتم جهنم ، فيقولون ما رأينا شيئا ، فتقول الملائكة من أمة من أنتم ، فيقولون من أمة محمد ﷺ ، فتقول نشدناكم الله حدثونا ما كانت

---

(١) سورة ق : آية ٣٥ .
(٢) سورة السجدة : آية ١٧
(٣) سورة يس آية : ٥٨ .
(٤) سورة التوبة : آية ٧٢ .

أعمالكم فى الدنيـا ، فيقولون خصلتان كانتا فينـا فبلغنـا هذه المنزلة بفضل رحمة الله ، فيقولون وما هما ، فيقولون كنـا اذا خلونا نستحى أن نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا ، فتقول الملائكة يحق لكم هذا .

وقال ﷺ : يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفـروا بثواب فقركم والا فلا . وفى أخبار موسى عليه السلام ان بنى اسرائيل قالوا له سـل لنـا ربك أمـرا اذا نحن فعلنـاه يرضى به عنـا ، فقال موسى عليه السلام الهى قد سمعت ما قالوا : فقالوا يا موسى قـل لهم يرضـون عنى حتى أرضى عنهم .

وأما فضـل الصبر فقد ذكر فى القرآن فى نيف[1] وتسعين موضعا وأضاف أكثر الدرجات والخيرات الى الصبر وجعلها ثمـرا له وجمـع الصـابرين بين أمـور لم يجمعها لغـيرهم فقال تعـالى ((**أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمـة وأولئك هـم المهتـدون**))[2] فالهـدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات فى مقـام الصبر يطـول .

وأما الأخبار : فقد قال ﷺ : الصبر نصف الايمان ، وقال ﷺ : من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهمـا لم يبال بمـا فاته من قيام الليـل وصيام النهـار ، ولأن تصبروا على ما أتتم عليه أحب الى من أن يوافينى كل امرىء منكم بمثـل عمـل جميعكم ، ولكنى أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعضـا وينكركم أهل السماء عند ذلك ، فمن صبر واحتسب ظفـر بكمـال ثوابه ، ثم قـرأ قوله تعـالى : ((**ما عندكم ينفـد وما عند الله باق ولنجـزين الذين صبروا أجرهم**))[3] الآية ..

وروى جابر أنه سئل ﷺ عن الايمان فقال : الصبر والسماحة . وقال أيضا : الصبر كنز من كنـوز الجنـة . وسـئل مرة ما الايسـان فقال الصبر . وهذا يشـبه قوله ﷺ : الحج عرفة معنـاه معظم الحج عرفة ، وقال أيضا ﷺ : أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس ، وقيـل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلق بأخلاقى وان من أخـلاقى أنى أنا الصبـور . وفى حديث عطـاء عن ابن عبـاس لمـا دخل رسول

---

(١) بل أكثر من مائة مرة من الصبر ومشتقات الصبر .

(٢) سورة البقرة : آية ١٥٧ .

(٣) سورة النحل : آية ٩٦ .

الله ﷺ على الأنصار فقال : أمؤمنون أنتم ؟ فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله ، قال وما علامة ايمانكم قالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء . فقال ﷺ : مؤمنون ورب الكعبة . وقال ﷺ : فى الصبر على ما تكره خير كثير . وقال المسيح عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون . وقال رسول الله ﷺ : لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والأخبار فى هذا لا تحصى ، وقال ﷺ : عز من قنع وذل من طمع ، وقال ﷺ : القناعة كنز لا يفنى . وتقدم الكلام على القناعة مرارا .

الباب الرابع والسبعون
فى فضل التوكل

فمن الآيات قوله تعالى : ((**ان الله يحب المتوكلين**))(١) واعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ، ومضمون بكفاية الله تعالى ملابسه ، فمن الله تعالى حسبه وكافيه ومحبه وراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب ، ومن الأخبار قوله ﷺ : فيما رواه ابن مسعود رأيت الأمم فى الموسم فرأيت أمتى قد ملأوا السهل والجبل فأعجبتنى كثرتهم وهيئتهم فقيل لى أرضيت قلت نعم قليل ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتوون ، ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة وقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال ﷺ سبقك بها عكاشة . وقال ﷺ : لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا . وقال ﷺ : من انقطع الى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها . وقال ﷺ : من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما فى يديه .

ويروى عن رسول الله ﷺ أنه كان اذا أصاب أهله خصاصة قال : قوموا الى الصلاة ويقول بهذا أمرنى ربى عز وجل : قال عز وجل :

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٥٩ .

« **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليهـا** »(١) الآية .. وقال ﷺ لم يتوكـل من استرقى واكتوى .

وروى أنه لمـا قال جبريل لابراهيم عليهما السـلام وقـد رمى الى النار بالمنجنيق ألك حاجة قال أما اليك فلا وفاء بقـوله حسبى الله ونعـم الوكيـل اذ قال ذلك حين أخـذ لـيرمى فأنزل الله تعـالى : « **وابراهيم الذى وفى** »(٢) ، وأوحى الله تعـالى الى داود عليه السـلام : يا داود ما من عبد يعتصم بى دون خلقى فتكيده السموات والأرض الا جعلت له مخرجا . وقال سعيد بن جبير لدغتنى عقـرب فأقسمت على أمى لتسترقين فناولت الراقى يدى التى لم تلدغ وقـرأ الخواص قوله تعـالى : « **وتوكـل على الحى الذى لا يموت** »(٣) الى آخـرها فقـال ما ينبغى للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ الى أحـد غير الله تعالى . وقيـل لبعض العلماء فى منامه من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته .

وقال بعض العلماء لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنـال من الدنيا الا ما قد كتب الله لك . وقال يحيى بن معاذ فى وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد . وقال ابراهيم بن أدهم سـألت بعض الرهبان من أين تأكل فقال لى ليس هـذا العلم عندى ولكن سـل ربى من أين يطعمنى . وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجـدت الى كل خـير سبيلا .. نسأل الله حسن الأدب .

الباب الخامس والسبعون
فى فضـل المسـجد

قال الله عز وجـل : « **انمـا يعمر مسـاجد الله من آمن بالله واليوم الآخـر** »(٤) وقال ﷺ : من بنى لله مسـجدا ولو كمفحص قطـاة بنى الله له قصرا فى الجنة ، وقال ﷺ : من ألف المسـجد ألفه الله تعـالى ، وقال ﷺ : اذا دخل أحدكم المسـجد فليركع ركعتين قبـل أن يجلس : وقال ﷺ : لا صلاة لجـار المسجد الا فى المسـجد ، وقال ﷺ : الملائكة تصلى على أحدكم ما دام فى مصلاه الذى يصلى فيه تقول اللهم صـل

(١) سورة طه : آية ١٣٢ .
(٢) سورة النجم : آية ٣٧ .
(٣) سورة الفرقان : آية ٥٨
(٤) سورة التوبة : آية ١٨ .

عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له ما لم يحدث أو يخرج من المسجد • وقال ﷺ : يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة • وقال ﷺ قال الله عز وجل فى بعض الكتب ان بيوتى فى أرضى المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور أن يكرم زائره • وقال ﷺ اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان ، وقال سعيد بن المسيب من جلس فى المسجد فانما يجالس ربه فما حقه أن يقول الا خيرا •

ويروى فى الأثر أو الخبر : الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش • وقال النخعى كانوا يرون أن المشى فى الليلة المظلمة الى المسجد موجب للجنة • وقال أنس بن مالك من أسرج فى المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام فى ذلك المسجد ضوؤه • وقال على كرم الله وجهه اذا مات العبد يبكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ : ((**فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين**))(١) وقال ابن عباس تبكى عليه الأرض أربعين صباحا • وقال عطاء الخراسانى ما من عبد يسجد لله سجدة فى بقعة من بقاع الأرض الا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت • وقال أنس بن مالك ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل الى منتهاها من سبع أرضين وما من عبد يقدم يصلى الا تزخرفت له الأرض • ويقال ما من منزل ينزل فيه قوم الا أصبح ذلك المنزل يصلى عليهم أو يلعنهم •

الباب السادس السبعون
فى الرياضة وفضل أهل الكرامة

اعلم أن الله عز وجل اذا أراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى فى عين أخيه ولا يرى الجذع فى عين نفسه فمن أراد أن يعرف نفسه فله أربعة

---

(١) سورة الدخان : آية ٢٩ .

طرق .. (الأول) أن يجلس بين يدى شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه فى نفسه ويتبع اشارته فى مجاهدته وهـذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قـد عز فى هـذا الزمان وجـوده ، (الثانى) أن يطلب صديقا صدوقا بصـيرا متدينا فينصبه رقيبـا على نفسـه ليلاحظ أحواله وأفعـاله فما كره من أخـلاقه وعيوبه الباطنـة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمـة الدين .

كان عمر رضى الله عنه يقول رحـم الله امرءا أهـدى الى عيوبى وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال ما الذى بلغك عنى مما تكرهه فاستعفى فألح عليه فقال بلغنى أنك جمعت بين ادامين على مائـدة وأن لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليـل ، قال وهـل بلغك غير هـذا قال لا ، فقال أما هذان فقد كفيتهما . وكان يسـأل حذيفـة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله ﷺ فى المنافقين فهـل ترى على شـيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قـدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه رضى الله عنه فكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقـل اعجـابا واعظم اتهاما لنفسه الا أن هـذا أيضا قـد عز فقل فى الأصـدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب أو يترك الحسد فلا يزيد على قـدر الواجب فلا تخلو فى أصدقائك عن حسود أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبـا أو عن مداهن يخفى عنك بعض عيوبك ، ولهذا كان داود الطائى قد اعتزل الناس فقيـل له لم لا تخالط الناس فقال وماذا أصنع بأقوام يخفون عنى عيوبى . فكانت شهوة ذوى الدين أن ينتبهوا لعيوبهم بتنبيـه غيرهم وقد آل الأمـر فى أمثالنا الى أن أبغض الخلق الينا من ينصحنـا ويعرفنا عيوبنا ويكاد هذا أن يكون مفصحـا عن ضعف الايمـان فان الأخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة فلو نبهنا منبه على أن تحت ثوبنـا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بازالة العقرب وابعادها وقتلهـا وانمـا نكايتها على البدن ويدوم ألمها يوما فما دونه ونكاية الأخـلاق الرديئـة على صميم القلب أخشى أن تدوم بعـد الموت أبـدا أو آلافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشـتغل بازالتهـا بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقابلته فنقول له وأنت أيضـا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشـبه أن يكون ذلك

من قساوة القلب التى أثمرتها كثرة الذنوب . وأصـل كل ذلك ضعف الايمان فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوبنـا ويشـغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله .

الطريق الثالث أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسـنة أعدائه فان عين السخط تبدى المساوىء ولعل انتفاع الانسان بعدو مشـاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثنى عليه ويمدحه ويخفى عنه عيوبه الا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فان مسـاويه لابد وأن تنتشر على ألسنتهم .

الطريق الرابع أن يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطـالب نفسـه بها وينسبها اليـه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة فى اتبـاع الهوى ، فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شىء منه فليتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يـذمه من غيره ، وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب .

واعلم أن ما ذكرناه ان تأملته بعين الاعتبـار انفتحت بصـيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنـور العـلم واليقين فان عجزت عن ذلك فلا ينبغى أن يفوتك التصديق والايمان على سـبيل التلقى والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجـة كمـا أن للعـلم درجـة والعـلم يحصـل بعد الايمـان وهو وراءه قال الله تعـالى : ((**يرفـع الله الذين آمنـوا منكم والذين أوتـوا العـلم درجـات**))(١) ، فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هو الطريق الى الله عز وجل ولم يطلع على سـببه وسره فهو من الذين آمنوا ، واذا اطلع على ما ذكـرناه من أعوان الشـهوات فهو من الذين أوتوا العـلم وكـلا وعـد الله الحسنى والذى يقتضى الايمان بهذا الأمـر فى القرآن والسـنة وأقاويل العلماء أكثر من ان يحصر ، قال الله تعـالى : ((**ونهى النفس عن الهـوى * فـان الجنـة هى المـاوى**))(٢) وقال تعـالى : ((**أولئك الذين امتحن الله قلوبهم**

---

(١) سورة المجادلة : آية ١١
(٢) سورة النازعات : آية ٤٠ ، ٤١ .

للتقوى »(١) قيــل نزع منهـا محبــة الشــهوات . وقال ﷺ : المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضــه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه • فبين أن النفس عدو منازع يجب عليه مجاهدتها •

ويروى أن الله تعــالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود حــذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فان القلوب المتعلقــة بشهوات الدنيــا عقولها عنى محجوبة ، وقال عيسى عليه الســلام طوبى لمن ترك شــهوة حاضرة لموعود غائب لم يره • وقال نبينا ﷺ لقوم قدموا من الجهــاد : مرحبا بكم قدمتهم من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر ، قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس • وقال ﷺ : المجاهد من جاهــد نفسه فى طاعة الله عز وجل • وقال سفيان الثورى ما عالجت شيئا أشــد على من نفسى مــرة لى ومرة على ، وكان أبو العبــاس الموصلى يقول لنفسه يا نفس لا فى الدنيا مع أبنــاء الملوك تتنعمين ولا فى طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كأنى بك بين الجنــة والنــار تحبســين يا نفس ألا تستحين • وقال الحسن ما الدابة الجموح بأحوج الى اللجام الشــديد من نفسك • وقال يحيى بن معــاذ الرازى جاهد نفسك بأسياف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من المنــام والحاجة من الكلام وحمــل الأذى من جميع الأنام فيتولد من قلة الطعــام موت الشــهوات ومن قلة المنــام صفو الارادات ومن قلة الكلام الســلامة من الآفات ومن احتمال الأذى البلوغ الى الغايات •

وقال أيضا أعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفســه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من اســتولت عليه النفس صــار أســيرا فى حب شهواتها محصورا فى سجن هواها مقهورا مغلولا زمامه فى يــدها تجــره حيث شاءت فتمنع قلبه من الفوائد • وقال جعفر بن حميد أجمعت العلماء والحكمــاء على أن النعيم لا يــدرك الا بترك النعيم • وقال أبو يحيى الوراق من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس فى قلبه شجر الندامات • وقال وهيب بن الورد ما زاد على الخبز فهو شهوة ، وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل •

---

(١) سورة الحجرات : آية ٣ .

ويروى أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد أن ملك خزائن الأرض وقعدت له على رابية الطريق فى يوم موكبه وكان يركب فى زهاء اثنى عشر ألفا من عظماء مملكته سبحان من جعل الملوك عبيدا بالمعصية وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وذلك جزاء المفسدين وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا . فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه : ((**انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين**))(١) وقال الجنيد أرقت ليلة فقمت الى وردى فلم أجد الحلاوة التى كنت أجدها فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فخرجت فاذا رجل يلتف فى عباءة مطروح على الطريق ، فلما أحس بى قال يا أبا القاسم الى الساعة فقلت يا سيدى من غير موعد ، فقال بلى سألت الله عز وجل أن يحرك لى قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال : فمتى يصير داء النفس دواها فقلت اذا خالفت النفس هواها فأقبل على نفسه فقال اسمعى فقد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسمعيه الا من الجنيد ها قد سمعتيه ثم انصرف وما عرفته • وقال يزيد الرقاشى اليكم عنى الماء البارد فى الدنيا لعلى لا أحرمه فى الآخرة • وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى أتكلم قال اذا اشتهيت الصمت، قال متى أصمت قال اذا اشتهيت الكلام • وقال على رضى الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن عن الشهوات فى الدنيا •

الباب السابع والسبعون
فى الإيمان والنفاق

اعلم أن كمال الإيمان الذى هو التصديق بوحدانية الله تعالى وبما جاءت به الرسل صلوات الله عليهم بزيادة الأعمال • قال الله تعالى : ((**انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون**))(٢) وقال الله تعالى : ((**ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين**))(٣) فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال تعالى : ((**أولئك الذين صدقوا**)) وقد قال تعالى :

---

(١) سورة يوسف : آية ٩٠ .
(٢) سورة الحجرات : آية ١٥ .
(٣) سورة البقرة : آية ١٧٧ .

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »(١) ، وقال تعالى : **« لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل »**(٢) الآية .. وقد قال تعالى : **« هم درجات عند الله »**(٣) وقال ﷺ : الايمان عريان ولباسه التقوى ... الحديث . وقال ﷺ : الايمان بضع وسبعون بابا أدناها اماطة الأذى عن الطريق ، فهذا ما يدل على ارتباط كمال الايمان بالأعمال وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفى فقوله ﷺ أربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم أنه مؤمن من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر . وفى بعض الروايات واذا عاهد غدر . وقال عليه السلام أكثر منافقى هذه الأمة قراؤها . وفى الحديث الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا . وقال حذيفة رضى الله عنه كان الرجل يتكلم الكلمة على عهد رسول الله ﷺ يصير بها منافقا الى أن يموت وانى لأسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات .

وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى أنه برىء من النفاق . وقال حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد النبى ﷺ فكانوا اذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الايمان وكماله وهو خفى وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه برىء منه فقد قيل للحسن البصرى يقولون : انه لا نفاق اليوم فقال يا أخى لو هلك المنافقون لاستوحشتهم فى الطريق: وقال هو أو غيره لو نبتت للمنافقين أذناب ما قدرنا أن نطأ على الأرض بأقدامنا وسمع ابن عمر رضى الله عنه رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا يسمع أكنت تتكلم فيه فقال لا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله ﷺ ، وقال ﷺ من كان ذا لسانين فى الدنيا جعله الله ذا لسانين فى الآخرة . وقال أيضا ﷺ شر الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه ويأتى هؤلاء بوجه ، وقيل للحسن أن قوما يقولون انا لا نخاف النفاق فقال والله لأن أكون أعلم انى برىء من النفاق أحب الى من تلال الأرض ذهبا ، وقال الحسن ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج . وقال رجل لحذيفة رضى الله عنه انى أخاف أن أكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق ان المنافق قد أمن من النفاق وقال ابن أبى مليكة أدركت ثلاثين

(١) سورة المجادلة : آية ١١ . (٢) سورة الحديد : آية ١٠ .
(٣) سورة آل عمران : آية ١٦٣ .

ومائة وفى ورواية خمسين ومائة من أصحاب النبى ﷺ كلهم يخافون النفاق .

وروى أن رسول الله ﷺ كان جالسا فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود فقالوا يا رسول الله هو هذا الرجل الذى وصفناه ، فقال ﷺ أرى على وجهه سفعة من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم ، فقال النبى ﷺ نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك ، فقال اللهم نعم ، فقال ﷺ فى دعائه اللهم انى أستغفرك لما علمت ولما لم أعلم فقيل له أتخاف يا رسول الله ، فقال وما يؤمننى والقلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء . وقد قال سبحانه وتعالى : ((**وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون**))(١) قيل فى التفسير عملوا اعمالا ظنوا انها حسنات فكانت فى كفة السيئات . وقال سرى السقطى لو أن انسانا دخل بستانا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك يا ولى الله فسكنت نفسه الى ذلك كان أسيرا فى يديها . فهذه الأخبار والآثار تعرفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفى وأنه لا يؤمن منه حتى كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذكر فى المنافقين . وقال أبو سليمان الدارانى سمعت من بعض الأمراء شيئا فأردت أن أنكره فخفت أن يأمر بقتلى ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض لقلبى التزين للخلق عند خروج روحى فكففت وهذا من النفاق الذى يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاءه لا أصله ، فالنفاق نفاقان أحدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك فى زمرة المخلدين فى النار والثانى يفضى بصاحبه الى النار مدة أو ينقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين .

الباب الثامن والسبعون
فى النهى عن الغيبة والنميمة

أما الغيبة فقد نص الله سبحانه على ذمها فى كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة ، فقال تعالى : ((**ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب**

---

(١) سورة الزمر : آية ٤٧ .

احدكم أن ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه »(١) . وقال عليه السلام كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ، والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم . وقال أبو برزة قال عليه السلام لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا . وعن جابر وأبى سعيد قالا قال رسول الله ﷺ : اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا فان الرجل قد يزنى ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه . وقال أنس قال رسول الله ﷺ : مررت ليلة أسرى بى على أقوام يخمشون وجوههم بأظافرهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون فى أعراضهم . وقال سليمان بن جابر أتيت النبى عليه الصلاة والسلام فقلت علمنى خيرا أنتفع به ، فقال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تصب من دلوك فى اناء المستقى وان تلقى أخاك ببشر حسن وان أدبر فلا تغتبه .

وقال البراء خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق فى بيوتهن فقال : يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه فى جوف بيته .

وقيل أوحى الله الى موسى عليه السلام : من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار . وقال أنس أمر رسول الله ﷺ الناس بصوم يوم فقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس حتى اذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول يا رسول الله ظللت صائما فأذن لى لأفطر فيأذن له والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من أهلى ظلتا صائمتين وانهما يستحيان أن يأتينك فأذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه ﷺ ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين أن يستقيئا فرجع اليهما فأخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبى ﷺ فأخبره ، فقال والذى نفسى بيده لو بقيتا فى بطونهما لأكلتهما النار ، وفى رواية أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يارسول الله أنهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا ، فقال ﷺ ائتونى

---

(١) سورة الحجرات : آية ١٢ .

بهما فجاءتا فدعا رسول الله ﷺ بقدح فقال لاحداهما قيئى فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للاخرى قيئى فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احدهما الى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس .

وقال أنس خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه فقال أن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله فى الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأربى الربا عرض الرجل المسلم .

وأما النميمة فهى خصلة ذميمة قال الله تعالى : ((**هماز مشاء بنميم**))(١) ثم قال : ((**عتل بعد ذلك زنيم**))(٢) ، قال عبد الله بن المبارك الزنيم ولد الزنا الذى لا يكتم الحديث وأشار به الى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد زنا استنباطا من قوله عز وجل : ((**عتل بعد ذلك زنيم**))(٣) . والزنيم هو الدعى وقال تعالى : ((**ويل لكل همزة لمزة**))(٤) قيل الهمزة النمام ، وقال تعالى : ((**حمالة الحطب**))(٥) قيل انها كانت نمامة حمالة للحديث قال تعالى : ((**فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا**))(٦) قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح تخبر أنه مجنون ، وقد قال ﷺ : لا يدخل الجنة نمام . وفى حديث آخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام . وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ أحبكم الى الله أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وان أبغضكم الى الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأخوان الملتمسون للبرآء العثرات وقال ﷺ ألا أخبركم بشراركم قالوا بل قال المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب . وقال أبو ذر قال رسول الله ﷺ من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها فى النار يوم القيامة . وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ : أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو برىء ليشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يشينه بها يوم القيامة فى النار . وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة ، وعن ابن عمر عن النبى ﷺ أن الله لما خلق الجنة قال لها تكلمى فقالت سعد من دخلنى .

(١) سورة القلم : آية ١١ . (٢) سورة القلم : آية ١٣ .
(٣) سورة القلم : آية ١٣ . (٤) سورة الهمزة : آية ١ .
(٥) سورة المسد : آية ٤ . (٦) سورة التحريم : آية ١٠ .

فقال الجبار جــل جلاله وعزتى وجلالى لا يسكن فيك ثمانية نفــر من الناس : لا يسكنك مدمن خمر ولا مصر على الزنــا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطى ولا مخنث ولا قاطع رحــم ولا الذى يقــول على لله ان لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به .

وروى كعب الأحبار أن بنى اسرائيل أصابهم قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات . فما ســقوا فأوحى الله تعالى اليه أنى لا أســتجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قــــد أصر على النميمة ، فقال موسى يارب من هــو دلنى عليــه حتى أخــرجه من بيننا ، قال يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فتابوا جميعا فسقوا . ويقال اتبــع رجــل حكيما سبعمائة فرسخ فى سبع كلمات فلما قــدم عليــه قال انى جئتــك للذى آتاك الله تعالى من العلم أخبرنى عن السماء وما أثقــل منها وعن الأرض وما أوسع منها وعن الصخر وما أقسى منه وعن النار وما أحر منها وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أغنى منه وعن اليتيم وما أذل منه فقال له الحكيم البهتان على البرىء أثقــل من السموات والحق أوسع من الأرض والقلب القانع أغنى من البحــر والحرص والحســد أحــر من النار والحاجة الى القــــريب اذا لم تنجح أبرد من الزمهرير وقلب الكافر أقسى من الحجر والنمام اذا بان أمره أذل من اليتيم .

وما أحسن قول الشاعر :

من نم فى النــاس لم تؤمن عقاربه ... على الصــديق ولم تؤمن أفاعيــه
كالسيل بالليل لا يدرى به أحــد ... من أين جــاء ولا من أين يأتيــه
الويل للعهــد منــه كيف ينقضــه ... والويل للود منــه كيف ينعيــــه

وقــول الآخر :

يسعى عليك كما يســعى اليك فلا ... تأمن غــوائل ذى وجهــين كيــاد

الباب التاسع والسبعون
فى بيــان عــداوة الشــيطان

قال ﷺ : فى القلب لمتان لمــة من الملك ايعاد الخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ولمــة من العــدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخــير فمن وجــد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعــالى : ((**الشيطان يعدكم الفقــر ويأمركم بالفحشـــاء**))[1] الآية .. وقال الحسن : انما هما همان يجولان

(١) سورة البقرة : آية ٢٦٨

فى القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوه جاهده ، وقال جابر بن عبيدة العدوى شكوت الى العلاء بن زياد ما أجد فى صدرى من الوسوسة فقال انما ذلك مثل البيت الذى يمر به اللصوص فان كان فيه شىء عالجوه والا مضوا وتركوه يعنى أن القلب الخالى عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى : ((**ان عبادى ليس لك عليهم سلطان**))(١) فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلط الله عليه الشيطان وقال تعالى : ((**أفرأيت من اتخذ الهه هواه**)) (٢) وهو اشارة الى ان الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ، ولذلك قال عمرو بن العاص للنبى ﷺ يا رسول الله حال الشيطان بينى وبين صلاتى وقراءتى فقال : ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى .

وفى الخبر أن للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ، ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب الا ذكر ما سوى ما يوسوس به لأنه اذا خطر فى القلب ذكر شىء انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شىء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به يجوز أيضا أن يكون مجالا للشيطان وذكر الله هو الذى يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشىء الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبرى عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى وانما الشيطان يطوف عليهم فى أوقات الفلتات على سبيل الخلسة . قال الله تعالى : ((**ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون**))(٣) وقال مجاهد فى معنى قول الله تعالى : ((**من شر الوسواس الخناس** (٤) قال هو منبسط على القلب فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى : ((**استحوذ عليهم الشيطان فانساهم**

---

(١) سورة الحجر : آية ٤٢ .
(٢) سورة الجاثية : آية ٢٣ .
(٣) سورة الاعراف : آية ٢٠١ .
(٤) سورة الناس : آية ٤ .

ذكر الله »(١) وقال أنس قال رسـول الله ﷺ : ان الشيطان واضـع خرطومه على قلب ابن آدم فان هـو ذكر الله تعالى خنس وان نسى الله تعالى التقم قلبه ، وقال ابن وضاح فى حديث ذكره اذا بلغ الرجـل أربعين سنة ولم يتب مسـح الشيطان وجهه بيده وقال بأبى وجهه وجه من لا يفلح وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمـه فسـلطنة الشيطان أيضا سارية فى لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه .

ولذلك قال ﷺ ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجـرى الـدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولأجـل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه ، قال الله تعالى اخبـارا عن ابليس : « **لأقعـدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهـم وعن أيمـانهم وعن شـمائلهم** »(٢) . وقال ﷺ ان الشيطان قعد لابن آدم بأطرقة فقعد له بطريق الاسـلام فقال أتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه وأسلم ثم قعـد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر وتدع أرضك وسماءك فعصـاه وهاجر ثم قعـد له بطريق الجهاد فقال أتجاهد وهـو تلف النفس والمـال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد ، وقال رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة .

البـاب الثمـانون

فى بيان المحبـة ومحاسبة النفس

قال سفيان المحبة اتبـاع رسول الله ﷺ وقال غـيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضـهم كراهية البقاء فى الدنيـا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبـة فأما نفس المحبة فلم يتعرضـوا لهـا وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن ادراكه وتمتنع الألسن عن عبارته ، وقال الجنيد حـرم الله تعالى المحبـة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العـوض زالت المحبـة وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله احـذر أن تذل لغـير الله ، وقيـل للشبلى رحمه الله صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك وأنشد الشبلى رحمه الله :

---

(١) سورة المجادلة : آية ١٩ .
(٢) سورة الاعراف : آية ١٦، ١٧ .

يا أيها السيد الكريم **حبك بين الحشا مقيم**
يا رافع النوم عن جفونى **أنت بما مر بى عليم**

وقالت رابعة العدوية يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه ، وقال ابن الجلاء رحمه الله تعالى أوحى الله الى عيسى عليه السلام أنى اذا اطلعت على سر عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبى وتوليته بحفظى ، وقيل تكلم سمنون يوما فى المحبة فاذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الأرض حتى سال الدم منه فمات ، وقال ابراهيم بن أدهم الهى انك تعلم أن الجنة لا تزن عندى جناح بعوضة فى جنب ما أكرمتنى من محبتك وآنستنى بذكرك وفرغتنى للتفكر فى عظمتك ، وقال السرى رحمه الله من أحب الله عاش ومن مال الى الدنيا طاش والأحمق يغدو ويروح فى لاش والعاقل عن عيوبه فتاش •

واما محاسبة النفس فقد امر الله بها بقوله تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد**))(١) وهذه اشارة الى المحاسبة على ما مضى من الأعمال ولذلك قال عمر رضى الله تعالى عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا ، وفى الخبر أنه عليه السلام جاءه رجل فقال يارسول الله أوصنى فقال أمستوص أنت فقال نعم قال اذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فان كان رشدا فأمضه وان كان غيا فاته عنه وفى الخبر وينبغى للعاقل أن يكون له أربع ساعات منها ساعة يحاسب فيها نفسه قال تعالى : ((**وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**))(٢) . والتوبة نظر فى الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقد قال النبى ﷺ انى لأستغفر الله تعالى وأتوب اليه فى اليوم مائة مرة ، وقال الله تعالى : ((**ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون**))(٣) •

وعن ميمون بن مهران أنه قال لايكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل •

وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن أبا بكر رضوان الله عليه قال لها عند الموت ما أحد من الناس أحب الى من عمر ثم قال لها كيف قلت فأعادت عليه ما قال فقال لا أحد أعز على من عمر

(١) سورة الحشر : آية ١٨ (٢) سورة النور : آية ٣١ .
(٣) سورة الأعراف : آية ٢٠١ .

فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها ، وحديث أبي طلحة حين شغله الطائر في صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندما ورجاء للعوض مما فاته ، وفي حديث ابن سلام أنه حمل حزمة من حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان في بيتك وغلمانك ما يكفونك هذا فقال أردت أن أجرب نفسي هل تنكره . وقال الحسن المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وانما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال ان المؤمن يفجؤه الشيء يعجبه فيقول والله انك لتعجبني وانك لمن حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك هذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشيء فيرجع الى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا والله لا أعذر بهذا والله لا أعود لهذا أبدا ان شاء الله .

وقال أنس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول وبيني وبينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ والله لتتقين الله أو ليعذبنك . وقال الحسن في قوله تعالى : ((**ولا أقسم بالنفس اللوامة**))(١) قال لا يلقى المؤمن الا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتي ماذا أردت بأكلتي ماذا أردت بشربتي والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه ، وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى رحم الله عبدا قال لنفسه ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس ، وقال ميمون ابن مهران التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح ، وقال ابراهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج من سلاسلها وأغلالها فقلت لنفسي يانفس أي شيء تريدين فقالت أريد أن أرد الى الدنيا فأعمل صالحا قلت فأنت في الأمنية فاعملي . وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب الى غيره ، رحم الله امرأ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به ، رحم الله امرأ نظر في مكياله رحم الله امرأ نظر في ميزانه فمازال يقول حتى أبكاني ، وحكى صاحب للأحنف بن قيس قال كنت أصحبه فكان

(١) **سورة القيامة : آية ٢** .

عامة صلاته بالليل الدعاء وكان يجيء الى المصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا .

الباب الحادى والثمانون
فى بيان تلبيس الحق بالباطل

قال رسول الله ﷺ فيما رواه معقل بن يسار : يأتى على الناس زمان يخلق فيه القرآن فى قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الأبدان أمرهم كله يكون طمعا لا خوف معه ان أحسن أحدهم قال يتقبل منى وان أساء قال يغفر لى فأخبر أنهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن وما فيه ، وبمثله أخبر عن النصارى ، اذ قال تعالى : ((**فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا**))(١) . ومعناه أنهم ورثوا الكتاب أى هم علماء ويأخذون عرض هذا الأدنى أى شهواتهم من الدنيا حراما كان أو حلالا ، وقد قال تعالى : ((**ولمن خاف مقام ربه جنتان**))(٢) ، ((**ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد**))(٣) والقرآن من أوله تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهدونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها وكأنهم يقرءون شعرا من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهل فى العالم غرور يزيد على هذا ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاص الا أن معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم تترجح كفة حسناتهم مع أن ما فى كفة السيئات أكثر هذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من أموال المسلمين والشبهات أضعافه ولعل ما تصدق به هو من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحرام أو الحلال وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم فى كفة ميزان وفى الكفة الأخرى ألفا وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل

(١) سورة الاعراف : آية ١٦٩ . (٢) سورة الرحمن : آية ٤٦ .
(٣) سورة ابراهيم : آية ١٤ .

طاعة حفظها واعتد بها كالذى يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله فى اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق أعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته أنه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذى لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد اوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال : ((**ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد**))(١) فهذا ابدا يتأمل فى فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد من عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين الذين يظهرون من الكلام ما لا يضمرونه الى غير ذلك من آفات اللسان ، وذلك محض الغرور ، ولعمرى لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذى زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به فى فتزاته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة نسخه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته فى الأجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس الأعلى ونعيمه ما هذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى أمر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين ، فما هذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن وانا نبرأ الى الله أن نكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان .

الباب الثانى والثمانون
فى فضل صلاة الجماعة

قال ﷺ : صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة .

وروى أبو هريرة أنه ﷺ فقد ناسا فى بعض الصلوات فقال لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أخالف الى رجال يتخلفون عنها فأحرق عليهم بيوتهم . وفى رواية أخرى ثم أخالف الى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فتحرق عليهم بيوتهم بحزم الحطب ولو علم أحدهم أنه يجد عظما سمينا أو مرماتين لشهدها .. يعنى صلاة العشاء .

وقال عثمان رضى الله عنه مرفوعا من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام الليلة . وقال ﷺ : من صلى صلاة فى جماعة فقد ملأ بجره(٢) عباده . وقال سعيد بن المسيب ما أذن مؤذن

---

(١) سورة ق : آية ١٨ . (٢) أى ملأ احشاءه وبطنه .

منذ عشرين سنة الا وأنا فى المسجد . وقال محمد بن واسع ما أشتهى من الدنيا الا ثلاثة : أخا ان تعوجت قومنى وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة وصلاة فى جماعة يرفع عنى سهوها ويكتب لى فضلها .

وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أم قوما مرة فلما انصرف قال مازال الشيطان بى آنفا حتى رأيت أن لى فضلا على غيرى لا أؤم أبدا . وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء . وقال النخعى مثل الذى يؤم الناس بغير علم مثل الذى يكيل الماء فى البحر لا يدرى زيادته من نقصانه . وقال حاتم الأصم فاتتنى الصلاة فى الجماعة فعزانى أبو اسحق البخارى وحده ولو مات لى ولد لعزانى أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا . وقال ابن عباس رضى الله عنهما من سمع المنادى فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خير . وقال أبو هريرة رضى الله عنه لأن تملأ اذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجيب .

وروى أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال انا لله وانا اليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب الى من ولاية العراق . وقال ﷺ : من صلى أربعين يوما الصلوات فى جماعة لا تفوته فيها تكبيرة الاحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار ويقال انه اذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدرى فتقول لهم الملائكة ما كانت أعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الأذان قمنا الى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالأقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الأذان فى المسجد .

وروى أن السلف كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام اذا فاتتهم التكبيرة الأولى ويعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة .

الباب الثالث والثمانون
فى فضل صلاة الليل

أما من الآيات فقوله تعالى : ((**ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثى الليل**))(١) الآية . وقوله تعالى : ((**ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا**))(٢) ، وقوله سبحانه وتعالى : ((**تتجافى جنوبهم**

---

(١) سورة المزمل : آية ٢٠ . (٢) سورة المزمل : آية ٦ .

عن المضاجع))(١) . وقوله تعالى : ((**أمن هو قانت آناء الليل**))(٢) الآية .. وقوله عز وجل : ((**والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما**))(٣) . وقوله تعالى : ((**واستعينوا بالصبر والصلاة**))(٤) قيل هى قيام الليل يستعان بالصبر على مجاهدة النفس •

ومن الأخبار : قوله ﷺ يعقد الشيطان على قافية أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان • وفى الخبر أنه ذكر عنده رجل ينام كل الليل حتى يصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان فى أذنه • وفى الخبر أن للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا أسعط العبد ساء خلقه واذا ألعقه ذرب لسانه بالشر واذا ذرره نام الليل حتى يصبح • وقال ﷺ : ركعتان يركعهما العبد فى جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتى لفرضتهما عليهم • وفى الصحيح عن جابر أن النبى ﷺ قال : ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا الا أعطاه اياه ؛ وفى رواية يسأل الله خيرا من الدنيا والآخرة وذلك فى كل ليلة • وقال المغيرة بن شعبة قام رسول الله ﷺ حتى تفطرت قدماه فقيل له أما قد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال : أفلا أكون عبدا شكورا • ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة فان الشكر سبب المزيد . قال تعالى : ((**لئن شكرتم لأزيدنكم**))(٥) . وقال ﷺ : يا أبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك يا أبا هريرة صل فى زوايا بيتك يكن نور بيتك فى السماء كنور الكواكب والنجم عند أهل الدنيا • وقال ﷺ : عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم فان قيام الليل قربة الى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم • وقال ﷺ : ما من امرىء تكون له صلاة بالليل فغلبه عليها النوم الا كتب له أجر صلاته وكان

---

(١) سورة السجدة : آية ١٦ . (٢) سورة الزمر : آية ٩

(٣) سورة الفرقان : آية ٦٤ . (٤) سورة البقرة : آية ٤٥ .

(٥) سورة ابراهيم : آية ٧ .

نومه صدقة عليه • وقال ﷺ لأبى ذر : لو أردت سفرا أعددت له عدة قال نعم قال فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أبا ذر مما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبى أنت وأمى قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الأمور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها • وروى أنه كان على عهد النبى ﷺ رجل اذا أخذ مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلى ويقرأ القرآن ويقول يارب النار أجرنى منها ، فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال : إذا كان ذلك فآذنونى فأتاه فاستمع فلما أصبح قال يافلان هلا سألت الله الجنة قال يارسول الله انى لست هناك ولا يبلغ عملى ذاك فلم يلبث الا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال أخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة • ويروى أن جبرائيل عليه السلام قال للنبى ﷺ : نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلى بالليل فأخبره النبى ﷺ بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل قال نافع كان يصلى بالليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا فيقوم لصلاته ثم يقول يا نافع أسحرنا فيقول نعم فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر • وقال على بن أبى طالب شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام ليلة من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى آليه يايحيى أوجدت دارا خيرا لك من دارى أم وجدت جوارا خيرا لك من جوارى فوعزتى وجلالى يايحيى لو أطلعت الى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ، ولو أطلعت الى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلد بعد المسوح • وقيل لرسول الله ﷺ رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فان أبت نضح فى وجهها الماء وقال ﷺ : رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى فان أبى نضحت فى وجهه الماء • وقال ﷺ من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات • وقال ﷺ : أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل • قيل كان الامام البخارى رضى الله عنه كثيرا مايتمثل بهذين البيتين :

اغتنم فى الفراغ فضل ركوع ... فعسى ان يكون موتك بغتة

كم صحيح رايت من غير سقم ... خرجت نفسه الصحيحة فلتة

الباب الرابع والثمانون
فى عقوبة علماء الدنيا

ونعنى بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند أهلها ، قال ﷺ : ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه • وعنه ﷺ أنه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا • وقال ﷺ : العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم فى القلب فذلك العلم النافع • وقال ﷺ : يكون فى آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق • وقال ﷺ : لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء وتماروابه السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو فى النار • وقال ﷺ من كتم علما عنده ألجمه الله بلجام من نار • وقال ﷺ : لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذلك فقال من الأئمة المضلين • وقال ﷺ : من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا • وقال عيسى عليه السلام الى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون من المتحيرين • فهذا وغيره من الأخبار يدل على عظم خطر العلم فان العالم اما متعرض لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد وانه بالخوض فى العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة وقال عمر رضى الله عنه ان أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل • وقال الحسن رحمه الله لا تكون ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجرى فى العمل مجرى السفهاء • وقال رجل لأبى هريرة رضى الله عنه أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى بترك العلم اضاعه له وقيل لابراهيم بن عيينة أى الناس أطول ندما قال أما فى عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره وأما عند الموت فعالم مفرط • وقال الخليل بن أحمد الرجال أربعة رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك نائم فأيقظوه ورجل لايدرى ويدرى أنه لايدرى فذلك مسترشد فأرشدوه ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك جاهل فارفضوه • وقال سفيان الثورى رحمه الله يهتف العلم بالعمل فان أجابه والا ارتحل • وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل • وقال الفضيل بن عياض رحمه الله انى لأرحم ثلاثة :

عزيز قوم ذل وغنى قـوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا وقـال الحسن عقوبة العلماء مـوت القلب ومـوت القلب طلب الدنيا بعمل الآخـرة وأنشـدوا :

عجبت لمبتاع الضـلالة بالهـدى ومن يشترى دنيـاه بالدين أعجب
وأعجب من هـذين من باع دينـه بدنيا سـواه فهـو من ذين أعجب

وقال ﷺ : ان العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظاما لشدة عذابه • أراد به العالـم الفـاجر • وقال أسـامة بن زيد سمعت رسول الله ﷺ يقول : يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها كمـا يدور الحمـار بالرحى فيطيف به أهـل النـار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه وانما يضاعف عذاب العالم فى معصيته لأنه عصى عن علم ولذلك قال الله عز وجل « **ان المنافقين فى الدرك الأسـفل من النـار** »(١) لأنهم جحـدوا بعـد العلم وجعل الهود شرا من النصارى مع أنهم ما جعلوا لله سبحانه ولدا ولا قالوا انه ثالث ثلاثة الا أنهم أنكروا بعد المعرفة اذ قال الله تعالى : « **يعرفونه كمـا يعرفون ابنـاءهم** »(٢) . وقال تعـالى : « **فلمـا جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنـة الله على الكافرين** »(٣) . وقال تعـالى فى قصـة بلعام بن باعوراء : « **واتل عليهم نبـأ الذى آتينـاه آياتنـا فانسلخ منهـا فاتبعـه الشيطان فكان من الغاوين** »(٤) حتى قال فمثله كمثـل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فكذلك العالم الفاجـر فان بلعام أوتى كتاب الله تعالى فأخلد الى الشهوات وقال عيسى عليـه السلام مثل علماء السوء كمثـل صخرة وقعت على فم النهر لا هى تشرب المـاء ولا هى تترك المـاء يخلص الى الزرع •

البـاب الخامس والثمانون
فى فضـل حسن الخلق

قال الله تعـالى لنبيـه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمتـه لديه : « **وانك لعلى خلق عظيم** »(٥) وقالت عائشـة رضى الله عنهـا كان رسـول الله ﷺ خلقه القرآن • وسـأل رجل رسول الله ﷺ عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى : « **خـذ العفو وامـر بالعرف واعرض عن الجـاهلين** »(٦)

---

(١) سورة النساء : آية ١٤٥ .
(٢) سورة البقرة : آية ١٤٦
(٣) سورة البقرة : آية ٨٩ .
(٤) سورة الأعراف آية ١٧٥
(٥) سورة القلم : آية ٤
(٦) سورة الأعراف : آية ١٩٩

ثم قال ﷺ هو أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال ﷺ انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق • وقال ﷺ أثقل ما يوضع فى الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق • وجاء رجل الى رسول الله ﷺ من بين يديه فقال يارسول الله ما الدين قـال حسن الخلق فأتاه من قبل يمينه فقال يـارسول الله ما الدين قـال حسن الخلق ثم أتـاه من قبل شماله فقال ما الدين قال حسن الخلق ثم أتاه من ورائه فقـال يا رسول الله ما الدين فالتفت اليه وقال أما تفقه هو أن لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق • وقـال رجل لرسول الله ﷺ أوصنى فقـال اتق الله حيث كنت قال زدنى قـال أتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدنى قال خالق الناس بخلق حسن • وسئل عليه السلام أى الأعمال أفضل قال خلق حسن • وقال ﷺ ما حسن الله خلق عبد وخلقه فيطعمه النار • وقال الفضيل قيل لرسول الله ﷺ ان فـلانة تصـوم النهار وتقوم الليل وهى سيئة الخلق تؤذى جيرانها بلسانها قال لاخير فيها هى من أهل النار • وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله ﷺ يقول أول ما يوضع فى الميزان حسن الخلق والسخاء • ولمـا خلق الله الايمـان قال اللهم قونى فقواه بحسن الخلق والسخاء ولمـا خلق الله الكفر قال اللهم قونى فقواه بـالبخل وسوء الخلق وقـال ﷺ ان الله استخلص هذا الـدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخـاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما • وقال عليه السلام حسن الخلق خلق الله الأعظم • وقيل يا رسول الله أى المؤمنين أفضـل ايمـانا قال أحسنهم خلقـا • وقال ﷺ انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق • وقال أيضا ﷺ سوء الخلق يفسد العمـل كمـا يفسد الخـل العسل • وعن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ انك امرؤ قـد حسن الله خلقك فحسن خلقك •

وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهـا وأحسنهم خلقا • وعن أبى سعيد الخـدرى قال كان رسـول الله ﷺ يقول فى دعائه اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى • وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ يكثر الدعاء فيقول اللهم إنى أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق • وعن أبى هريرة رضى الله عنـه عن النبى ﷺ قال كرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقله • وعن أسامة بن شريك قال شهدت الأعاريب يسألون النبى ﷺ يقولون

ما خير ما أعطى العبد قال خلق حسن • وقال ﷺ ان أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا • وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ ثلاث من لم يكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتدوا بشىء من عمله تقوى تحجزه عن معاصى الله وحلم يكف به السفيه أو خلق يعيش به بين الناس • وكان من دعائه ﷺ فى افتتاح الصلاة اللهم اهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها الا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها الا أنت • وقيل فيم التجمل ؟ قال فى لطف الكلام واظهار البشر والابتسام فمن لقى الناس بالاحسان وعاملهم بالأخلاق الحسان فهو الذى يخف عليهم جانبه ويحمد اخاؤه كما قال :

اذا حويت خصال الخير اجمعها ... فضلا وعاملت كل الناس بالحسن
لم تعدم الخير من ذى العرش تحرزه ... والشكر من خلقه فى السر والعلن

الباب السادس والثمانون
فى الضحك والبكاء واللباس

قال بعض المفسرين فى قوله تعالى : ((**افمن هذا الحديث**))(١) اى القرآن ((**تعجبون**)) منه تكذيبا ((**وتضحكون**)) منه استهزاء مع كونه من عند الله تعالى ((**ولا تبكون**)) خوفا وانزجارا لما فيه من الوعيد ((**وأنتم سامدون**)) لاهون غافلون عما يطلب منكم • قال لما نزلت هذه الآية فما ضحك النبى ﷺ بعد ذلك الا أن يبتسم • وفى لفظ فما رؤى النبى ﷺ ضاحكا ولا مبتسما حتى ذهب من الدنيا • وعن ابن عمر رضى الله عنه قال خرج النبى ﷺ ذات يوم من المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فوقف وسلم عليهم ثم قال أكثروا ذكر هادم اللذات ثم خرج بعد ذلك مرة أخرى فاذا قوم يضحكون فقال أما والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا • ولما أراد الخضر أن يفارق موسى عليهما السلام قال له عظنى قال يا موسى اياك واللجاجة ولا تمش بغير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك • وقال ﷺ كثرة الضحك تميت القلب • وقال ﷺ من ضحك لشبابه بكى لهرمه ومن ضحك لغناه بكى لفقره ومن ضحك لحياته بكى لموته وقال ﷺ اقرأوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا • وعن الحسن فى قوله تعالى : ((**فليضحكوا قليلا**)) اى فى الدنيا ((**وليبكوا كثيرا**)) فى الآخرة ((**جزاء بما كانوا يكسبون** (٢) وقال أيضا

---

(١) سورة النجم : آية ٥٩ . (٢) سورة التوبة : آية ٨٢ .

يا عجبا من ضاحك ومن ورائه النـــار ومن مسرور ومن ورائــه الموت .
ومر رضى الله عنه بشـــاب يضحك فقـــال له يا بنى هـــل جـــزت على الصراط قال لا قال هـــل تبين لك أنك تصـــير الى الجنـــة قال لا قال ففيم الضحك فمـــا رؤى الشاب ضاحكا بعـــد ذلك . وعن ابن عباس رضى الله عنهما من أذنب ذنبـــا وهو يضحك دخـــل النـــار وهو يبكى .
ومـــدح الله تعـــالى اقـــواما بالبكاء فقال تعـــالى : ((**ويخرون للأذقان يبكـــون**))(١) وعن الأوزاعى فى قـــوله تعـــالى : ((**ما لهـــذا الكتـــاب لا يغـــادر صـــغيرة ولا كبيرة الا أحصـــاها**))(٢) قال الصغيرة التبســـم والكبيرة القهقهة وقال ﷺ كل عين باكية يوم القيـــامة الا ثلاثا عينا بكت من خشية الله وعينا غضت عن محارم الله وعينا ســـهرت فى ســـبيل الله تعالى . ويقال ثلاثة أشياء تقسى القلب الضحك من غير عجب والأكـــل من غير جوع والكلام فى غير حاجة ، وكان رســـول الله ﷺ يلبس من الثياب ما وجـــد من ازار أو رداء أو قميص أو جبـــة أو غير ذلك وكان يعجبه الثياب الخضر وكان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيهـــا موتاكم . وكان له ﷺ قبـــاء ســـندس فيلبســـه فتحسن خضرته على بياض لونه وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك الى نصف الساق ولقد كان له كســـاء أســـود فوهبه فقالت له أم سلمة بأبى أنت وأمى ما فعـــل ذلك الكســـاء الأسود فقال كسوته فقالت ما رأيت شيئا قط كان أحسن من بياضك على ســـواده .
وكان ﷺ اذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميـــامنه ويقول الحمـــد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى الناس واذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره وكان اذا لبس جـــديدا أعطى خلق ثيابه مســـكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيـــابه لا يكسوه الا لله الا كان فى ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيـــا وميتـــا . وكانت له ﷺ عبـــاءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقين تحته وكان ينـــام على الحصـــير ليس تحتـــه شىء غيره .

الباب السابع والثمانون
فى فضـــل القرآن وفضل العلم والعلماء

قال ﷺ من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتى أفضـــل مما أوتى فقد استصغر من عظمة الله تعـــالى وقال ﷺ ما من شفيع أفضـــل منزلة

(١) سورة الاسراء : آية ١٠٩ . (٢) سورة الكهف : آية ٤٩ .

عند الله تعالى من القرآن . وقال ﷺ أفضـل عبادة أمتى تلاوة القرآن وقال ﷺ خيركم من تعلم العلم وعلمه وقال ﷺ ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد فقيل يا رسول الله وما جلاؤها فقـال تلاوة القرآن وذكر الموت ، وقال الفضيل بن عياض حامل القرآن حامل راية الاسـلام فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهـو ولا يسـهو مع من يسـهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيمـا لحق القـرآن . وقال أيضـا من قرأ خاتمة سـورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشـهداء ومن قرأها حين يمسى ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء .

وأما فضل العـلم والعلماء فالأحاديث الواردة فى ذلك كثيرة قال ﷺ : من يرد الله به خـيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشـده وقال ﷺ : العلماء ورثة الأنبياء . ومعلوم أنه لا رتبة فوق رتبـة النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة . وقال ﷺ أفضل الناس المؤمن العـالم الذى اذا احتيج اليه نفع وان استغنى عنـه أغنى نفسـه . وقال ﷺ أقرب الناس من درجة النبوة أهـل العلم والجهاد ، أما أهـل العـلم فدلوا النـاس على ما جاءت به الرسـل . وأما أهـل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسـل . وقال ﷺ لموت قبيلة أيسر من موت عالم وقال ﷺ يوزن يوم القيـامة مـداد العلماء بدم الشهداء . وقال ﷺ لا يشبع عالم من علم حتى يكون منتهاه الجنـة . وقال ﷺ هلاك أمتى فى شـيئين ترك العلم وجمع المـال . وقال ﷺ كن عالمـا أو متعلما أو مستمعا أو محبـا ولا تكن الخامسة أى مبغضـا فتهلك . وقال ﷺ آفـة العلم الخيلاء . ومن أمثال الحكمـاء من طلب العـلم للرياسة فقـد عـدم التوفيق والسياسة ، قال تعالى : « **سـاصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغـير الحق** »(١) . وقال الشـافعى رضى الله عنه من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن تعلم الفقـه جل مقداره ومن تعلم الحديث قويت حجته ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن تعلم الغريب رق طبعه ومن لم يعز نفسه لم ينفعه علمه . وقال الحسن بن على رضى الله عنهما من أكثر مجالسة العلماء أطلق عقال لسانه وفتق مراتق ذهنـه وسره ما وجـد من الزيادة فى نفسـه وكانت له ولاية لمـا يعلم وافادة لمـا تعلم . وقال ﷺ اذا رد الله عبـدا حظر عليـه العلم . وقال ﷺ لا فقر أشد من الجهل .

(١) سورة الأعراف : آية ١٤٥.

الباب الثامن والثمانون
فى فضل الصلاة والزكاة

اعلم أن الله تعالى جعل الزكاة احدى مبانى الاسلام وأردف بذكرها الصلاة التى هى أعلى الأعلام فقال تعالى : ((**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**)) (١) وقال ﷺ بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة .. الحديث . وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال تعالى : ((**فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون**))(٢) وتقدم الكلام على ذلك مستوفى ، وقال تعالى : ((**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**))(٣) . ومعنى الانفاق فى سبيل الله اخراج الزكاة .

(فائدة) يستحب أن يطلب لصدقته أتقياء الفقراء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة فان ذلك يربو به المال(٤) . قال ﷺ : لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى . وذلك لأن التقى يستعين به على التقوى فتكون شريكا له فى طاعته باعانتك اياه . وكان بعض العلماء يؤثر بالصدقة فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل فقال لا هؤلاء قوم همهم لله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت همة أحدهم فلأن أرد همة واحد الى الله عز وجل أحب الى من أن أعطى ألفا ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولى من أولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاما أحسن من هذا ثم حكى أن هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعونه وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم فقيل له لو عممت فقال انى لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم أفضل وأن يخص ذوى العاهات لا سيما ذوى الأرحام والأقارب فتكون صدقة وصلة

---

(١) سورة البقرة : آية ٤٣ .   (٢) سورة الماعون : آية ٤ ، ٥ .
(٣) سورة التوبة : آية ٣٤ .
(٤) ((يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لايسألون الناس الحافا)) .

رحـم وفى صلة الرحم ما لا يحصى من الأجـر كمـا مر فى بابه وأن يخرج الصدقة سرا ليسلم من شؤم الرياء ومن اذلال المعطى فى الملأ . قال ﷺ صدقة السر تطفىء غضب الرب . وذكر فى حـديث السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظـل الا ظله رجـل تصـدق بصـدقة فأخفاها حتى لا تعلم شـماله ما أعطت يمينـه نعم ان كان فى اظهـار الصـدقة خير كأن كان يقتـدى به غـيره فلا بأس ان سلم من الريـاء وتجنب الامتنـان كمـا قال تعـالى : ((**لا تبطلوا صـدقاتكم بالمن والأذى**))(١) فآفة المعروف المن بل يؤثر كتمانه ويسـتعمل نسـيانه كمـا يجب على من صنع له معروف نشره ويتعين عليه شكره كما فى الحديث لا يشكر الله من لا يشكر الناس .

وما أحسن قول القائل :

يد المعـروف غنـم حيث كانت تحملهـا كفـور ان شـكور
ففى شـكر الشكور لهـا جـزاء وعند الله مـا كفـر الكفـور

الباب التاسع والثمانون
فى بر الوالدين وحقوق الأولاد

لا يخفى أنه اذا تأكد من حق القرابة والرحم فأخص الأرحام وأمسها الولادة فيتضاعف تأكد الحـق فيها . وقد قال ﷺ لن يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه . وقد قال ﷺ بر الوالدين أفضـل من الصلاة والصـدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله . وقد قال ﷺ من أصبح مرضـيا لأبويه أصـبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن أمسى فمثل ذلك وان كان واحدا فواحد وان ظلما وان ظلما وان ظلما . ومن أصبح مسـخطا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان الى النار ، ومن أمسى فمثل ذلك وان كان واحدا فواحد وان ظلما وان ظلما وقال ﷺ ان الجنـة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عـام ولا يجـد ريحها عـاق ولا قاطـع رحـم . وقال ﷺ بر أمـك وأباك وأختـك وأخاك ثم أدناك فأدناك .

ويروى : أن الله تعالى قال لموسى عليـه السـلام يا موسى انه من بر والديه وعقنى كتبتـه بارا ومن برنى وعـاق والديه كتبته عـاقا . وقيل لمـا دخـل يعقـوب على يوسـف عليهما السلام لم يقـم له فأوحى الله اليه أتتعاظم أن تقـوم لأبيك وعزتى وجلالى لا أخرجت

(١) سورة البقرة : آية ٢٦٤ .

من صلبك نبيا • وقال ﷺ ما على أحـد اذا أراد أن يتصـدق بصدقة أن يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجـرها ويكون له مثل أجورهما من غـير أن ينقص من أجورهما شيء • وقال مالك بن ربيعة بينما نحن عند رسول الله ﷺ اذ جـاء رجـل من بني سـلمة فقال يارسول الله هـل بقي على من بر أبوي شيء أبرهما به بعـد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكـرام صديقهمـا وصلة الرحـم التي لا توصل الا بهمـا • وقال ﷺ ان من أبر البر أن يصـل الرجـل أهل ود أبيـه بعد أن يولى الأب وقال ﷺ بر الوالـدة على الولد ضعفـان • وقال ﷺ دعوة الوالدة أسرع اجابة قيل يا رسـول الله ولم ذاك قال هي أرحـم من الأب ودعـوة الرحـم لا تسقط وسأله رجل فقـال يا رسـول الله من أبر فقـال بر والديك فقال ليس له والدان فقال بر ولدك كمـا أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حـق • وقال ﷺ رحـم الله والدا أعان ولـده على بره أي لم يحمله على العقوق بسـوء عمله • وقال ﷺ سـاووا بين أولادكم في العطية وقـد قيل ولدك ريحانتك تشمها سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك أو شريكك • وقال أنس رضي الله عنه قال النبي ﷺ الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فاذا بلغ ست سنين أدب فاذا بلغ تسع سـنين عزل فراشـه فاذا بلغ عشرة سـنين ضرب على الصلاة فاذا بلغ ست عشرة سنة زوجـه أبوه ثم أخـذ بيـده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخـرة • قال ﷺ من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه • وقال عليه السلام كل غلام رهين أو رهينة بعقيقة تذبح عنـه يوم السـابع ويحلق رأسه وقال قتادة اذا ذبحت العقيقة أخذت صوفة منها فاستقبلت بهـا أوداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل منه مثـل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعـد • وجاء رجل الى عبد الله بن المبارك فشكا اليه بعض ولده فقـال هـل دعوت عليـه قال نعم قال أنت أفسـدته ويستحب الرفق بالولد • رأى الأقرع بن حابس النبي ﷺ وهو يقبـل ولده الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت أحدا منهم فقـال عليه السلام ان من لا يرحم لا يرحم[1] • وقالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله ﷺ يوما اغسلي وجـه أسامة فجعلت أغسـله وأنا أنفـة

(١) وفي رواية وما لمي ان نزع الله الرحمة من قلبك .

فضرب يدى ثم أخـذه فغسـل وجهـه ثم قبله ثم قال قد أحسن بنا اد لـم تكن له جـارية • وتعثر الحسـن والنبى ﷺ على منبره فنزل فحمله وقـرأ قـوله تعـالى : ((**انما أموالكم وأولادكم فتنـة**))(١) .

وقال عبد الله بن شداد بينمـا رسـول الله ﷺ يصلى بالنـاس اد جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السـجود بالنـاس حتى ظنـوا أنه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا قـد أطلت السجود يا رسـول الله حتى ظننا أنه قد حـدث أمر فقـال ان ابنى قـد ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته • وفى ذلك فوائد احداها القرب من الله تعالى فان العبد أقرب ما يكون من الله تعالى اذا كان ساجدا وفيه الرفق بالولد والبر وتعليم لأمتـه • وقال ﷺ ريح الولـد من ريح الجنـة وقال يزيد بن معاوية أرسل أبى الى الأحنف بن قيس فلما وصل اليـه قال له يا أبا بحـر ما تقول فى الولد قال يا أمير المؤمنين ثمـار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسـماء ظليلة وبهم نصـول على كل جليلة فان طلبوا فأعطهم وان غضبوا فأرضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك فقـال له معـاوية لله أنت يا أحنف لقـد دخلت على وأنا مملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الأحنف من عنده رضى عن يزيد وبعث اليه بمائتى ألف درهم ومائتى ثوب فأرسل يزيد الى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقاسمه اياها على الشطر •

البـاب التسعون
فى حقوق الجوار والاحسان للمساكين

اعلم أن الجوار يقتضى حقـا وراء ما تقتضيـه أخوة الاسـلام فيستحق الجار المسلم ما يسـتحقه كل مسلم وزيـادة اذ قال النبى ﷺ الجيران ثلاثة جـار له حق واحـد وجـار له حقـان وجـار له ثلاثة حوق فالجـار الذى له ثلاثة حقوق الجـار المسلم ذو الرحم فله حـق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم وأما الذى له حقـان فالجار المسـلم له حق الجوار وحق الاسلام وأما الذى له حق واحـد فالجـار المشرك فانظر كيف أثبت للمشرك حقـا بمجرد الجوار • وقـد قال ﷺ أحسن مجـاورة من جاورك تكن مسلما • وقال النبى ﷺ مازال جبريل يوصينى

---

(١) سورة التغابن : آية ١٥ .

بالجـار حتى ظننت أنه سيورثه • وقال ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخـر فليكـرم جـاره • وقال ﷺ لا يؤمن عبـد حتى يأمن جـاره بوائقه وقال ﷺ أول خصمين يوم القيامة جاران • وقال عليه السـلام اذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيتـه •

ويروى أن رجلا جاء الى ابن مسـعود رضى الله عنه فقـال له ان لى جارا يؤذينى ويشتمنى ويضيق على فقـال اذهب فان هو عصى الله فيك فأطع الله فيه • وقيل لرسـول الله ﷺ ان فلانة تصـوم النهـار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها فقـال ﷺ هى فى النـار • وجاء رجـل اليه عليه السـلام يشـكو جاره فقـال له النبى ﷺ أصبر ثم قال له فى الثالثة والرابعة اطرح متاعك فى الطريق قال.فجعل الناس يمرون بـه ويقولون مالك فيقال آذاه جـاره قال فجعلوا يقولون لعنـه الله فجـاء جاره فقال له رد متاعك فوالله لا أعود •

وروى الزهرى أن رجلا أتى النبى عليه الصلاة والسـلام فجعـل يشكو جاره فأمر النبى ﷺ أن ينادى على باب المسـجد ألا ان أربعين دارا جار قال الزهرى أربعون هكذا وأربعون هكـذا وأربعون هكـذا وأربعون هكذا وأومأ الى أربع جهات • وقال عليه السلام اليمن والشؤم فى المرأة والمسكن والفرس فيمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها ، وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسـوء خلقها ، ويمن المسكن سعته وحسن جوار أهله ، وشـؤمه ضيقه وسـوء جوار أهله ، ويمن الفرس ذله وحسن خلقه ، وشؤمه صعوبته وسوء خلقـه •

واعلم أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط بل احتمال الأذى أيضا فان الجار اذا كف أذاه فليس فى ذلك قضـاء حق ولا يكفى احتمـال الأذى بل لابد من الرفق واسداء الخير والمعروف اذ يقـال ان الجـار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامة فيقول يارب سـل هذا لم منعنى معروفه وسد بابه دونى وشكا بعضهم كثرة الفـأر فى داره فقيـل له لو اقتينت هرا فقال أخشى أن يسمع الفـأر صـوت الهـر فيهرب الى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم ما لا أحب لنفسى •

وجملة حق الجار أن يبدأه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عليه السؤال ويعوده فى المرض ويعزيه فى المصيبة ويقوم معه فى العزاء ويهنئه فى الفرح ويظهر الشركة فى السرور معـه ويصفح عن زلاتـه ولا يتطلع من السطح الى عوراته ولا يضايقه فى وضع الجذع على جداره

ولا يصب الماء فى ميزابه ولا يطرح التراب فى فنائه ولا يضيق طريقه الى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره ويستر ما ينكشف له من عوراته وينعشه من صرعته اذا نابته نائبة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما ويغض بصره عن حرمته ولا يديم النظر الى خادمته ويتلطف بولده فى كلمته ويرشده الى ما يجهله من أمر دينه ودنياه هذا الى جملة الحقوق التى لعامة المسلمين . وقد قال ﷺ أتدرون ما حق الجار ان استعان بك أعنته وان استنصرك نصرته وان استقرضك أقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات تبعت جنازته وان أصابه خير هنأته وان أصابته مصيبة عزيته ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه ولا تؤذه واذا اشتريت فاكهة فأهد له فان لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا أن تغرف له منها ثم قال أتدرون ما حق الجار والذى نفسى بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله ...

هكذا رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ . قال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة فقال يا غلام اذا سلخت الشاة فابدأ بجارنا اليهودى حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول فى هذا فقال ان رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه . وقال هشام كان الحسن لا يرى بأسا أن تطعم الجار اليهودى والنصرانى من أضحيتك . وقال أبو ذر رضى الله عنه أوصانى خليلى ﷺ وقال اذا طبخت قدرا فأكثر ماءها ثم انظر بعض أهل بيت فى جيرانك فاغرف لهم منها .

الباب الواحد والتسعون
فى عقوبة شارب الخمر

قد انزل الله فى الخمر ثلاث آيات الأولى قوله تعالى : ((**يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس**))(١) **الآية** فكان من المسلمين شارب وتارك الى أن شرب رجل فدخل فى الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى**))(٢) الآية .. فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها

---

(١) سورة البقرة : آية ٢١٩ . (٢) سورة النساء : آية ٤٣ .

حتى شربها عمر رضى الله عنه فأخذ بلحى بعير وشج بها رأس عبد الرحمن بن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر فبلغ رسول الله ﷺ فخرج مغضبا يجر رداءه فرفع شيئا كان فى يده فضربه به فقال أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فأنزل الله تعالى : ((**انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر**))[1] الآية[2] . فقال عمر رضى الله عنه انتهينا انتهينا .

ومن الأخبار المتفق على تحريمها قول سيدنا رسول الله ﷺ لا يدخل الجنة مدمن خمر ، وقوله ﷺ أو ما نهانى ربى بعد عبادة الأوثان عن شرب الخمر وملاحاة الرجال ، وقوله ﷺ ما من قوم اجتمعوا على مسكر فى الدنيا الا جمعهم الله فى النار فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون يقول أحدهم للآخر يا فلان لا جزاك الله عنى خيرا فأنت أوردتنى هذا المورد فيقول له الآخر مثل ذلك .

وعنه ﷺ أنه قال من شرب الخمر فى الدنيا سقاه الله من سم الأساود شربة يتساقط منها لحم وجهه فى الاناء قبل أن شربها فاذا شربها يتساقط لحمه وجلده يتأذى به أهل النار الا أن شاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها شركاء فى اثمها لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوما ولا حجا حتى يتوبوا فان ماتوا قبل التوبة كان حقا على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها فى الدنيا من صديد جهنم وان كل مسكر حرام وكل خمر حرام .

ذكر ابن أبى الدنيا أنه مر بسكران وهو يبول فى يده ويغسل به يده كهيئة المتوضىء ويقول الحمد لله الذى جعل الاسلام نورا والماء طهورا .

وعن العباس بن مرداس أنه قيل له فى الجاهلية لم لا تشرب الخمر فانها تزيد فى حرارتك فقال ما أنا بآخذ جهلى بيدى فأدخله فى جوفى ولا أرضى أن أصبح سيد قومى وأمسى سفيههم .

وروى البيهقى عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال اجتنبوا أم الخبائث فانه كان رجل ممن كان قبلكم يتعبد ويعتزل الناس فعلقته امرأة فأرسلت اليه خادما ان ندعوك لشهادة فدخل فطفقت

---

(١) سورة المائدة : آية ٩١ .

(٢) والآية التى قبلها « يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » .

كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى اذا أفضى الى امـرأة وضيئة جالسـة وعندها غلام وباطية فيهـا خمر فقال أنا لم ندعك لشهادة ولكن دعوتك لتقتل هذا الغلام أو تقع على أو تشرب كأسا من الخمـر فان أبيت صحت بك وفضحتك فلما رأى أنه لابـد له من ذلك قال اسقنى كأسـا من الخمر فسـقته قال زيـدينى فلم يزل حتى وقـع عليهـا وقتل النفس فاجتنبوا الخمـر فانه والله لا يجتمع ايمان وادمان فى الخمـر فى صدر رجل أبدا ليوشكن أحدهما يخرج صاحبه •

وروى أحمد وابن حبان فى صحيحه عن ابن عمر أنه سمع رسـول الله ﷺ يقول ان آدم لمـا أهبط الى الأرض قالت الملائكـة أى رب : « **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعـلم ما لا تعلمـون** »(١) قالوا ربنـا نحن أطـوع لك من بنى آدم قال الله تعالى للملائكتـه هلموا ملكين من الملائكـة فننظر كيف يعملان قالوا ربنـا هاروت وماروت قال فاهبطـا الى الأرض فتمثلت لهما الزهرة امـرأة من أحسن البشر فجاءاها فسألاها نفسها فقـالت : لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الاشراك قالا لا والله لا نشرك بالله أبدا • فذهبت عنهما ثم رجعت اليهما ومعها صبى تحمله فسألاها نفسها فقالت : لا والله حتى تقتلا هذا الصبى فقالا لا والله • فقالت حتى تشربا هذه الخمرة فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبى فلما أفاقا قالت المرأة والله ما تركتما من شىء أبيتما على الا فعلتما حين سكرتما ، فخيرا عند ذلك بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيـا •

وروى عن أم سلمة رضى الله عنها قالت اشتكت بنت لى فنبـذت لها فى كوز فدخل على رسـول الله ﷺ وهو يغلى قال ما هـذا يا أم سلمة فذكرت له أنى أداوى به ابنتى فقال ﷺ ان الله لم يجعـل شـفاء أمتى فيما حرم عليها • وروى أن الله تعـالى لمـا حرم الخمـر سلب منها المنـافع •

البـاب الثـانى والتسعون
فى معـراج النبى صلى الله عليه وسلم

روى البخارى عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعـة أن نبى الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به قال بينما أنا فى الحطيم وربمـا قال فى الحجـر مضطجعا اذا أتانى آت فقد قال وسمعته يقول فشـق

---

(١) سورة البقرة : آية ٣٠ •

ما بين هذه الى هــذه فقلت للجــارود وهو الى جنبى ما يعنى بــه قال من ثغرة نحــرة الى شعرته فاســتخرج قلبى ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبى ثم حشى (ثم أعيد) ثم أتيت بدابة دون البغــل وفوق الحمــار أبيض فقــال له الجارود هو البراق يا أبا حمــزة قال أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليــه فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيــل من هــذا قال جبريل قيــل ومن معك قال محمد قيل وقد أرســل اليه قال نعم قيــل مرحبــا به فنعم المجيء جاء ففتح فلمــا خلصت فاذا فيهــا آدم فقــال هــذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد الســلام ثم قال مرحبــا بالابن الصــالح والنبى الصالح ثم صعد بى حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقيــل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمــد قيل وقــد أرســل اليه قال نعم قيل مرحبــا به فنعم المجيء جــاء ففتح ، فلمــا خلصت اذا يحيى وعيسى وهمــا ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهمــا فسلمت عليهما فردا ، ثم قالا مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح ثم صعــد بى الى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هــذا قال جبريل قيــل ومن معك قال محمد قيل وقد أرســل اليه قال نعم قيل مرحبــا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبــا بالأخ الصــالح والنبى الصالح ثم صعــد بى حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرســل اليه قال نعــم قيــل مرحبــا به فنعم المجيء جاء ففتح فلمــا خلصت اذا ادريس قال هــذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصــالح والنبى الصــالح ثم صعــد بى حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هــذا قال جبريل قيــل ومن معك قال محمد قيل وقد أرســل اليه قال نعم قال مرحبــا به فنعم المجيء جــاء فلما خلصت فاذا هرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليــه فــرد ثم قال مرحبا بالأخ الصــالح والنبى الصــالح ثم صــعد بى حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيــل ومن معك قال محمد قيل وقد أرســل اليه قال نعم قال مرحبــا به فنعم المجيء فلمــا خلصت فاذا موسى قال هــذا موسى فسلم عليــه فسلمت عليــه فــرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح فلما تجاوزت بكى قيــل له ما يبكيك قال أبكى لأن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمتــه أكثر

ممن يدخلها من أمتى ثم صعد بى الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجىء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام فقال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال الهجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى واذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل قال أما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فأخذت اللبن فقال هى الفطرة التى أنت عليها وأمتك ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم قال فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت قال فقلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وانى والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وانى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال سألت ربى حتى استحييت منه ولكن أرضى وأسلم قال فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى .

الباب الثالث والتسعون
فى فضائل الجمعة

اعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الاسلام وخص به المسلمون قال الله تعالى : ((**اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع**))(١) فحرم الاشتغال بأمور الدنيا وبكل صارف عن السعى الى الجمعة وقال ﷺ ان الله عز وجل فرض عليكم الجمعة فى

(١) سورة الجمعة : آية ٩ .

يومى هذا فى مقامى هذا! وقال ﷺ من ترك الجمعة ثلاثا من غير عـذر طبع الله على قلبه وفى لفظ آخـر فقـد نبذ الاسلام وراء ظهره •

واختلف رجـل الى ابن عبـاس يسـأله عن رجـل مات لم يكن يشـهد الجمعة ولا جماعة فقال فى النـار فلم يزل يتردد اليه شـهراً يسأله عن ذلك وهو يقول فى النار •

وفى الخبر أن أهـل الكتـابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيـه فصرفوا عنه وهـدانا الله تعـالى له وأخره لهـذه الأمة وجعله عيـداً لهم فهم أولى الناس به سبقا وأهل الكتابين لهم تبع •

وفى حـديث أنس عن النبى ﷺ أنه قال أتانى جبرائيـل عليـه السلام فى كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعـة يفرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولأمتك من بعدك قلت فما لنـا فيها قال لكم فيهـا خير ساعة من دعا فيهـا بخـير قسـم له أعطـاء الله سـبحانه ايـاه أو ليس له قسم ذخـر له ما هو أعظم منـه أو تعوذ من شر هو مكتوب عليـه الا أعاذه الله عز وجل من أعظم منه وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعـوه فى الآخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك عز وجل اتخذ فى الجنـة واديـا أفيـح من المسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل تعـالى من عليين على كرسـيه فيتجلى لهم حتى ينظروا الى وجهه الكريم وقال ﷺ خير يوم طلعت عليـه الشمس يوم الجمعـة فيه خلق آدم عليـه السلام وفيـه أدخل الجنة وفيه أهبط الى الأرض وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسمية الملائكة فى السـماء وهـو يوم النظر الى الله تعالى فى الجنة • وفى الخبر أن لله عز وجـل فى كـل جمعة ستمائة ألف عتيق من النـار •

وفى حديث أنس رضى الله عنـه أنه ﷺ قال اذا سلمت الجمعـة سلمت الأيام ، وقال ﷺ ان الجحيم تسعر فى كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس فى كبد السـماء فلا تصلوا فى هـذه السـاعة الا يوم الجمعـة فانه صلاة كله وان جهنم لا تسـعر فيـه • وقال كعب ان الله عز وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة ومن الليالى ليلة القدر • ويقـال ان الطير والهوام يلقى بعضها بعضـا فى يوم الجمعة فتقول سـلام سلام يوم صـالح • وقال ﷺ من مات يوم الجمعـة أو ليلة الجمعـة كتب الله له أجـر شـهيد ووقاه فتنـة القبر •

الباب الرابع التسعون
فى حق الزوجة على الزوج

حقوق الزوجات على الأزواج كثيرة منها حسن الخلق معهن احتمال الأذى منهن ترحما لقصور عقلهن ، قال الله تعالى : ((**وعاشروهن بالمعروف**))(١) وقال فى تعظيم حقهن : ((**وأخذن منكم ميثاقا غليظا**))(٢) وقال : ((**والصاحب بالجنب**))(٣) قيل هى المرأة وآخر ما وصى به رسول الله ﷺ ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفى كلامه جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله فى النساء فانهن عوان فى أيديكم يعنى أسراء أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله • وقال عليه السلام من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون •

واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله ﷺ فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل • وراجعت امرأة عمر رضى الله عنه عمر فى الكلام فقال أتراجعينى يالكعاء فقالت ان أزواج رسول الله ﷺ يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت ان راجعته ثم قال لحفصة لا تغترى بابنة ابن أبى قحافة فانها حب رسول الله ﷺ وخوفها من المراجعة •

وروى أنه دفعت احداهن فى صدر رسول الله ﷺ فزجرتها أمها فقال عليه الصلاة والسلام دعيها فانهن أكثر من ذلك وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلا بينهما أبا بكر رضى الله عنه حكما واستشهده فقال لها رسول الله ﷺ تكلمين أو اتكلم فقالت بل تكلم أنت ولا تقل الا حقا فلطمها أبو بكر حتى دمى فوها وقال يا عدوة نفسها أو يقول غير الحق فاستجارت برسول الله ﷺ وقعدت خلف ظهره فقال له النبى ﷺ لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا • وقالت له مرة فى كلام غضبت عنده أنت الذى تزعم أنك نبى الله فتبسم رسول الله ﷺ واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول لها انى لأعرف غضبك من رضاك

---

(١) سورة النساء : آية ١٩ .
(٢) سورة النساء : آية ٢١ .
(٣) سورة النساء : آية ٣٦ .

قالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت قلت لا واله محمد واذا غضبت قلت لا واله ابراهيم قالت صدقت انما أهجر اسمك . ويقال ان أول حب وقع فى الاسلام حب النبى ﷺ لعائشة رضى الله عنها وكان يقول لها كنت لك كأبى زرع لأم زرع غير أنى لا أطلقك وكان يقول لنسائه لا تؤذيننى فى عائشة فانه والله ما نزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها .

وقال أنس رضى الله عنه كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالنساء والصبيان ومنها أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزح والملاعبة فهى التى تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهن فى الأعمال والأخلاق حتى روى أنه ﷺ كان يسابق عائشة فى العدو فسبقته يوما وسبقها فى بعض الأيام فقال عليه السلام هذه بتلك .

وفى الخبر أنه كان ﷺ من أفكه الناس مع نسائه . وقالت عائشة رضى الله عنها سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون فى يوم عاشوراء فقال لى رسول الله ﷺ أتحبين أن ترى لعبهم قالت قلت نعم فأرسل اليهم فجاءوا وقام رسول الله ﷺ بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقنى على يده وجعلوا يلعبون وانظر وجعل رسول الله ﷺ يقول حسبك وأقول اسكت مرتين أو ثلاثا ثم قال يا عائشة حسبك فقلت نعم فأشار اليهم فانصرفوا فقال رسول الله ﷺ أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله . وقال عليه السلام خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائى .

وقال عمر رضى الله عنه مع خشونته ينبغى للرجل أن يكون فى أهله مثل الصبى فاذا التمسوا ما عنده وجد رجلا[1] . وقال لقمان رحمه الله ينبغى للعاقل أن يكون فى أهله كالصبى واذا كان فى القوم وجد رجلا .

وفى تفسير الخبر المروى أن الله يبغض الجعظرى الجواظ قيل هو الشديد على أهله المتكبر فى نفسه وهو أحد ما قيل فى معنى قوله تعالى : « عتل » قيل العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على اهله . وقال عليه السلام لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك .

ووصفت أعرابية زوجها وقد مات فقالت والله لقد كان ضحوكا اذا ولج ، سكيتا اذا خرج ، آكلا ما وجد ، غير مسائل عما فقد ،

---

(١) أى من الأشياء التى تستلزم الرجولة .

ومنها أن لا ينبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها الى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها بل يراعى الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانقباض مهمـا رأى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتـة .

قال الحسن والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا كبه الله في النار . وقال عمر رضى الله عنه خالفوا النسـاء فان في خلافهن البركة وقد قيل شـاوروهن وخالفوهن . وقـد قال عليه السلام تعس عبد الزوجة وانما قال ذلك لأنه أطاعها هواها فهو عبدها وقد تعس فان الله ملكه المرأة فملكها نفسـه فقـد عكس الأمر وقلب القضيـة وأطاع الشـيطان لمـا قال : ((**ولآمرنهم فليغيرن خلق الله**))(١) اذ حق الرجـل أن يكون متبوعا لا تابعا وقد سمى الله الرجال قوامين على النساء وسمى الزوج سيدا فقال تعالى : ((**وألفيا سيدها لدى الباب**))(٢) .

قال الشـافعي رضى الله عنه ثلاثة أن أكرمتهم أهانوك وان أهنتهم أكرموك المرأة والخادم والنبطي . أراد به ان محضت الاكرام ولم تمزج غلظك بلينك وفظاظتك برفقك .

البـاب الخامس التسعون
في حق الزوج على الزوجة

والقول الشـافي فيه أن النكـاح نوع رق فهى رقيقـة فعليهـا طاعة الزوج مطلقا في كل ما طلب منها في نفسـها مما لا معصـية فيه .

وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال ﷺ أيمـا امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة . وكان رجـل قـد خرج الى سفر وعهـد الى امرأته أن لا تنزل من العـلو الى السـفل وكـان أبوها في الأسفل فمرض فأرسلت المـرأة الى رسول الله ﷺ تستأذن في النزول الى أبيها فقال ﷺ أطيعى زوجك فمات فاسـتأمرته فقال أطيعى زوجك فدفن أبوها فأرسـل رسـول الله ﷺ اليها يخبرها أن الله قـد غفر لأبيهـا بطاعتها لزوجهـا . وقال ﷺ اذا صـلت المرأة خمسـها وصامت شهرها وحفظت فـرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربهـا . فأضاف الزوج الى مباني الاسلام .

وذكر رسول الله ﷺ النساء فقال حاملات والدات مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما يأتين الى أزواجهن دخـل مصـلياتهن الجنة وقال ﷺ

(١) سورة النساء : آية ١١٩ . (٢) سورة يوسف : آية ٢٥ .

أطلعت فى النار فاذا أكثر أهلها النســاء فقلن لم يارسول الله قال يكثرن اللعن ويكفرن العشــير يعنى الزوج المعاشر • وفى خبر آخــر اطلعت فى الجنة فاذا أقــل أهلها النساء فقلت أين النساء قال شغلهن الأحمران الذهب والزعفران • يعنى الحــلى ومصبغات الثياب • وقالت عائشــة رضى الله عنها أتت فتــاة الى النبى ﷺ فقالت يا رســول الله انى فتــاة أخطب فأكره التزويج فما حــق الزوج على المــرأة قال لو كان من فوقه الى قدمه صــديد فلحســته ما أديت شــكره قالت فلا أتزوج قال بلا تزوجى فانه خير •

وقال ابن عباس أتت امــرأة من خثعم الى رسول الله ﷺ فقالت انى امــرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حــق الزوج قال ان من حق الزوج على الزوجة اذا أرادها فراودها عن نفسها وهى على ظهر بعير لا تمنعه ومن حقه أن لا تعطى شــيئا من بيتــه الا باذنه فان فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجــر له ومن حقه أن لا تصــوم تطــوعا الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها وإن خرجت من بيتها بغير اذنه لعنتهــا الملائكة حتى ترجع الى بيتــه أو تتوب • وقال ﷺ لو أمرت أحــدا أن يسجد لأحد لأمرت المــرأة أن تســجد لزوجها من عظم حقــه عليها • وقال ﷺ أقــرب من تكون المــرأة من وجــه ربها اذا كانت فى قعــر بيتها وان صلاتها فى صحن دارها أفضــل من صلاتها فى المسجد وصلاتها فى بيتها أفضل من صلاتها فى صحن دارها وصلاتها فى مخدعهــا أفضل من صلاتها فى بيتها • والمخــدع بيت فى بيت ، وذلك للتستر • ولذلك قال عليــه السلام المرأة عــورة فاذا خرجت استشرفها الشــيطان وقال أيضا للمرأة عشر عورات • فاذا تزوجت ســتر الزوج عورة واحدة فاذا ماتت ستر القبــر العشر عورات • فحقوق الزوج على الزوجــة كثيرة وأهمها أمران أحدهما الصيانة والســتر والآخــر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كســبه اذا كان حراما ، وهكذا كانت عادة النساء فى السلف كان الرجل اذا خرج من منزله تقــول له امــرأته أو ابنتــه اياك وكسب الحــرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار • وهم رجل من السلف على السفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجى منذ عرفته عرفته أكالا وما عرفته رزاقا ولى رب رزاق يذهب الأكال ويبقى الرزاق •

ومن الواجبات عليها أن لا تفرط فى ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله ﷺ **لا يحل لها أن تطعم من بيته الا باذنه الا الرطب من** الطعام الذى يخاف فساده فان أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره وان أطعمت بغير اذنه كان له الأجر وعليها الوزر .

ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة وآداب العشرة مع الزوج كما روى أن أسماء بنت خارجة الفزارى قالت لابنته عند التزويج انك خرجت من العش الذى فيه درجت فصرت الى فراش لا تعرفينه وقرين لم تألفيه فكونى له أرضا يكن لك سماء وكونى له مهادا يكن لك عمادا وكونى له أمة يكن لك عبدا لا تلحفى به فيقلاك ولا تباعدى عنه فينساك ان دنا منك فاقربى منه وأن نأى فابعدى عنه واحفظى أنفه وسمعه وعينه فلا يشمن منك الا طيبا ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر الا جميلا .

خذى العفو منى تستديمى مودتى ولا تنطقى فى سورتى حين اغضب
ولا تنقرينى نقر الدف مرة فانك لا تدرين كيف المغيب
ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى ويأباك قلبى والقلوب تقلب
فانى رأيت الحب فى القلب والأذى اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

الباب السادس والتسعون
فى فضل الجهاد

قال تعالى : ((**انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون**))(١) . وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أسقى الحاج وقال آخر لا أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام . وقال آخر للجهاد أفضل مما قلتم . فزجرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل : ((**اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين**))(٢) .

وعن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال قعدنا نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ : فخرج علينا فقرأ ((**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما**

---

(١) سورة الحجرات : آية ١٥ . (٢) سورة التوبة : آية ١٩ .

لا تفعلون * ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيل صفا كأنهم بنيان مرصوص))(١) الى آخرها .. فقرأها علينا رسول الله ﷺ .

وروى أن رجلا قال يارسول الله دلنى على عمل يعدل الجهاد قال لا أجده ثم قال هل تستطيع اذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر فقال ومن يستطيع ذلك .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال مر رجل من أصحاب النبى ﷺ بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فقال لو اعتزلت الناس فأقمت فى هذا الشعب ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله ﷺ فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال لا تفعل فان مقام أحدكم فى سبيل لله أفضل من صلاته فى بيته بسبعين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا فى سبيل الله تعالى من قاتل فى سبيل الله تعالى فواق ناقة وجبت له الجنة فاذا كان الصحابى الجليل لم يأذن له رسول الله ﷺ فى العزلة مع اجتهاده فى الطاعات وتعاطيه من الطيبات بل أرشده ﷺ الى الجهاد فكيف يليق بنا تركه مع قلة طاعاتنا وكثرة سيئاتنا وتعاطينا ما جهل حله من الأقوات وفساد العزائم والنيات . وقال رسول الله ﷺ ان مثل المجاهد فى سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله كمثل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد : وقال رسول الله ﷺ من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا وجبت له الجنة فعجب لها أبو سعيد الخدرى فقال أعدها على يارسول الله فأعادها عليه ثم قال وأخرى يرفع الله بها للعبد مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض قال وما هى يا رسول الله قال الجهاد فى سبيل الله(٢)

الباب السابع والتسعون
فى مكر الشيطان

قال رجل للحسن يا أبا سعيد أينام الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا فاذا لا خلاص للمؤمن منه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال ﷺ إن المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بعيره فى سفره . وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول . وقال عيس بن الحجاج

---

(١) سورة الصف : آية ٢ ، ٤ .

(٢) فيجب لمن لم يجاهد ان يحدث نفسه الجهاد ويتمناه .

قال لى شيطانى دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثـل العصفور قلت ولم ذاك قال تذيبنى بذكر الله تعالى . فأهـل التقوى لا يتعـذر عليهم سـد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أعنى الأبواب الظـاهرة والطرق الجليـة التى تفضى الى المعاصى الظاهـرة وانما يتعثرون فى طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليهـا فيحرسونها لأن الأبواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحـد وقـد التبس ذاك الباب الواحد بهـذه الأبواب الكثيرة فيهـا كالمسـافر الذى يبقى فى بادية كثيرة الطـرق غامضة المسالك فى ليلة مظلمة فلا يكـاد يعلم الطريق الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعـين البصيرة ههنا هى القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العـلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فيما يهتدى به الى غوامض طـرقه والا فطرقه كثيرة وغامضة .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه خط لنـا رسول الله ﷺ يوما خطاً وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شـماله ثم قال هـذه سـبل على كل سـبيل منها شـيطان يدعـو اليه ثم تلا : ((**وان هـذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سـبيله**))(٢) . وقـد ذكرنا مثالا للطـريق الغامض من طـرقه وهو الذى يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصى الظاهرة فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذى لا يخفى الا أن يضـطر الآدمى الى سلوكه وذلك كما روى عن النبى ﷺ أنه قال كان راهب فى بنى اسرائيل فعمد الشيطان الى جارية فخنقها وألقى فى قلوب أهلها أن دواءها عنـد الراهب فأتوا بها اليـه فأبى أن يقبـلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلمـا كانت عنده ليعالجهـا أتـاه الشـيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح يأتيك أهلهـا فاقتلها فان سألوك فقـل ماتت فقتلها ودفنهـا فأتى الشـيطان أهلهـا فوسوس اليهم وألقى فى قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلهـا فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بهـا فأتاه الشـيطان فقال أنا الذى خنقتها وأنا الذى ألقيت فى قلوب أهلهـا فأطعنى تنـج وأخلصك منهم قال بماذا قال اسـجد لى سجدتين فسـجد له سجدتين فقـال الله

(٢) سورة الانعام : آية ١٥٣ .

الشيطان انى برىء منـك . فهـو الذى قال الله تعـالى فيـه ((**كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك**))(١) .

وروى أن ابليس سأل الامام الشافعى رضى الله عنه ما قولك فيمن خلقنى كما اختار واستعملنى فيما اختار وبعـد ذلك ان شـاء أدخلنى الجنة وان شاء أدخلنى النار أعـدل فى ذلك أم جـار ؟ فنظـر فى كلامه ثم قال يا هذا ان كان خلقك لما تريد أنت فقـد ظلمك وان كـان خلقك لما يريد هـو فلا يسـأل عما يفعـل وهم يسـألون فاضمحل الى أن صار لا شىء ثم قال والله يا شافعى لقـد أخرجت بمسـألتى هـذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية الى ديوان الزندقة .

وروى أيضا أن ابليس لعنه الله تمثل لعيسى ابن مريم عليهما السلام فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حـق ولا أقولها بقـولك أى لأن له تلبيسات فى الخير كما أن له تلبيسـات فى الشر تتناهى وبها يهلك العباد والزهاد والأغنياء وأصناف الخلق الا من حفظه الله ، اللهم احفظنا من مكايده حتى نلقاك مهتدين .

الباب الثامن والتسعون
فى بيـان السـماع

حكى القاضى أبو الطيب الطبرى عن الشافعى ومالك وأبى حنيفـة وسفيان وجماعة من العلماء ألفاظا يستدل بهـا على أنهم رأوا تحريمه . وقال الشافعى رحمه الله فى كتاب آداب القضـاء ان الغنـاء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منـه فهو سـفيه ترد شهادته . وقال القاضى أبو طالب استماعه من المرأة التى ليست بمحرم له لا يجـوز عنـد أصحاب الشافعى رحمه الله بحال سـواء كانت مكشـوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال : قال الشافعى رضى الله عنـه صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعه فهـو سـفيه ترد شـهادته . وقال وحكى عن الشافعى أنه كان يكره الطقطقة بالقضـيب ويقـول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن . وقال الشـافعى رحمـه الله ويكره من جهة الخبـر اللعب بالنرد أكثر مما يكـره اللعب بشىء من الملاهى ولا أحب اللعب بالشطرنج وأكـره كل ما يلعب به النـاس لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة .

---

(١) سورة الحشر : آية ١٦ .

وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها • وهو مذهب سائر أهل المدينة الا ابراهيم بن سعد وحده وأما أبو حنيفة رضى الله عنه فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب • وكذلك سائر أهل الكوفة سفيان الثورى وحماد وابراهيم والشعبى وغيرهم • فهذا كله نقله القاضى أبو الطيب الطبرى •

ونقل أبو طالب المكى اباحة السماع عن جماعة فقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم • وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابى وتابعى باحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع فى أفضل أيام السنة وهى الأيام المعدودات التى أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع الى زماننا هذا فأدركنا أبا مروان القاضى وله جوار يسمعن الناس التلحين قد أعدهن للصوفية • قال وكان لعطاء جاريتان يلحنان فكان اخوانه يستمعون اليهما • قال وقيل لأبى الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسرى السقطى وذو النون يستمعون فقال وكيف انكر السماع وقد أجازه وسمعه من هو خير منى فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وانما أنكر اللهو واللعب فى السماع •

وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال فقدنا ثلاثة أشياء فما نراها ولا أراها تزداد الا قلة حسن الوجه مع الضيافة وحسن القول مع الديانة وحسن الاخاء مع الوفاء • ورأيت فى بعض الكتب هذا محكيا بعينه عن الحارث المحاسبى وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده فى الدين وتشميره •

قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة الا أن يكون فيها سماع وحكى غير واحد أنه قال اجتمعنا فى دعوة ومعنا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر بن داود وابن مجاهد فى نظرائهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود فى أن يسمع فقال ابن داود حدثنى أبى عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبى يكرهه وأنا على مذهب أبى فقال أبو القاسم ابن بنت منيع أما أحمد ابن بنت منيع فحدثنى عن صالح بن أحمد أن أباه كان يسمع قول ابن الخبازة فقال مجاهد لابن داود دعنى أنت من أبيك وقال لابن بنت منيع دعنى أنت من جدك

أى شيء تقول يا أبا بكر فيمن أنشـد بيت شعر أهـو حرام فقال ابن داود لا قال فان كان حسن الصوت حـرم عليه انشـاده قال لا قال فان أنشده وطوله وقصر منه الممدود ومد منـه المقصـور أيحـرم عليه قال أنا لم أقوى لشيطان واحـد فكيف أقوى لشيطانين .

قال وكان أبو الحسن العسقلانى الأسود من الأولياء يسمع ويوله عند السماع وصنف فيه كتابا ورد فيه على منكريه وكذلك جمـاعة منهم صنفوا فى الرد على منكريه .

وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال رأيت أبا العبـاس الخضر عليـه السلام فقلت له ما تقول فى هـذا السماع الذى اختلف فيه أصـحابنا فقال هـو الصفو الزلال الذى لا يثبت عليـه الا أقدام العلمـاء .

وحكى عن ممشاد الدينورى أنه قال رأيت النبى ﷺ فى النـوم فقلت يارسول الله هل تنكـر من هـذا السماع شيئا فقال ما أنكر منه شيئا ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختمون بعـده بالقرآن .

وحكى عن طاهر بن بلال الهمدانى الوراق وكان من أهل العلم أنه قال كنت معتكفا فى جامع جـدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون فى جانب منه قولا ويستمعون فأنكرت ذلك بقلبى وقلت فى بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرأيت النبى ﷺ تلك الليلة وهو جالس فى تلك الناحية والى جنبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه واذا أبو بكـر يقـول شيئا من القول والنبى ﷺ يستمع اليه ويضع يده على صـدره كالواجد بذلك فقلت فى نفسى ما كان ينبغى لى أن أنكـر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله ﷺ يستمع وأبو بكر يقول فالتفت الى رسول الله ﷺ وقال هذا حق بحق أو قال حق من حق أنا أشـك فيه . وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطائفة فى ثلاثة مواضع عند الأكل لأنهم لا يأكلون الا عن فاقة وعند المذاكرة لأنهم لا يتحاورون الا فى مقامات الصديقين وعند السـماع لأنهم يسـمعون بوجـد ويشهدون حقـا .

وعن ابن جريج أنه كان يرخص فى السـماع فقيـل له أيؤتى به يوم القيامة فى جملة حسناتك أو سيئاتك فقال لا فى الحسـنات ولا فى السيئات لأنه شبيه باللغـو وقال الله تعـالى : ((**لا يؤاخذكم الله باللغـو فى أيمانكم**))(١) وهـذا ما نقل من الأقاويل ومن طلب الحـق فى التقليـد

(١) سورة البقرة : آية ٢٢٥ .

فمهما استقصى تعارضت عند هـــذه الأقاويل فيبقى متحيرا أو مائلا الى بعض الأقاويل بالتشهى وكل ذلك قصـــور بل ينبغى أن يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والاباحة .

الباب التاسع والتسعون
فى النهى عن البدعـة واتبـاع الهوى

قال ﷺ اياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعـة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار . وقال ﷺ من أحـدث فى أمر ديننا هذا منه فهو رد ، وقال ﷺ عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى فعلم من هذه الأحاديث أن كل ما خالف الكتاب والسنة واجماع الأئمة فهو بدعة مردودة . وقال ﷺ من سن سـنة حسنة كان له أجـــرها وأجر من عمـل بها الى يوم القيامة ومن سن سـنة سيئة كان عليـــه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة .

وقال قتادة رضى الله عنـــه فى قوله تعـالى : ((**وأن هـذا صراطى مستقيما فاتبعـوه**))(1) الآية .. اعلموا ان السـبيل واحـد جماعه الهدى ومصيره الجنة وان ابليس استبدع سبلا متفرقة جماعها الضـلالة ومصيرها الى النار .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال خط لنا رسـول الله ﷺ خطـا بيده ثم قال هـذا سبيل الله مســـتقيما ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال هـذه سبل ليس منها سبيل الا عليــه شيطان يدعو اليه ثم قرأ هذه الآية . وعن ابن عباس هذه السبل الضلالات .

وقال ابن عطية هذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسـية وسائر أهل الملل وأهـل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشـذوذ فى الفروع وغـير ذلك من أهل التعمق فى الجدل والخوض فى الكلام وهذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقـد . وقال ﷺ من رغب عن سنتى فليس منى . وقال ﷺ ما من أمـة ابتدعت بعـد نبيها فى دينها بدعة الا أضاعت مثلها من السنة ، وقال ﷺ أما بعـد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة وأنما أخشى عليكم شهوات الغى فى بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى ، اياكم والمحدثات فان كل محدثةضلالة ، وقال ﷺ ان الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعـة حتى يدع بدعته . وقال ﷺ لا يقبل الله

(1) سورة الانعام : آية ١٥٣ .

لصاحب البدعة صوما ولا حجـا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا يخرج من الاسلام كما تخرج الشـعرة من العجين لقد تركتم على مثـل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنهـا الا هالك لكل عمرة شرة ولكـل شرة فترة فمن كانت شرته الى سنتى فقد اهتدى ومن كانت شرته الى غير ذلك فقد هلك انى أخاف على أمتى من ثلاث من زلة عـالم وهوى متبع وحكم جـائر .. رواه الترمذى وحسـنه فى مواضع وصححه فى أخـرى . والشرة بكسر الشين وفتح الراء مشـددة النشاط والهمة .

فصل فى النهى عن آلة اللهو

روى البخارى أنه ﷺ قال من قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق. وروى مسلم وأبو داود وابن ماجـه : من لعب بنرد أو نردشين فكأنما غمس يده فى لحم خنزير ودمه .

وروى أحمد وغيره أنه ﷺ قال مثل الذى يلعب بالنرد ثم يقـوم يصلى مثل الذى يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصـلى أى فلا تقبل له صلاة كما صرحت به رواية أخرى .

وأخرج البيهقى عن يحيى بن كثير قال مر رسـول الله ﷺ على قوم يلعبون بالنرد فقال قلوب لاهية وأيد عاملة وألسنة لاغية .

وأخرج الديلمى أنه ﷺ قال اذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزلام والشطرنج والنرد وما كان من هذه أى وما شـابه ذلك من كل لهو محرم فلا تسـلموا عليهم وان سـلموا عليكم فلا تردوا عليهم . وقال ﷺ ثلاث من الميسر : القمار والضرب بالكعاب والصفير بالحمام .

ومر على رضى الله عنه بقـوم يلعبون الشطرنج فقال ما هـــذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون لأن يمس أحـدكم جمرا حتى يطفـأ خير له من أن يمسـها ثم قال والله لغـير هـذا خلقتم . وقال أيضـا رضى الله عنه صاحب الشطرنج أكثر النـاس كذبا يقول أحدهم قتلت وما قتل ومات وما مات . وقال أبو موسى الأشـعرى رضى الله عنـه لا يلعب بالشطرنج الا خاطىء .

واعلم ان الملاهى اما حرام كعود وطنبور ومعزفة وطبـل ومزمار وما ألهى بصوت مطرب اذ انفـرد ، أو مكروه وهـو ما يزيد به الغناء طربا ولم يطرب منفردا كالصنج والقصب فيكره مع الغناء لا وحده ، أو مباح وهـو ما خرج عن آلة الطرب الى انذار كالبوق وطبل الحـرب أو لمجمعة واعلان كالدف فى النكاح .

الباب المائة
فى فضائل رجب

رجب مشتق من الترجيب وهو التعظيم ويقال له الأصب لأن الرحمة تصب فيه على التائبين وتفيض أنواع القبول على العاملين ، ويقال له الأصم لأنه لم يسمع فيه حس قتال وقيل رجب اسم نهر فى الجنة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج لا يشرب منه الا من صام شهر رجب قال ﷺ رجب شهر الله وشعبان شهرى ورمضان شهر أمتى • وقال أهل الاشارة رجب ثلاثة أحرف راء وجيم وباء فالراء رحمة الله والجيم جرم العبد وجنايته والباء بر الله كان الله تعالى يقول أجعل جرم عبدى بين رحمتى وبرى •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال ﷺ من صام السابع والعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهرا وهو أول يوم نزل فيه جبريل على النبى ﷺ بالرسالة وفيه أسرى به ﷺ • وقال ﷺ ألا ان رجبا شهر الله الأصم فمن صام من رجب ايمانا واحتسابا استوجب رضوان الله الأكبر •

وقيل زين الله الشهور بأربعة ذى القعدة وذى الحجة والمحرم ورجب فذلك قوله تعالى : ((**منها أربعة حرم**))(١) فالاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد وهو شهر رجب •

وحكى أن امرأة فى بيت المقدس كانت تقرأ كل يوم من رجب قل هو الله أحد اثنى عشر ألف مرة وكانت تلبس الصوف فى شهر رجب فمرضت وأوصت ابنها أن يدفن معها صوفها فلما ماتت كفنها فى ثياب مرتفعة فرآها فى منامه تقول له أنا عنك غير راضية لأنك لم تعمل بوصيتى فانتبه فزعا وأخذ صوفها ليدفنه معها فنبش قبرها فلم يجدها فيه فتحير فسمع نداء أما علمت أن من اطاعنا فى رجب لا نتركه فردا وحيدا •

وروى اذا كان ثلث الليل من أول جمعة من رجب لا يبقى ملك الا ويستغفر لصوم رجب • وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من صام ثلاثة أيام من شهر حرام كتب له ثواب عبادة تسعمائة سنة • قال أنس رضى الله عنه صمت أذناى ان لم أكن سمعته من رسول الله ﷺ •

(١) سورة التوبة : آية ٣٦ .

الأشهر الحرم أربعة وخيار الملائكة أربعة وأفضل الكتب المنزلة أربعة وأعضاء الوضوء أربعة وأفضل التسبيحات كلمات أربعة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وعماد الحساب أربعة آحاد وعشرات ومئات وألوف والأوقات أربعة الساعة واليوم والشهر والسنة وفصول السنة أربعة ربيع وصيف وخريف وشتاء والطبائع أربعة حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة وسلطان البدن أربعة صفراء وسوداء ودم وبلغم والخلفاء الراشدون أربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله عليهم أجمعين ٠

روى الديلمى عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول يسح الله الخير فى أربع ليال سحا ليلة الأضحى وليلة الفطر وليلة النصف من شعبان وأول ليلة من رجب ٠ وروى الديلمى أيضا بسنده عن أبى أمامة عن رسول الله ﷺ قال خمس ليال لا ترد فيها دعوة أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الجمعة وليلتا العيدين ٠

الباب الأول بعد المائة
فى فضل شعبان المبارك

سمى شعبان لأنه يتشعب منه خير كثير مشتق من الشِّعب بكسر الشين وهو طريق الجبل فهو طريق الخير ٠

روى عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يقول اذا دخل شعبان فطهروا أنفسكم وأحسنوا نيتكم فيه ٠ وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان أكثر صيامه فى شعبان ٠

وفى النسائى من حديث أسامة رضى الله عنه قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال لرب العالمين فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم ٠ وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط الا رمضان وما رأيته فى شهر أكثر منه صياما من شعبان ٠ وفى رواية كان يصوم شعبان كله ٠ ولمسلم كان يصوم شعبان الا قليلا فهذه الرواية مفسرة للأولى فالمراد بكله أغلبه قيل ان للملائكة فى السماء ليلتى عيد كما أن للمسلمين فى الأرض يومى عيد فعيد الملائكة ليلة البراءة وهى ليلة النصف من شعبان وليلة القدر وعيد المؤمنين يوم الفطر ويوم الأضحى

فلذا سميت ليلة نصف شعبان ليلة عيد الملائكة • وذكر السبكى فى تفسيره أنها تكفر ذنوب السنة ، وليلة الجمعة تكفر ذنوب الاسبوع وليلة القدر تكفر ذنوب العمر أى احياء هذه الليالى سبب لتكفير الذنوب وتسمى ليلة التكفير أيضا لذلك وليلة الحياة ، لما روى المنذرى مرفوعا من أحيا ليلتى العيد وليلة نصف شعبان لم يمت قلبه يوم تموت القلوب • وتسمى ليلة الشفاعة لما روى أنه ﷺ سأل الله تعالى ليلة الثالث عشر الشفاعة فى أمته فأعطاه الثلث وسأله ليلة الرابع عشر فأعطاء الثلثين وسأله ليلة الخامس عشر فأعطاه الجميع الا من شرد على الله شراد البعير يعنى من فر من الله وتباعد عنه بالاصرار على المعصية • وتسمى ليلة المغفرة أيضا لما روى الامام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : ان الله ليطلع ليلة النصف من شعبان الى عباده فيغفر لأهل الأرض الا رجلين مشرك أو مشاحن وتسمى ليلة العتق لما روى ابن اسحق عن أنس بن مالك بعثنى رسول الله ﷺ الى منزل عائشة رضى الله عنها فى حاجة فقلت لها أسرعى فانى تركت النبى ﷺ يحدثهم عن ليلة النصف من شعبان فقالت يا أنس اجلس حتى أحدثك بحديث ليلة النصف من شعبان • تلك الليلة كانت ليلتى من رسول الله ﷺ فجاء ودخل معى فى لحافى فانتبهت من الليل فلم أجده فقلت لعله ذهب الى جاريته القبطية فخرجت فمررت فى المسجد فوقعت رجلى عليه وهو يقول سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى وهذه يدى وما جنيت بها على نفسى يا عظيما يرجى لكل عظيم اغفر الذنب العظيم ، سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق بصره ، ثم رفع رأسه فقال اللهم ارزقنى قلبا تقيا نقيا من الشرك بريا لا كافرا ولا شقيا ، ثم عاد ساجدا فسمعته يقول أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، أقول كما قال أخى داود أعفر وجهى فى التراب لسيدى وحق لوجهى يا سيدى أن يعفر ثم رفع رأسه فقلت بأبى أنت وأمى أنت فى واد وأنا فى واد فقال يا حميراء أما تعلمين أن هذه الليلة ليلة النصف من شعبان ان لله عز وجل فى هذه الليلة عتقاء من النار بعدد شعر غنم كلب الا ستة : لا مدمن خمر ، ولا عاق لوالديه ، ولا مصر على الزنا ، ولا مصارم ، ولا مضرب ، ولا قتات • وفى رواية مصور بدل مضرب ، وتسمى ليلة القسمة والتقدير لما روى عطاء بن يسار اذا كانت ليلة النصف من

شعبان نسخ لملك الموت كل من يموت من شعبان الى شعبان وان العبد ليغرس الغرس وينكح الأزواج ويبنى البنيان وان اسمه قد نسخ فى الموتى وما ينتظر به ملك الموت الا أن يؤمر به فيقبضه .

الباب الثانى بعد المائة
فى فضل رمضان المعظم

قال الله تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم**))(١) عن سعيد بن جبير رضى الله عنه كان صوم من قبلنا من العتمة الى الليلة القابلة كما كان فى ابتداء الاسلام . وقال جماعة من أهل العلم كان واجبا على النصارى فربما كان يقع فى الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم فى أسفارهم وبعض معايشهم فاجتمع رأى كبرائهم على أن يجعلوا صيامهم فى فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه فى الربيع وزاد فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا ثم ان ملكا لهم اشتكى فجعل لله عليه ان برىء من وجعه أن يزيد فى صومهم اسبوعا فبرىء فزاد فيه اسبوعا فلما مات ذلك ووليهم ملك آخر فقال أتموه خمسين يوما ثم أصابهم موتان وهو موت البهائم فقال زيدوا صيامكم فزادوا عشرا قبل وعشرا بعد . وقيل ما من أمة الا وفرض عليهم صيام رمضان الا أنهم ضلوا عنه .

قال البغوى والصحيح أن رمضان اسم للشهر من الرمضاء وهى الحجارة المحماة لأنهم كانوا يصومون فى الحر الشديد لأن العرب لما أرادت أن تضع أسماء الشهور وافق أن الشهر المذكور كان فى شدة الحر . وقيل سمى بذلك لأنه يرمض الذنوب أى يحرقها . وفرض فى السنة الثانية من الهجرة وهو معلوم من الدين بالضرورة يكفر جاحد وجوبه . وورد فى فضله أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ اذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الجنان كلها فلم يغلق منها باب فى الشهر كله . وأمر الله تعالى مناديا ينادى يا طالب الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر ثم يقول هل من مستغفر فيغفر له ، هل من سائل فيعطى سؤله ، هل من تائب فيتاب عليه ، فلم يزل كذلك الى انفجار الصبح ولله كل ليلة عند الفطر ألف ألف عتيق من النار قد استوجبوا العذاب .

---

(١) سورة البقرة : آية ١٨٣ .

وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال خطبنا رسـول الله ﷺ فى آخر يوم من شـعبان فقال أيها النـاس قد أظلكم شـهر عظيم فيه ليلة القدر خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضـة وقيـام ليله تطوعا ، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سـواه ومن أدى فريضة كان كمن أدى سـبعين فريضـة فيما سـواه ، وهو شـهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة وهو شهر المواساة ، وهو شـهر يزاد فيـه فى رزق المؤمن ، من فطر فيه صائما كان له عتق رقبـة ومغفرة لذنوبه ، قلنا يا رسول الله ليس كلنا يجـد ما يفطر به الصائم قال يعطى الله هـذا الثواب من يفطر صـائما مذقة لبن أو شربة ماء أو تمـرة ومن أشـبع صـائما كان له مغفرة لذنوبه وسـقاه ربه من حوضى شربة لا يظمـأ بعدها أبدا وكان له مثـل أجـره من غير أن ينقص من أجـره شىء ، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخـره عتق من النار ، ومن خفف عن مملوكه فيه أعتقه الله من النـار فاستكثروا فيه من أربع خصـال : خصلتين ترضون بهمـا ربكم وخصلتين لا غنى لكم عنهما أما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما تسألون ربكم الجنة وتتعوذون به من النـار ، ومنها قوله ﷺ من صام رمضان ايمانا واحتسـابا غفر له ما تقـدم من ذنبـه وما تأخـر وقوله ﷺ كل عمـل ابن آدم له الا الصـوم فانه لى وأنا أجزى به • وناهيك بعبادة أضافها البارى تبارك وتعالى لنفسه ومنها قوله ﷺ أعطيت أمتى خمس خصال فى شـهر رمضان لم تعطهن أمـة قبلهـا خلوف فم الصـائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وتسـتغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ، وتصفـد فيـه مردة الشـياطين ، ويزين الله تعالى كل يوم الجنة ويقول يوشك عبـادى الصـالحون أن يكف عنهم السوء والأذى ، ويغفر لهم فى آخـر ليلة منه ، قيل يا رسـول الله أهى ليلة القدر قال لا ولكن العامل يوفى أجره اذا قضى عمله •

البـاب الثـالث بعد المـائة
فى فضـل ليلة القـدر

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ذكر لرسـول الله ﷺ رجل من بنى اسرائيل حمـل السلاح على عاتقه فى سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله ﷺ لذلك وتمنى ذلك لأمته فقال يارب جعلت أمتى أقصر الأمم أعمارا وأقلها أعمالا فأعطاه الله تعالى ليلة القـدر خيرا من ألف شهر مدة حمل الاسرائيلى السلاح فى سـبيل الله له ولأمتـه الى يوم القيـامة •

فهى من خصائص هذه الأمة ، ويقال اسم ذلك الرجل شمعون غزا العدو ألف شهر لم يجف لبد فرسه وقهر الكفار لما أعطى من القوة والجسارة فضاقت قلوبهم منه فبعثوا رسولا الى امرأته وضمنوا لها طستا من ذهب مملوءة ذهبا ان هى قيدته حتى يحبسوه فى بيت لهم ويستريحوا منه فلما نام بالليل أوثقته بحبل من ليف فلما انتبه حرك أعضاءه فقطع الحبل قطعا وسألها لم صنعت ذلك فقالت أجرب قوتك فلما أخبر الكفار بذلك بعثوا لها سلسلة ففعلت مثل ما فعلت فقطعها فجاء ابليس الى الكفار وأرشدهم الى أن تسأل المرأة زوجها أى شىء لا تقوى على فكه وقطعه فأرسلوا اليها فسألته فقال ذؤابتى وكان له ثمانية ذوائب طويلة تجر على الأرض فلما نام قيدت رجليه بأربعة ويديه بأربعة فجاء الكفار وأخذوه وذهبوا به الى بيت مذبحهم مقدار أربعمائة ذراع علوه ومع اتساعه له عمود واحد فقطعوا أذنيه وشفتيه وكانوا كلهم مجتمعين لديه فسأل الله تعالى أن يقويه على فك وثاقه وعلى أن يجر العمود ويهدمه عليهم مع نجاته منهم فقواه الله فتحرك فانفك وثاقه وحرك العمود فوقع عليهم السقف فأهلكهم الله جميعا ونجا منهم ، فلما سمع أصحاب رسول الله ﷺ ذلك الخبر وقالوا يا رسول الله هل ندرك نحن ثوابه فقال لا أدرى ثم سأل ربه فأعطاه كما تقدم ليلة القدر ، وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ اذا كان ليلة القدر نزل جبريل عليه السلام فى كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى • قال أبو هريرة رضى الله عنه الملائكة تنزل ليلة القدر فى الأرض أكثر من عدد الحصى فتفتح أبواب السماء للتنزل كما ورد فتسطع الأنوار ويحصل تجل عظيم وينكشف فيها الملكوت والناس فى ذلك متفاوتون فمنهم من يكشف له عن ملكوت السموات والأرض فتكشف له الحجب عن السموات فيشاهد فيها الملائكة على صورها ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد وذاكر وشاكر ومسبح ومهلل ومنهم من يكشف له عن الجنة بما فيها من دورها وقصورها وحورها وأنهارها وأشجارها وأثمارها ويشاهد عرش الرحمن وهو سقفها ويشاهد منازل الأنبياء والأولياء والشهداء والصديقين ويهيم فى هذا الملكوت ويتنزه فى ذلك الرحموت ويشاهد جهنم ويشاهد دركاتها ومنازل الكفار الى غير ذلك ومنهم من تنكشف حجبه عن جمال الله فلا يشاهد الا اياه • وعن عمر عنه

عليه الصلاة والسلام من أحيا ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان الى الصبح فهو أحب الى من قيام ليالى شهر رمضان كلها ، فقالت فاطمة يا أبت ما تصنع الضعفاء من الرجال والنساء ممن لا يقدرون على القيام قال لا يضعون الوسائد فيتكئون عليها ويقعدون ساعة من ساعات تلك الليلة ويدعون الله عز وجل الا كان ذلك أحب الى من قيام أمتى جميعا شهر رمضان • وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ من أحيا ليلة القدر وصلى فيها ركعتين واستغفر فيها غفر الله له وخاض فى رحمة الله ومسحه جبريل بجناحه ومن مسحه جبريل بجناحه دخل الجنة •

الباب الرابع بعد المائة
فى فضل العيد

سمى هذا اليوم الذى هو أول شوال واليوم الذى هو العاشر من ذى الحجة عيدا لأن المؤمنين عادوا فيهما من طاعة الله تعالى التى هى أداء فريضتى صيام رمضان والحج الى طاعة رسوله ﷺ التى هى صيام ست من شوال والتأهب لزيارته ﷺ ولتكرر ذلك كل عام ، ولكثرة عوائد الله تعالى فيه بالاحسان ولعود السرور بعوده وأول عيد صلاه رسول الله ﷺ عيد الفطر فى السنة الثانية من الهجرة ولم يتركها فهى سنة مؤكدة • وعن أبى هريرة رضى الله عنه زينوا أعيادكم بالتكبير ، قال ﷺ من قال سبحان الله وبحمده يوم العيد ثلثمائة مرة وأهداها لأموات المسلمين دخل فى كل قبر ألف نور ويجعل الله تعالى فى قبره اذا مات ألف نور • وعن وهب بن منبه رضى الله عنه أن ابليس يرن فى كل عيد فتجتمع اليه الأبالسة فيقولون يا سيدنا مم غضبك فيقول ان الله تعالى غفر لأمة محمد ﷺ فى هذا اليوم فعليكم أن تشغلوهم باللذات والشهوات • وعن وهب أيضا أن الله تعالى خلق الجنة يوم عيد الفطر وغرس شجرة طوبى يوم عيد الفطر • واصطفى جبريل للوحى يوم عيد الفطر وتاب على سحرة فرعون يوم عيد الفطر وقال النبى ﷺ من قام ليلة العيد محتسبا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب •

حكى ان عمر رأى ولدا له يوم عيد وعليه قميص خلق فبكى فقال ما يبكيك فقال له يا بنى أخشى أن ينكسر قلبك فى يوم العيد اذا رآك الصبيان بهذا القميص الخلق انما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه أو

عق أمه وأباه وانى لارجو أن يكون الله راضيا عنى برضاك فبكى عمر وضمه اليه ودعا له رضى الله عنهما •

وما أحسن قول القائل :

قالوا غدا العيد ماذا انت لابسه — قلت خلعة ساق عبده الجرعا
فقر وصبر ثوبان بينهما — قلب يرى ربه الاعياد والجمعا
العيد لى ماتم ان غبت يا املى — والعيدان كنت لى مراى ومسنمعا

وورد اذا كان غداة عيد الفطر بعث الله الملائكة فيهبطون الى الأرض ويقومون على السكك فينادون بصوت يسمعه جميع خلق الله الا الجن يقولون يا أمة محمد أخرجوا الى رب كريم يعطى العطاء الجزيل ويغفر الذنب العظيم فاذا برزوا الى مصلاهم قال الله للملائكة ما جزاء الأجر اذا عمل فيقولون جزاؤه أن يوفى أجره فيقول سبحانه أشهدكم انى قد جعلت ثوابهم رضائى ومغفرتى •

الباب الخامس بعد المائة
فى فضل عشر ذى الحجة

روى ابن عباس رضى الله تعالى عنهم أن النبى ﷺ قال ما من أيام العمل فيها أحب الى لله من هذه الأيام يعنى أيام العشر قالوا ولا الجهاد فى سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشىء • وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ ما من أيام أحب الى الله وأفضل من أيام العشر قيل ولا مثلهن فى سبيل الله • قال ولا مثلهن فى سبيل الله الا رجل عقر جواده وعفر وجهه فى سبيل الله ، وعن عائشة رضى الله عنها ان شابا كان صاحب سماع وكان اذا أهل هلال ذى الحجة أصبح صائما فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فدعاه فقال ما يحملك على صيام هذه الأيام قال بأبى أنت وأمى يا رسول الله انها أيام المشاعر وأيام الحج عسى الله أن يشركنى فى دعائهم • قال فان لك بكل يوم تصومه عدل مائة رقبة ومائة بدنة ومائة فرس يحمل عليها فى سبيل الله فاذا كان يوم التروية فلك فيها عدل ألف رقبة وألف بدنة وألف فرس تحمل عليها فى سبيل الله فاذا كان يوم عرفة فلك فيها عدل ألفى رقبة وألفى بدنة وألفى فرس تحمل عليها فى سبيل الله تعالى ، وقال ﷺ بعدل صوم يوم عرفة بصوم سنتين ويعدل صوم عاشوراء بصوم سنة • وقال أهل التفسير

في قــوله تعــالى : ((**وواعــدنا موسى ثلاثين ليــلة وأتممناها بعشر**))(١) الآية .. انها العشر الأول من ذى الحجــة ، وعن ابن مســعود رضى الله عنه ان الله اختار من الأيام أربعة ومن الشهور أربعة ومن النســاء أربعة وأربعة يسبقون الى الجنة وأربعة اشتاقت اليهم الجنة اما الأيام فأولها يوم الجمعة فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يســأل الله تعــالى شيئا من أمر الدنيــا والآخرة الا أعطاه اياه ، وثانيها يوم عــرفة فاذا كان يوم عرفة يباهى الله تعالى ملائكته فيقول يا ملائكتى انظروا الى عبادى جاءوا شعثا غبرا قــد أنفقــوا الأموال وأتعبوا الأبدان أشــهدوا أنى غفــرت لهم ، وثالثهــا يوم النحــر فاذا كان يوم النحــر وقــرب العبد قربانه فأول قطرة قطرت من القربان تكون كفارة لكل ذنب عمــله العبد ، ورابعها يوم الفطــر فاذا صاموا شــهر رمضان وخرجوا الى عيدهم يقول الله تبارك وتعالى لملائكته ان كل عامل يطلب أجــره وعبادى صاموا شهرهم وخــرجوا من عيدهم يطلبون أجرهم أشهدكم أنى قــد غفرت لهم . وينادى المنــادى يا أمة محمد ارجعوا فقد بدلت سيئاتكم حسنات . وأما الشهور فرجب الفرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم . وأما النساء فمريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد سابقة نساء العــالمين الى الايمان بالله ورسوله وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وفاطمة بنت محمد سيدة نساء الجنة . وأما السابقون فلكل قوم سابق فسيدنا محمد ﷺ سابق العرب وسلمان سابق الفرس وصهيب ســابق الروم وبلال سابق الحبشة . وأما الأربعة الذين اشتاقت لهم الجنــــة فعلى بن أبى طالب وسلمان الفارسى وعمار بن ياسر والمقــداد بن الأسود . وعنــه ﷺ من صام يوم التروية أعطاه الله ثوابا مثــل ثواب عيسى عليــــه السلام . وعن النبى ﷺ اذا كان يــوم عرفة نشر الله رحمته فليس أكثر من يوم عتقا منه ومن ســأل الله تعالى فى يوم عرفة حاجة من حــوائج الدنيا والآخرة قضــاها له ، وصوم يوم عرفة يكفر سنة ماضية وســنة مستقبلة والحكمة فى ذلك والله أعلم أنه بين عيدين وهمــا يوم سرور للمؤمنين ولا سرور أعظــم من غفران ذنوبهم ، ويوم عاشوراء بعــد العيدين فهو كفارة سنة واحدة ولأنه لموسى عليه السلام ويوم عــرفة لنبينا ﷺ وكرامته تتضاعف على غيره ﷺ .

---

(١) سورة الاعراف : آية ١٤٢ .

الباب السادس بعد المائة
فى فضــــل عاشــوراء

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قدم النبى ﷺ المدينـة فوجـد اليهود يصومون عاشوراء فسألهم عن ذلك فقالوا ان هـذا اليـــوم أظهر الله فيه موسى وبنى اسرائيل على قوم فرعـون فنحن نصـــومه تعظيما له فقال النبى ﷺ نحن أولى بموسى منكم فأمـــر بصـــومه وقد ورد فى فضـــل عاشـــوراء آثار كثيرة منهـا أنه تيب على آدم فيه وكان خلقه فيه وفيه أدخـل الجنة وفيه خلق العرش والكرسى والسموات والشمس والقمـر والنجوم وولد ابراهيم الخليل فيه وكانت نجاته من النار فيــه وكذلك نجـاة موسى ومن معـه وأغرق فرعون ومن معـه فيه وفيه ولد عيسى وفيه رفـع الى السـماء وفيه رفع ادريس مكانا عليا وفيه استوت ســفينة نوح على الجودى وأعطى فيــه ســليمان الملك العظيم وأخرج يونس من بطن الحـوت ورد بصر يعقوب عليــه وأخرج يوسف من الجب وكشف ضر أيوب وأول مطر نزل من السماء الى الأرض كان يوم عاشوراء وكان صومه معروفا بين الأمم حتى قيـل بأنه فرض قبل رمضان ثم نسخ به وصامه ﷺ قبل الهجرة ، ولمـا دخل المدينـة أكد طلبه حتى قال ﷺ فى آخـر عمـره الشريف ان عشـت الى قابل لأصومن التاسع والعاشر فانتقل الى الرفيق الأعلى من عامه ولم يصـم غير العاشر لكنه رغب فيه وفى صوم التاسع والحادى عشر بقـوله ﷺ صوموا قبله يوما وبعده يوما وخالفوا سنة اليهود • أى حيث أفردوه بالصوم • وروى البيهقى فى شـعب الايمان من وسع على عياله وأهله فى يوم عاشوراء وسع الله عليه فى سائر سنته وفى رواية منكرة للطبرانى الصدقة فيه بدرهم بسبعمائة ألف درهم وأما حديث من اكتحل يـومه لم يرمد ذلك العـام ومن اغتسـل فيه لم يمرض فموضوع ، وقد صرح الحاكم بأن الاكتحال يومه بدعة ، وقال ابن القيم حديث الاكتحال وطبخ الحبوب والادهان والتطيب يوم عاشوراء من وضع الكذابين •

واعلم أن ما أصيب به الحسين رضى الله تعالى عنـه يوم عاشوراء انما هـو الشهادة الدالة على مزيد رفعته ودرجته عنـد الله والحـاقه بدرجات أهل بيته الطاهرين فمن ذكر ذلك اليـوم مصـابه فلا ينبغى أن يشتغل الا بالاسترجاع امتثالا للامر واحـرازا لمـا رتبـه تعـالى عليه بقوله : ((**أولئك عليهم صـــلوات من ربهم ورحمــــة وأولئك هم**

المهتدون » (١) واياه ثم اياه ان يشتغل ببدع الرافضة ونحوهم من الندب والنياحة والحزن اذ ليس ذلك من أخلاق المؤمنين والا لكان يوم وفاة جده ﷺ أولى بذلك وأحرى وحسبنا الله تعالى وحده ونعم الوكيل .

الباب السابع بعد المائة
فى فضل ضيافة الفقراء

قال ﷺ لا تكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله . وقال ﷺ لا خير فيمن لا يضيف ومر رسول الله ﷺ برجل له ابل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال ﷺ انظروا اليهما انما هذه الأخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل . وقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ أنه نزل به ﷺ ضيف فقال قل لفلان اليهودى نزل بى ضيف فأسلفنى شيئا من الدقيق الى رجب فقال اليهودى والله لا أسلفه الا برهن فأخبرته فقال والله انى لأمين فى السماء أمين فى الأرض ولو أسلفنى لأديته فاذهب بدرعى وارهنه عنده ، وكان ابراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه اذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يلتمس من يتغذى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته فيه دامت ضيافته فى مشهده الى يومنا هذا فلا تنقضى ليلة الا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة الى عشرة الى مائة . وقال قوام الموضع انه لم يخل ليلة عن ضيف . وسئل رسول الله ﷺ ما الايمان فقال اطعام الطعام وبذل السلام . وقال ﷺ فى الكفارات والدرجات اطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ، وسئل عن الحج المبرور فقال اطعام الطعام وطيب الكلام . وقال أنس رضى الله عنه كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة . والأخبار الواردة فى فضل الضيافة والاطعام لا تحصى .

وما أحسن قول القائل :

لم لا أحب الضيف او ارتاح من طرب اليه
والضيف يأكل رزقه عندى ويشكرنى عليه (٢)

ومن كلام الحكماء لا تتم الصنيعة الا بطلاقة الوجه وحسن الحديث ولطف اللقاء .

---

(١) سورة البقرة : آية ١٥٧ .
(٢) اى لم يأكل الا رزقه الذى كتبه الله له ثم يقوم بشكرك وثواب الله خير للأبرار .

وقـال آخـــر :

اضاحك ضـيفى قبل انزال رحـله ويخصب عندى والمحـل جـديب
وماالخصب للأضياف فى كثرة القرى ولكنما وجـه الكـريم خصـيب(١)

فينبغى للداعى أن يعمـد بدعوته الأتقيـاء دون الفساق قال ﷺ أكل طعامك الأبرار فى دعائه لبعض من دعـا له • وقال ﷺ لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى ويقصد الفقراء دون الأغنيـاء على الخصوص • قال ﷺ شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليها الأغنيـاء دون الفقراء وينبغى أن لا يهمل أقاربه فى ضـــيافته فان أهمالهم ايحـاش وقطع رحم وكذلك يراعى الترتيب فى أصدقائه ومعارفه فان فى تخصيص البعض ايحاشا لقلوب الباقين وينبغى أن لا يقصـــد بدعـوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الاخوان والتسنن بسـنة رسول الله ﷺ فى اطعام الطعام وادخال السرور على قلوب المؤمنين وينبغى أن لا يدعـو من يعلم أنه يشـق عليه الاجابة تأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب ، وينبغى أن لا يدعو الا من يحب اجابته • قال سفيان من دعـا أحـدا الى طعام وهو يكره الاجابة فعليه خطيئة فان أجاب المدعو فعليه خطيئتان لأنه حمله على الأكل مع كراهة ولو علم ذلك لما كـان يأكله • واطعام التقى اعانة على الطاعة واطعام الفاسق تقوية على الفسق وقال رجـل خياط لابن المبارك أنا أخيط ثيـاب السلاطين فهل تخـاف أن أكون من أعوان الظلمة قال لا ، انما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والابرة أما أنت فمن الظلمة نفسهم • وأما الاجابة فهى سنة مؤكدة ، وقد قيل بوجوبها فى بعض المواضع • قال ﷺ لو دعيت الى كراع لأجبت ولو أهدى الى ذراع لقبلت • وللاجابة خمسة آداب مذكورة فى احياء علوم الدين وغيره •

الباب الثامن بعـد المـائة
فى الكلام على الجنـازة والقبـر

اعلم أن الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيـه له وتذكير لأهل الغفلة فانها لا تزيدهم مشـاهدتها الا قســاوة لأنهم يظنـون أنهم أبدا الى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون أنها لا محالة على الجنائز يحمـلون أو يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لايقدرون ولايتفكرون أن المحمولين

---

(١) فلتكرم الضـيف بما تسـتطيع ولا تتكلف له فوق طاقتك ولكن قابله بالبشر والترحاب والقول الحسن •

على الجنائز هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظر عبد الى جنازة الا ويقدر نفسه محمولا فانه محمول عليها على القرب ولعله فى غد أو بعد غد . ويروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان اذا رأى جنازة قال امضوا فأنا على الأثر . وكان مكحول الدمشقى إذا رأى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الأول والآخر لا عقل له وقال أسيد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثتنى نفسى بشىء سوى ما هو مفعول به وما هو صائر اليه ، ولما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك فى جنازته يبكى ويقول والله لا تقر عينى حتى أعلم الى ماذا صرت اليه ولا أعلم مادمت حيا .

وقال الأعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندرى من نعزى لحزن الجميع . وقال ثابت البنانى كنا نشهد الجنائز فلا نرى الا متقنعا باكيا فهكذا كان خوفهم من الموت ، والآن لا ننظر الى جماعة يحضرون جنازة الا وأكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون الا فى ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر أقرانه وأقاربه الا فى الحيلة التى بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر واحد منهم الى ما شاء الله فى جنازة نفسه وفى حاله اذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة الا قسوة القلوب بكثرة المعاصى والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والأهوال التى بين أيدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا ، فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فان أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم لا على الميت . نظر ابراهيم الزيات الى أناس يترحمون على الميت فقال لو تترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت وقد رأى ومرارة الموت وقد ذاق وخوف الخاتمة وقد أمن . وقال أبو عمرو بن العلاء جلست الى جرير وهو يملى على كاتبه شعرا فاطلعت جنازة : فقال :

تروعنا الجنائز مقبلات ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة ثلة لمغار ذئب فلما غاب عادت راتعات

فمن آداب حضور الجنائز التفكر والتنبه والاستعداد والمشى أمامها على هيئة التواضع كما ذكرت آدابه وسننه فى فن الفقه ومن آدابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا ، واساءة الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة خطرة لا تدرى حقيقتها ، ولذلك روى عن

عمر بن ذر أنه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلى فى قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا أبا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذى خطايا •

ويحكى أن رجلا من المنهمكين فى الفساد مات فى بعض نواحى البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته اذ لم يدر بها أحد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت حمالين وحملتها الى المصلى فما صلى عليه أحد فحملتها الى الصحراء للدفن فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرأته كالمنتظر للجنازة ثم قصد أن يصلى عليها فانتشر الخبر فى البلد بأن الزاهد نزل ليصلى على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قيل لى فى المنام انزل الى موضع كذا ترى فيه جنازة ليس معها أحد الا امرأة فصل عليه فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وأنه كيف كانت سيرته ، قالت كما عرف كان طول نهاره فى الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظرى هل تعرفين منه شيئا من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة أشياء كان اذا أفاق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه ويتوضأ ويصلى الصبح فى جماعة ثم يعود الى الماخور ويشتغل بالفسق ، والثانى انه كان أبدا لا يخلو بيته من يتيم أو يتيمين وكان احسانه اليهم أكثر من احسانه الى أولاده وكان شديد التفقد لهم ، والثالث أنه كان يفيق فى أثناء سكره فى ظلام الليل فيبكى ويقول يارب أى زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث يعنى نفسه • فانصرف الزاهد وقد ارتفع اشكاله من أمره قال الضحاك قال رجل يا رسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من أهل القبور •

وقيل لعلى كرم الله وجهه ما شأنك جاورت المقبرة قال انى أجدهم خير جيران انى أجدهم جيران صدق يكفون الألسنة ويذكرون الآخرة • وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتبكى اذا

وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول ان القبر أول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده أشد . وقيل ان عمرو بن العاص نظر الى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه فقال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن اتقرب الى الله بهما . وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما أعددت لك فما أعددت لي .

وقال أبو ذر ألا أخبركم بيوم فقري يوم أوضع في قبري .

الباب التاسع بعد المائة
في التخويف من عذاب جهنم

أخرج البخاري كان أكثر دعاء النبي ﷺ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . وأبو يعلى أنه ﷺ خطب فقال لا تنسوا العظيمتين الجنة والنار ثم بكى حتى جرى أو بل دموعه جانبي لحيته ثم قال والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم من أمر الآخرة لمشيتم على الصعيد ولحثيتم على رؤوسكم التراب . والطبراني في الأوسط جاء جبريل الى النبي ﷺ في حين غير حينه الذي كان يأتيه فيه فقام اليه رسول الله ﷺ فقال يا جبريل مالي أراك متغير اللون فقال ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بمنافخ النار فقال رسول الله ﷺ يا جبريل صف لي النار أو انعت لي جهنم فقال جبريل ان الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء شررها ولا يطفأ لهبها والذي بعثك بالحق نبيا لو أن قدر ثقب ابرة فتح من جهنم لمات من في الأرض كلهم جميعا من حره والذي بعثك بالحق لو أن خازنا من خزنة جهنم برز الى أهل الدنيا لمات من في الأرض كلهم جميعا من قبح وجهه ومن نتن ريحه والذي بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا لارفضت وما تقارت حتى تنتهي الى الأرض السفلى فقال رسول الله ﷺ حسبي يا جبريل لا ينصدع قلبي فأموت قال فنظر رسول الله ﷺ

الى جبريل وهو يبكى فقال تبكى يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذى أنت به فقال وما لى لا أبكى وأنا أحق بالبكاء لعلى أكون فى علم الله على غير الحال التى أنا عليها وما ادرى لعلى ابتلى بما ابتلى به ابليس فقد كان من الملائكة وما أدرى لعلى ابتلى بما ابتلى به هاروت وماروت قال فبكى رسول الله ﷺ وبكى جبريل فما زالا يبكيان حتى نوديا أن يا جبريل ويا محمد ان الله تعالى قد أمنكما أن تعصياه فارتفع جبريل وخرج رسول الله ﷺ فمر بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون فقال أتضحكون ووراءكم جهنم فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما أسغتم الطعام والشراب ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله عز وجل . فنودى يا محمد لا تقنط عبادى انما بعثتك مبشرا ولم أبعثك معسرا فقال ﷺ سددوا وقاربوا .

وروى أنه ﷺ قال لجبريل مالى لا أرى ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار ، وابن ماجة والحاكم وصححه ان هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين لما انتفعتم بها وانها لتدعو الله عز وجل أن لا يعيدها فيها . والبيهقى ان عمر رضى الله عنه قرأ : ((**كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب**))(١) قال يا كعب اخبرنى بتفسيرها فان صدقت صدقتك وان كذبت رددت عليك فقال ان جلد ابن آدم يحرق ويجدد فى ساعة أو فى يوم ستة آلاف مرة قال صدقت . والبيهقى أن الحسن البصرى قال فى الآية تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا . ومسلم يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيصبغ فى النار صبغة ثم يقال له يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط فيقول ما رأيت خيرا قط . وروى ابن ماجه يرسل ما مر بى بؤس قط ولا رأيت شدة قط . وروى ابن ماجة يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يصير فى وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت . وأبو يعلى يا أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون فى النار حتى تسيل دموعهم فى خدودهم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فيسيل يعنى الدم فتقرح العيون .

---

(١) سورة النساء : آية ٥٦ .

الباب العاشر بعد المائة
فى الميزان والصراط

أخرج أبو داود عن الحسن عن عائشة أنها بكت فقال رسول الله ﷺ ما يبكيك قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ، فقال ﷺ أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل ، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه فى يمينه أم فى شماله أم وراء ظهره ، وعند الصراط اذا وضع بين ظهرانى جهنم حتى يعلم أيجوز أم لا ، والترمذى عن أنس رضى الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لى يوم القيامة قال أنا فاعل ان شاء الله تعالى قلت فأين أطلبك قال أول ما تطلبنى على الصراط قلت فان لم ألقاك على الصراط قال فاطلبنى عند الميزان قلت فان لم ألقك عند الميزان قال فاطلبنى عند الحوض فانى لا أخطىء هذه الثلاثة مواطن .

وروى الحاكم يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزنت أو وضعت فيه السموات والأرض لوضعت فتقول الملائكة يارب لمن يزن هذا ، فيقول الله تعالى لمن شئت من خلقى فتقول الملائكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ويوضع الصراط مثل حد الموسى فتقول الملائكة من يجوز على هذا فيقول من شئت من خلقى فيقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف مدحضة مزلة عليه كلاليب من نار يختطف بها فممسك يهوى فيها ومصروع ومنهم من يمر كالبرق فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كالريح فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كجرى الفرس ثم كسعى الرجل ثم كرمل الرجل ثم كمشى الرجل ثم يكون آخرهم انسانا رجل قد لوحته النار ولقى فيها شرا ثم يدخله الله الجنة بفضله وكرمه ورحمته فيقال له تمن وسل فيقول أى رب أتهزأ منى وأنت رب العزة فيقال له تمن وسل حتى اذا انقطعت به الأمانى قال لك ما سألت ومثله معه . وروى مسلم عن أم مبشر الأنصارية رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة رضى الله عنها لا يدخل النار ان شاء الله تعالى أحد من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة رضى الله عنها وان منكم الا واردها فقال النبى ﷺ قد قال الله تعالى :

« **ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا** »[1] وروى احمد أن جماعة اختلفوا في الورود فقال بعضهم لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فسأل بعضهم جابر بن عبد الله رضي الله عنه فقال تردونها جميعا ثم أهوى بأصبعيه الى أذنيه وقال صمت ان لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى أن للنار أو قال لجهنم ضجيجا من بردهم : « **ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا** »[1] وروى الحاكم يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم أولهم كلمح البرق ثم كلمح الريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب في رحلة ثم كشد الرجل ثم كمشيه .

الباب الحادي عشر بعد المائة
في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

قال ابن مسعود رضي الله عنه دخلنا على رسول الله ﷺ بيت أمنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه ﷺ ، ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله وأوصيكم بتقوى الله وأوصى بكم الله اني لكم منه نذير مبين أن لا تعلوا على الله في بلاده وعباده وقد دنا الأجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والى الكأس الأوفى فاقرءوا على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله .

وروى أنه ﷺ قال لجبريل عليه السلام عند موته من لأمتي بعدي ، فأوحى الله تعالى الى جبريل أن بشر حبيبي أني لا أخذله في أمته ، وبشره بأنه أسرع الناس خروجا من الأرض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الأمم حتى يدخلها أمته ، فقال الآن قرت عيني وقالت عائشة رضي الله عنها أمرنا رسول الله ﷺ أن نغسله بسبع قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لأهل أحد ودعا لهم وأوصى بالأنصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم وان الأنصار عيبتي التي أويت اليها فأكرموا كريمهم يعني محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال ان عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى أبو بكر رضي الله عنه

---

(١) سورة مريم : آية ٧٢ .

وظن أنه يريد نفسه فقال النبى ﷺ على رسلك يا أبا بكر سـدوا هذه الأبواب والشـوارع فى المسـجد ، الا باب أبى بكر فانى لا أعلم امرءا أفضـل عندى فى الصحبة من أبى بكر ، قالت عائشـة رضى الله عنهـا فقبض ﷺ فى بيتى وفى يومى وبين سحرى ونحرى وجمع الله بين ريقى وريقه عند الموت فدخل على أخى عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليـه فعرفت أنه يعجبه ذلك فقلت له آخذه لك فأومأ برأسـه أى نعم فناولته اياه فأدخله فى فيه فاشتد عليه فقلت الينـه لك فأومأ برأسـه أى نعم فلينتـه وكان بين يـديه ركوة ماء فجعـل يدخـل فيها يـده ويقول لا اله الا الله ان للموت لسـكرات ثم نصب يـده يقول الرفيق الأعلى الرفيق الأعلى فقلت اذا والله لا يختارنا .

وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه قال لمـا رأت الأنصـار أن رسول الله ﷺ يزداد ثقلا أطافوا بالمسجد فدخل العبـاس رضى الله عنـه على النبى ﷺ فأعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثـل ذلك ثم دخـل عليه على رضى الله عنه فأعلمه بمثله ، فمـد يـده وقال ها فتناولوه فقال ما تقولون قالوا نقول نخشى أن تموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم الى النبى ﷺ فسار رسول الله ﷺ متوكئـا على على والفضل ، والعباس أمامه ورسول الله ﷺ معصوب الرأس يخط برجليـه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس اليه فحمـد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس انه بلغنى أنكم تخافون على الموت كأنه اسـتنكار منكم للموت وما تنكـرون من موت نبيكم ألم أنع اليكم وتنعى اليكم أنفسكم هـل خلد نبى قبلى فيمن بعث فأخلد فيكم ألا انى لاحق بربى وانكم لاحقون به وانى أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرا وأوصى المهاجرين فيما بينهم فان الله عـز وجـل قـال : ((**والعصر * ان الانسـان لفى خسر * الا الذين آمنـوا**))(١) الى آخـرها . وان الأمـور تجـرى باذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجـل لعجلة أحـد ومن غالب الله غلبـه ومن خادع الله خـدعه فهـل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالأنصار خيرا ، فانهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلكم أن تحسـنوا اليهم ، ألم يشاطروكم الثمار ألم يوسـعوا عليكم فى الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ، الا فمن ولى أن يحكم بين رجلين فليقبـل من

---

(١) سورة العصر : آية ١ ، ٣ .

محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا وانى فرط لكم وأنتم لاحقون بى ألا وان موعدكم الحوض حوضى أعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماؤه أشد بياضا من اللبن وألين من الزبد وأحلى من الشهد ، من شرب منه لم يظمأ أبدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه المسك ، من حرمه فى الموقف غدا حرم الخير كله ، ألا فمن أحب أن يرده على غدا فيكفف لسانه ويده الا مما ينبغى • فقال العباس يا نبى الله أوص بقريش فقال انما أوصى بهذا الأمر قريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا آل قريش بالناس خيرا يا أيها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم أئمتهم واذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى : ((**وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون**))(١) •

وروى ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال لأبى بكر رضى الله عنه سل يا أبا بكر فقال يا رسول الله دنا الأجل فقال قد دنا الأجل وتدلى فقال ليهنك يا نبى الله ما عند الله فليت شعرى عن منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة المأوى والفردوس الأعلى والكأس الأوفى والرفيق الأعلى والحظ والعيش المهنا ، فقال يا نبى الله من يلى غسلك ، قال رجال من أهل بيتى الأدنى فالأدنى قال ففيم نكفنك قال ثيابى هذه وفى حلة يمانية وفى بياض مصر ، فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة فان أول من يصلى على الله عز وجل : ((**هو الذى يصلى عليكم وملائكته**))(٢) ثم يأذن للملائكة فى الصلاة على فأول من يدخل على من خلق الله ويصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة بأجمعها صلى الله عليهم أجمعين ثم أنتم فادخلوا على أفواجا فصلوا على أفواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذينى بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الامام وأهل بيتى الأدنى فالأدنى ثم زمر النساء ثم زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذونى بتزكية ولا صيحة ولا رنة الأدنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم ويرونكم قوموا فأدوا عنى الى من

---

(١) سورة الانعام : آية ١٢٩ (٢) سورة الاحزاب : آية ٣٤

بعدى . وقالت عائشة رضى الله عنها فلما كان اليوم الذى مات فيه رسول الله ﷺ رأوا منه خفة فى أول النهار فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوائجهم مستبشرين وأخلوا رسول الله ﷺ بالنساء فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا فى الرجاء والفرح قبل ذلك اذ قال رسول الله ﷺ أخرجن عنى هذا الملك يستأذن على فخرج من فى البيت غيرى ورأسه فى حجرى فجلس وتنحيت فى جانب البيت فناجى الملك طويلا ثم انه دعانى فأعاد رأسه فى حجرى وقال للنسوة ادخلن ، فقلت ما هذا بحس جبريل عليه السلام فقال رسول الله ﷺ أجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءنى فقال ان الله عز وجل أرسلنى وأمرنى أن لا أدخل عليك الا باذن فان لم تأذن لى ارجع وان اذنت لى دخلت وأمرنى أن لا أقبضك حتى تأمرنى فماذا أمرك ، فقلت أكفف عنى حتى يأتينى جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل قالت عائشة رضى الله عنها فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى فوجمنا وكأنما ضربنا بصاخة ما نحير اليه شيئا وما يتكلم أحد من أهل البيت اعظاما لذلك الأمر وهيبة ملأت أجوافنا قالت وجاء جبريل فى ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج أهل البيت فدخل فقال ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول كيف تجدك وهو أعلم بالذى تجد منك ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق وأن تكون سنة فى أمتك فقال أجدنى وجعا فقال أبشر فان الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك فقال يا جبريل ان ملك الموت استأذن على وأخبره الخبر فقال جبريل يا محمد ان ربك اليك مشتاق ألم يعلمك الذى يريد بك لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبدا الا ان ربك متم شرفك وهو اليك مشتاق قال فلا تبرح اذا حتى يجىء وأذن للنساء فقال يا فاطمة ادنى فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال ادنى منى رأسك فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهى تضحك وما تطيق الكلام فكان الذى رأينا منها عجبا فسألناها بعد ذلك فقالت أخبرنى وقال انى ميت اليوم فبكيت ثم قال انى دعوت الله أن يلحقك بى فى أول أهلى وأن يجعلك معى فضحكت وأدنت ابنيها منه فشمهما ، قالت وجاء ملك الموت فسلم واستأذن فأذن له فقال الملك ما تأمرنا يا محمد قال ألحقنى بربى الآن فقال بلى من يومك هذا أما ان ربك اليك مشتاق ولم يتردد

عن أحـد تردده عنك ولم ينهني عن الدخول على أحـد الا باذن غيرك ولكن ساعتك أمامك وخرج . قالت وجاء جبريل فقـال السلام عليك يا رسول الله هذا آخـر ما أنزل فيـه الى الأرض أبـدا طوى الوحي وطويت الدنيا وما كان لي في الأرض حاجة غيرك وما لي فيها حاجـة الا حضورك ثم لزوم موقفي لا والذي بعث محمدا بالحق ما في البيت أحـد يستطيع أن يحير اليـه في ذلك كلمـة ولا يبعث الى أحـد من رجاله لعظم ما نسمع من حديثه ووجـدنا وأشـفقنا ، قالت فقمت الى النبي ﷺ حتى أضع رأسه بين ثديي وأمسكت بصدره وجعـل يغمى عليه حتى يغلب وجبهته ترشح رشحا ما رأيته من انسـان قط فجعلت أسلت ذلك العرق وما وجـدت رائحـة شيء أطيب منـه فكنت أقول له اذا أفاق بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي ما تلقى جبهتك من الرشـح ، فقال يا عائشة ان نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شـدقيه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعـدنا وبعثنـا الى أهلنـا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخي بعثـه الى أبي فمات رسـول الله ﷺ قبـل أن يجيء أحـد وانما صدهم الله ﷻ لأنه ولاه جبريل وميكائيـل وجعل اذا أغمي عليـه قال بل الرفيق الأعلى كان الخيرة تعـاد عليـه فاذا أطاق الكلام قال الصلاة الصلاة انكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعـا الصلاة الصلاة كان يوصي بهـا حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة .

قالت عائشة رضي الله عنها مات رسول الله ﷺ بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهـار يوم الاثنين ، قالت فاطمة رضي الله عنها ما لقيت من يوم الاثنين والله لا تزال الأمة تصـاب فيه بعظيمـة ، أو قالت أم كلثوم يوم أصيب علي كرم الله وجهه بالكوفة مثلهـا ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه رسـول الله ﷺ وفيه قتـل علي وفيه قتـل أبي فمـا لقيت من يوم الاثنين . وقالت عائشة رضي الله عنها لمـا مات رسـول الله ﷺ اقتحم الناس حتى ارتفعت الرنة وسجى رسول الله ﷺ الملائكـة بثوبي فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فمـا تكلم الا بعد البعد وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيـان وبقي آخـرون معهم عقولهم وأقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلي فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس ولم يكن أحـد من المسلمين في مثـل حال أبي بكر والعباس فان الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والسداد وان كان النـاس لم يرعووا الا بقول أبي بكر حتى جاء العباس فقـال والله الذي لا اله الا هو لقـد ذاق رسول الله ﷺ الموت ولقـد قال وهو بين أظهركم :

« انك ميت وانهم ميتون . ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون »(١)
وبلغ أبا بكر الخبر وهو فى بنى الحرث بن الخزرج فجـاء ودخل على رسـول الله ﷺ فنظر اليه ثم أكب عليـه فقبله ثم قال بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفى رسول الله ﷺ ثم خرج الى الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمـدا فان محمـدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حى لا يموت ، قال الله تعـالى : **« وما محمـد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على أعقابكم »(٢)** الآية . . فكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية الا يومئذ .

وفى رواية أن أبا بكر رضى الله عنه لـما بلغـه الخبر دخـل بيت رسول الله ﷺ وهو يصلى على النبى ﷺ وعيناه تهملان وعصصه ترتفع كقصع الجرة وهو فى ذلك جلد الفعل والمقال فأكب عليه فكشف عن وجهه فقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعـل يبكى ويقول بأبى أنت وأمى ونفسى وأهلى طبت حيـا وميتـا انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء فعظمت عن الصفة وجللت عن البكـاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء العيون فأما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمـد وادكار محالفـان لا يبرحان اللهم فأبلغه عنـا . اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم أحـد لـما خلفت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنـا واحفظه فينـا وليكن هـذا آخر ما أقـدرنا الله عليه واجذب قلوبنا اليه ليكون لنا برسول الله أسوة حسـنة ونرجو من الله أن يبدل السيئة بالحسنة وأن يلحقنا بنبينا ﷺ على الايمان انه أكرم مسؤول وأعز مأمول والحمد لله رب العالمين .

* * *

الحمد لله بنعمته تتم الصالحات ، ونشهد ألا إله إلا الله شهادة تثقل يا ربنا بها لنا ميزان الحسنات وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته واتبع سبيل المؤمنين .

أما بعد : فقد تم هذا الكتاب الشريف وذلك الصرح الفخم المنيف أرجو من الله أن يتوب ويغفر لكل من سـاعد فى نشر هذا الكتاب ولكل من قرأه أو سمعه واجعلنـا من الذين يسـمعون القول فيتبعون أحسنه وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

(١) سورة الزمر : آية ٣٠ ، ٣١ (٢) سورة آل عمران : آية ١٤٤

الفهـــرس

رقم الايداع بدار الكتب المصرية ٥٨٧٢/١٩٩١

دار
الاتحاد الأخوي للطباعة
رقم ٣٨ شارع البهنساوي ـ قايتباي ـ القاهرة
ت : ٩٣٠١٣٦